

مجلة معها المخطوط العربية

علمية ، نصف سنوية ، محكمة ، تُعنى بالتعريف بالمخطوطات العربية ، وفهرستها ،
ونشر النصوص المحققة ، والدراسات القائمة عليها ، والمتابعات النقدية الموضوعية لها .

المشرف على التحرير : د . أحمد يوسف أحمد محمد
رئيس التحرير : فيصل عبد السلام الحفيان

* الأفكار الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي
المنظمة والمعهد ، وترتيب البحوث يخضع
لاعتبارات فنية ، ولا علاقة له بمكانة الكاتب .
* يسمح بالنقل عن المجلة بشرط الإشارة .
وقواعد النشر وثمان النسخة في آخر المجلة

المجلد ٤١ - الجزء الأول - المحرم ١٤١٨ هـ / مايو ١٩٩٧ م

معها المخطوط العربية

القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجلة معهد المخطوطات العربية / معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية
للترية والثقافة والعلوم) - مج ٤١ ، الجزء الأول ، المحرم ١٤١٨ هـ / مايو
١٩٩٧ م . ص ٤٥٢ .

ط/١٠/١٩٩٧/١٥.

رد مد ۲۲۰۹ - ۱۱۱۰

I. S. S. N. 1110 - 2209

مجله
معه المخطوطات العربية

الفهرس

* تعاريف :

- د . عبد الفتاح السيد سليم فهرس الشعر في « نظام الغريب
- د . أحمد خان سماعات ومؤلفات
- د . زكريا سعيد علي مخطوط فريد في إعجاز القرآن
- ٥٣ - ٧ في اللغة « للربيعي
- ٩٠ - ٥٥ الصغاني اللغوية
- ١٣٤ - ٩١

* نصوص :

- د . محمود محمد العامودي شرح لامية العرب ، للتبريزي
- ١٨٤ - ١٣٥

* دراسات :

- اصطلاحات الصوفية : أبعاد جديدة في التطور الدلالي
- ٢٠٨ - ١٨٥

* ملف اجتماع الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي

(انظر : فهرس الاجتماع ص ٢١١)

يُعَدُّ كتاب « نظام الغريب في اللغة » ، لعيسى الربيعي (ت ٤٨٠هـ)، كنزًا من كنوز العربية، وجوهرة يتيمة من التراث العربي، اشتمل على مائة وأربعة أبواب من الغريب في صفات الإنسان وخلقه، وأسماء الخيل والبالغ والإبل... إلخ.

وقد طبع الكتاب غير مرة، مُدْزِلًا بفهارس لا تفي بالغرض الذي يرجى منها؛ فكثير من أبيات الشعر - مثلاً - غير منسوب إلى قائله، ولا إلى بحوره؛ لذا قام د. عبد الفتاح السيد سليم بعمل فهرس للشعر، نسب فيه الأبيات إلى قائلها، وكذا إلى بحورها بشكل منسق، مما ييسر كثيرًا على الباحثين والدارسين في حقل الدراسات اللغوية والأدبية.

فهرس الشعر في « نظام الغريب في اللغة » للربيعي

د . عبد الفتاح السيد سليم*

* أستاذ بقسم اللغويات بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر . له : « اللحن في اللغة العربية : مظاهره ومقاييسه » ، و « المعيار في التخطئة والتصويب » .

كتاب « نظام الغريب في اللغة » من الكتب النادرة في بابها ، والتي تخصصت في فرع مهم من فروع الفصحى ، هو البحث عن كل لفظ غريب ، سمي به ، أو وصف مما جبل عليه الناس وغيرهم ، وسائر ما يتصل بمختلف شئونهم ومعيشتهم .

والكتاب يعد بحق - كما قال محققه - « كنزًا من كنوز اللغة العربية ، وجوهرة يتيمة من التراث العربي اليمني بوجه خاص ، وإن من سماته أنه وضع اللمسات البارزة في لغة الناس وحياتهم وما يعتادون مداولته ويحتاجون له في اليوم والشهر والأعوام ، وفيما بين الأعراب في باديتهم وعند مسارح إبلهم وأغنامهم ومنتدياتهم ومشارب مياههم ونزح الدلاء من آبارهم وعند مزارعهم وهبوب الرياح وغير ذلك » .

ويضم الكتاب بين دفتيه مائة باب وأربعة ، ذكر الربعي فيها الغريب من كل شيء ؛ من خلق الإنسان وسائر صفاته وأحواله ، ثم من أسماء ما يستعمله من السيوف والرماح والخيل والبغال والإبل ، ثم من أسماء ما يحيط به ويؤثر في معيشته من الصحراء والرياح والسحاب والمطر ، ثم ما يصيبه من كوارث وموت وإقبار ... إلخ .

ومؤلف الكتاب - مع هذا - عالم لم يحظ بشهرة غيره من العلماء - وفيهم من هو دونه علما وفضلا - فترجمته في كتب الطبقات والتراجم لا تتجاوز عدة أسطر . وهو الإمام اللغوي النحوي الأديب عيسى بن إبراهيم بن عبد الله الربعي الوحاظي الحميري ، المتوفى سنة ٤٨٠ هـ في بلدة أحاظلة . (بغية الوعاة ٢ / ٢٣٥ ، كشف الظنون ١٩٥٩ ، هدية العارفين ١ / ٨٠٧ ، الأعلام

٢٨٣/٥). وقد طبع (نظام الغريب) طبعتين: الأولى في مطبعة هندية (بلا تاريخ)، بتصحيح الدكتور بولس برونله، والأخرى في دار المأمون للتراث، سنة ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠ م، بتحقيق محمد بن علي الأكوخ الحوالي.

ومع جودة الطبعة الأخيرة والاعتناء بها ضبطًا وإخراجًا، اتفقت الطبعتان تمامًا في نظام الفهارس وعددها، فليس بهما إلا فهارس لأسماء الشعراء الذين ذكرت أبياتهم في الكتاب، وثانية للألفاظ المترادفة والكلمات المفسرة، وثالثة أخيرة لأبواب الكتاب مجملة.

وعند إنعامي النظر في الكتاب أخذت بما وجدت فيه من شواهد شعرية كثيرة، أغفل المحققان معا فهرستها في آخر الكتاب، ونسبتها إلى بحورها، كما وجدت أن فيه كثيرًا من أبيات الشعر مجهول القائل، ولذا لم يفهرس في أسماء الشعراء، وفي ذلك قصور وتقصير في خدمة هذا الكتاب وخدمة من يقرؤه، من هنا اشتد العزم على أن أصنع فهارس لما ورد من شعر في هذا الكتاب على نحو منسق مفيد ميسر، راجيًا من وراء ذلك خدمة تراثنا العربي والباحثين فيه - وفي اللغة بوجه أخص، نحوًا وصرفًا ولغة، بأن يظهروا على شواهد لغوية مختلفة كانت مغيبة عنهم، عسيرة التخريج، أسأل الله أن يحقق الرجاء، وأن ينفع به، أمين.

«الهمزة»

* المضمومة :

- يُلْجَلِجُ مَضْغَةً فِيهَا أُنَيْضُ أَصَلْتُ فَهَيَّ تَحْتَ الْكَشْحِ رَاءُ
(ص ١٠٠، ٢٧٠ - الوافر - زهير)
- وَقَدْ أَغْدُو عَلَى ثُبَّةٍ كَرَامٍ نَشَاوَى وَاجِدِينَ لِمَا نَشَاءُ
(ص ١٤٦ - الوافر - ...)
- إِنْ سُلَيْمَى - وَاللَّهُ يَكْلُؤُهَا - ضَنْتُ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَزْرُؤُهَا
وَعَوَّدْتَنِي فِيمَا تُعَوِّدُنِي أَظْمَاءَ وَرِدِّ مَا كُنْتَ أَجْزُؤُهَا
(ص ١٧٥ - النسر - ابن هرمة)
- أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ بِلَيْلٍ فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحْتُ لَهُمْ ضَوْضَاءُ
(ص ١٤٨ - الخفيف - الحارث بن حلزة)

«الباء»

* الساكنة :

قَدْ أَقْبَلْتُ مَعْرَنَ بِجَيْشِ ذِي لَجَبٍ
وَعَارَةَ لَمْ تَكُ مِمَّا يُؤْتَشَبُ
إِلَّا صَحِيحًا عَرَبًا إِلَى عَرَبٍ

(ص ١٤٤ - الرجز - عدي بن سويد الطائي)

- مَنْ يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلْ مَاجِدًا يملأ الذَّلْوُ إلى عَقْدِ الْكَرْبِ
برسول الله وإبني بنته وبعباس وعبد المطلب
(ص ٢٣٣ - الرمل - الفضل بن عباس بن عتبة)
- وِغَادِرِن تَضَلَّةً فِي مَعْرِكِ يجر الأيسنة كالمحتطب
(ص ٢٢٩ - المتقارب - عنتره)
- تَتَايَعُ لَا يَبْتَغِي غَيْرَهُ بأبيض كالقبس الملتهب
(ص ٢٣٩ - المتقارب - عنتره)
- يُذَبِّبُ وَرْدٌ عَلَى إِثْرِهِ وَأَمَكْنَهُ وَقُعُ مِرْوَدِي خَشَبِ
(ص ٢٥٤ - المتقارب - ...)
- فَمَنْ كَانَ فِي قَتْلِهِ يَمْتَرِي فإن أبا نوفل قد شجبت
(ص ٢٦١ - المتقارب - عنتره)

* المفتوحة :

- أَلَا أَبْلَغَا عَنِي سَلِيمًا وَرَبِّهُ وزيدا على مِثْرَةٍ وَتَعَصُّبَا
(ص ٧١ - الطويل - عمرو بن كلثوم)
- تَجُولُ خَلَاخِيلُ النِّسَاءِ وَلَا أَرَى لِرِمْلَةٍ خَلْخَالًا يَجُولُ وَقُلْبَا
(ص ١٠٨ - الطويل - خالد بن يزيد بن معاوية)
- أَمْطَيْتُ جَازِرْنَا أَعْلَى سَنَائِينِهَا فبَاتَ جَازِرُنَا مِنْ فَوْقِهَا قَتْبَا
(ص ٥٠ - البسيط - مرة بن محكان)

- هَلَّا دَفْتَمَ رَسُولَ اللَّهِ فِي سَفَطِ
مِنَ الْأَلْوَةِ أَصْدَى مُلْبَسِ ذَهَبَا
(ص ١١٦ - البسيط - أعرابي)
- فَقُمْتُ مُسْتَبِطًا سِيفِي فَأَعْرَضَ لِي
مِثْلَ الْمَجَادِلِ كَوْمٍ بُرُكْتُ عَصْبَا
(ص ١٧٢ - البسيط - مرة بن محكان)
- فَصَادَفَ السَّيْفُ مِنْهَا سَاقَ مُثَلِّبَةٍ
جَلَسَ فَصَادَفَ مِنْهَا سَاقَهَا عَطْبَا
(ص ١٧٢ - البسيط - مرة بن محكان)
- قَوْمٌ إِذَا عَقَدُوا عَقْدًا لَجَارِهِمْ
شَدُّوا الْعِنَاجَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الْكَرْبَا
(ص ٢٣٣ - البسيط - الخطيئة)
- حَتَّى إِذَا أَضَى كَالْفُحَّالِ شَدْبُهُ
أَبَاؤُهُ وَنَفْسِي عَنِ لَيْفِهِ الْكَرْبَا
(ص ٢٤١ - البسيط - امرأة من العرب
في ولد عقها)
- إِذَا وَقَعَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ
رَعِينَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابَا
(ص ٢٧٧ - الوافر - معاوية بن مالك، عم لبيد)
- يَبَادِرُ الْجَوْنَةَ أَنْ تَغِيْبَا
(ص ٢٢٠ - الرجز المشطور - أنيس الجرمي)
- قُلْ لِمَسَامِيكَ يَعْضُ الْأَيْلِبَا
(ص ٢٥٩ - الرجز المشطور - ...)
- قَالَتْ أُبَيْلَى لِي وَلَمْ أُسْبِجْ
(ص ٦٢ - الرجز المشطور - رؤبة)

ثلاثٍ وغادرتُ أُخْرَى خَضِيْبًا
(ص ١٨١ - المتقارب - الخنساء)

وظَلَّتْ تَكُوسُ عَلَى أَكْرَعِ

* المضمومة :

بفتيانِ صِدْقٍ والنواقيسُ تُضْرَبُ
(ص ٩٥ - الطويل - الأعشى الكبير)

وكأسٍ كعينِ الديكِ باكرتُ حَدها

وماءُ قُدُورٍ في القِصاعِ مَشُوبُ
(ص ٩٨ - الطويل - ...)

سيكفيكِ صَرْبُ القومِ لَحْمٌ مُعْرَضُ

أُرَاعُ كما راعِ العَجُولِ مُهَيْبُ
وإن كان يُدْعَى باسمه فيجيب
(ص ١٧٨ - الطويل - ...)

إذا ما دعا الداعي عَلِيًّا وَجَدْتَنِي
وكم من سَجِيٍّ ليس مِثْلَ سَمِيهِ

وماتتِ نفوسٌ للهوى وقلوبُ
(ص ١٧٨ - الطويل - القرشي)

أهابِ بأشجانِ الفؤادِ مُهَيْبُ

وذو شُطْبٍ لا يجتويه المَصاحِبُ
(ص ١٧٩ - الطويل - الأحنس بن شريق)

خليلاي هَوِجاءِ النَّجاءِ سَمِلةٌ

وفي الأرضِ مَبشُونًا شُجَاعُ وعقربُ
(ص ٢١٨ - الطويل - بعض بني فقمس)

فَهَلَّا أَعْدُونِي لِمِثْلِي تَفاقدوا

على وجهه من الدماءِ سِباسِبُ
(ص ١١٤ - الطويل - عتية بن شهاب)

وهم يَضربون الكَبِشَ يَبْرُقُ يَبْضُهُ

ومن يسأل الصُّعلوك أين مذاهبه

(ص ٨٨ - الطويل - أبو النشاش)

سَوَامًا ولم تعطف عليه أقاربه

(ص ١٧٢ - الطويل - أبو النشاش)

وَيَنْصَبُ أَلْهَابًا مَصِيفًا كِرَابِهَا

(ص ٢٥٥ - الطويل - أبو ذؤيب)

تَبَاعَدَ الْحَبْلُ مِنْهُ فَهَوَّ يَضْطَرِبُ

(ص ٢٤ - البسيط - ذو الرمة)

بِالْمَسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْهِنْدِيِّ مَخْتَضِبُ

(ص ٢٦ - البسيط - ذو الرمة)

وَفِي اللَّثَاثِ وَفِي أَنْيَابِهَا سَنَبُ

(ص ٣٤ - البسيط - ذو الرمة)

كَأَنَّهَا ظَبِيَّةٌ أَفْضَى بِهَا لَبَبُ

(ص ٤٠ - البسيط - ذو الرمة)

مِنَ الْمُسُوحِ حَذَبٌ شَوْقَبٌ خَشِيبُ

(ص ٥٣ - البسيط - ذو الرمة)

إِلَى الْغَلِيلِ وَلَمْ يَقْضَعْنَهُ نَعْبُ

(ص ٩٣ - البسيط - ذو الرمة)

كَأَنَّهُ مُتَقَبِّي يَلْمَقِي عَزَبُ

(ص ١١٥ - البسيط - ذو الرمة)

وسائلةً بالغيب عني وسائلٍ

إذا المرء لم يشرخ سَوَامًا ولم يُرِخْ

جَوَارِسُهَا تَأْوِي الشُّعُوفَ دَوَائِبَا

وَالْقُرُوطُ فِي حُرَّةِ الدَّفْرَى مَعْلَقَةٌ

سَافَتْ بِطَيِّبَةِ الْعِرُونِ مَارِنُهَا

لِمَاءٍ فِي شَفْتَيْهَا حُوَّةٌ لَعَسَ

بَرَاقَةٌ الْجِيدِ وَاللَّبَاتِ وَاشْحَةٌ

شَحْتُ الْجَزَارَةِ مِثْلُ الْبَيْتِ سَائِرِهِ

حَتَّى إِذَا زَلَّجَتْ عَنْ كُلِّ حَنْجَرَةٍ

تَجْلُو الْبُورَاقَ عَنْ مُجْرَمِزٍ لَهَيِّ

- زَيْنُ الثِيَابِ وَإِنْ أَثْوَابُهَا اسْتَلَيْتْ
 عَلَى الْحَشِيَّةِ يَوْمًا زَانَهَا السَّلْبُ
 (ص ١٢٢ - البسيط - ذو الرمة)
- قَدْ أَشْهَدُ الْغَارَةَ الشُّعْوَاءَ تَحْمَلْنِي
 جَزْدَاءُ عَارِيَّةٌ مِنْهَا الظَّنَابِيْبُ
 (ص ١٦٣ - البسيط - امرؤ القيس)
- كَحَلَاءٍ فِي بَرْجٍ صَفْرَاءٍ فِي ثَعَجٍ
 كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبُ
 (ص ١٧١ - البسيط - ذو الرمة)
- يَخْدُو نَحَائِصَ أَشْبَاهَا مُحْمَلَجَةً
 وَزَوْقَ السَّرَائِلِ فِي أَلْوَانِهَا خَطْبُ
 (ص ٢٠٤ - البسيط - ذو الرمة)
- فَإِنْ أَكْبَرُ فَلَمْ تَرْنِي الْأَعَادِي
 يَفَارِقُ عَاتِقِي ذَكَرٌ خَشِيْبُ
 (ص ١٢٧ - الوافر - عبد الله بن سلمة الهذلي)
- إِذَا وَنَتِ الْمَطْيِي ذَكَتْ وَخُودُ
 مَوَاشِكَةٌ عَلَى الْبَلْوَى نَعُوبُ
 (ص ١٩١ - الوافر - عبد الله بن سلمة الهذلي)
- كَأَنَّ بِنَاتٍ مَخْزِي رَائِحَاتٍ
 حَبُونٌ وَغُضْنِي الْعُضْنُ الرَطِيْبُ
 (ص ٢٢٨ - الوافر - عبد الله بن سلمة الغامدي)
- وَلَا كَهَكَ حَقَّةً بَرَمَ
 إِذَا مَا اسْتَدَتِ الْحَقْبُ
 (ص ١٢٦ - الوافر الجزوء - أبو العباس الهذلي)
- وَإِذَا يُحَاسُ الْحَيْسُ يُدْعَى جُنْدُبُ
 (ص ٩٩ - الكامل - هنيء بن أحمد القلابي)

يَا ذئبُ إنك إن نجوت فبعدهما شراً وقد نظرت إليك شَعُوبُ
(ص ٢٦١ - الكامل - ...)

لنا ذُنُوبٌ ولكم ذُنُوبٌ
فإن أبيتم فلنا القَلِيبُ

(ص ٢٣٣ - الرجز - ...)

* المكسورة :

فلا تَحْسِبُنِي بَلَدَمَا إن نكحتِهِ ولكنني حُجِيجَةٌ بِنُ الْمُضْرَبِ
(ص ٨١ - الطويل - حجية بن المضرب)

بَنِي أَحَقُّ أن ينالوا خِصَاصَةً وأن يشربوا رَنَقًا لَدَى كل مشرب
(ص ٨٩ - الطويل - حجية بن المضرب)

مِضَاعَفَةٌ يَغْشَى الأَنَامِلَ رِيْعُهَا كَأَن قَتِيرَتُهَا عُيُونُ الجِنَادِ
(ص ١٣٤ - الطويل - قيس بن الخطيم)

إذا كنت لا أُرْمِي وتُرْمَى كِتَانَتِي تُصَبُّ جَائِحَاتُ النَّبْلِ كَشِجِي وَمَنْكِبِي
(ص ١٣٩ - الطويل - ...)

جَلَبْنَا من الأعرافِ أعرافِ عُمَرَةَ وَأَعْرَافِ لُبْنِ الخَيْلِ يا بُعْدَ مَجَلَبِ
بِنَاتِ العُرَابِ والوَجِيهِ ولاحقِ وَأَعْوَجَ يَنْمِي نسبة المتنسب
(ص ١٥٣ - الطويل - طفيل الغنوي)

- لَهُنَّ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَاهَا
 إِذَا عَرَّضُوا الْخَطِيءَ فَوْقَ الْكَوَائِبِ
 (ص ١٥٤ - الطويل - النابغة)
- وَقَالَ أَقْدِيمِي وَأَقْدِيمٌ وَأَخْرَجِي وَأَخْرَجِي
 وَهِيَ وَهَلَا وَاضْرَحَ وَقَادِعُهَا هَبِي
 (ص ١٦٢ - الطويل - طفيل الغنوي)
- فَعَارِضُهَا رَهْوًا عَلَى مُتَتَابِعِ
 شَدِيدِ الْقَصِيرِي خَارِجِي مُحْتَبِ
 (ص ١٦٥ - الطويل - طفيل الغنوي)
- وَضَرَبَ كَأَذَانَ الْفِرَاءِ فَسَلَّهُ
 بَطْعِنِ كِبَازِخِ الْخَاضِ الْعَوَازِبِ
 (ص ٢٠٥ - الطويل - النابغة)
- فِيَوْمًا عَلَى بُقْعِ رِقَاقٍ صُدُورُهَا
 وَيَوْمًا عَلَى بَيْدَانَةٍ أُمَّ تَوْلَبِ
 (ص ٢٠٥ - الطويل - امرؤ القيس)
- تَلَفَّفْتُ فِي ظِلِّ وَرِيحٍ تَلْفُفِي
 وَفِي طِرْمِمْسَاءَ غَيْرِ ذَاتِ كَوَاكِبِ
 (ص ٢٢٣ - الطويل - الشرقي القطامي)
- كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهِ ثَوْبَ مَائِحِ
 وَإِنْ يُلْتَقَى كَلْبٌ بَيْنَ لَحْيَيْهِ يَذْهَبِ
 (ص ١٥٩ - الطويل - طفيل الغنوي)
- يَسْمُو الدَّسِيعُ إِلَى هَادٍ لَهُ بَتَّعِ
 فِي جُؤْجُؤٍ كَمَدَاكِ الطَّيْبِ مَخْضُوبِ
 (ص ٣٨ - البسيط - سلامة بن جندل)
- إِنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِحٌ فَرِغِ
 كَانَ الصَّرَاخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنَابِيِّ
 (ص ٥٣ - البسيط - سلامة بن جندل)

- ليس بأشقى ولا أفنى ولا سغلي
يُعطي دواءً قفبي السكين مريبوب
(ص ١٦٦ - البسيط - سلامة بن جندل)
- ومن الرجال أسيئة مذروبة
ومزندون شهودهم كالغائب
(ص ٨١ - الكامل - ...)
- لا تنفيري يا ناق عنه فإنه
شريب خمر مشعر لحروب
(ص ١٢٣ - الكامل - حفص بن الأحنف)
- ما إن رأيت ولا سمعت به
كاليوم هاني أئنتي جرب
(ص ١٨٩ - الكامل - دريد بن الصمة)
- متبدلاً تبدو محاسنه
يضع الهناء مواضع الثقب
(ص ٢٣١ - الكامل - ميسون أخت)
- فكة إلى جنب الخوان إذا غدت
نكباء تقلع ثابت الأطناب
(ص ٢٣١ - الكامل - ميسون أخت)
- وَأب اليتامى يَنْبُتُونَ ببابه
نبت الفراخ بمكلي مغشاب
(ص ٢٣١ - الكامل - ميسون أخت)
- المقصص الباهلية

- لَعَنُ الطُّفَاحَاتِ وَشُرُوبِ الرَّائِبِ
أَهْوَنُ مِنْ تَعَاقِبِ الرِّكَاثِ
(ص ٩٧ - الرجز - ...)
- يا عجباً للعجب العجيب
خمسة غزبان على غراب
(ص ١٨٦ - الرجز - ...)

- وَتَلَقَّنِي يَشْتَدُّ بِي أَجْرَدُ مُسْتَقْدِمُ الْبِرْكَةِ كَالرَّابِ
(ص ١٦٣ - السريع - سلمة بن ذهل)
- لم تتلفع بفضل مئزرها دَعْدُ ولم تُغَدِّ دَعْدُ بِالْعَلْبِ
(ص ٩٧ - النسر - جرير)
- حديد الطَّرْفِ وَالْمُرْقُو ب وَالْمُنْكَبِ وَالْقَلْبِ
(ص ١٥٩ - الهزج (أوالوافر المحزوء) - أبو
دؤاد الإيادي)

« التاء »

* المضمومة :

- أَرْجُلُ جُمَّتِي وَأَجْرُ ذَيْلِي وتحمل شِكَّتِي أَفْقُ كُمَيْتُ
أَمْشِي فِي سَرَاةِ بَنِي عَطِيفِ إذا ما نابني ضَيْمٌ أَبَيْتُ
(ص ١٤٦ - الوافر - عمرو بن قنساس المرادي)

* المكسورة :

- تَضَوَّعَ مِسْكَ بَطْنِ نُعْمَانَ إِذْ مَشَتْ به زينب في نسوة خَقِيرَاتِ
(ص ١١٦ - الطويل - أبو حية النميري)
- ظَلَلْتُ كَأَنِّي لِلرَّمَاكِ دَرِيْعَةٌ أَقَاتَلُ عَنْ أَبْنَاءِ جَزْمٍ وَفَرَّتِ
(ص ١٣٢ ، ص ٢٧٤ - الطويل - عمرو
ابن معديكرب)

ولما رأيتُ الخيل زورًا كأنها جداولُ زرع خُلِّيتْ فاشبَطَرتْ

(ص ٢٣٨ - الطويل - عمرو بن معديكرب)

أفني الولايم أولادًا لواحدة وفي العيادة أولادًا لعلات

(ص ١٠٧ - البسيط - ...)

إنك إن صاحبتنا مديحت

ولف الفخذان أو سميت

(ص ١٠٢ - الرجز - ...)

من يك ذا بت فهذا بتي

مربع مصيف مشتي

جمعه من نجات بيت

(ص ١١٢ - الرجز - العجاج)

حلت تناصر غربة فاحتلت حلث

(ص ٨٥ - الكامل - سليمان بن ربيعة)

درت بأرزاق العفاة مغالق

(ص ١٨٣ - الكامل - سلمى بن أبي ربيعة)

رجل إذا ما النائبات غشيتة

(ص ٢٦٣ - الكامل - سلمى بن أبي ربيعة)

ولقد رأيت ثأى العشيرة بينها

(ص ٢٦٣ - الكامل - سلمى بن أبي ربيعة)

ما جَدُّ يُطْعِمُ فِي الْمَحْ لِي عَبِيْطَ الْمُتَّقِيَّاتِ
فِي جِفَانٍ كَالْجَوَابِي وَقَدُورٍ رَاسِيَّاتِ
(ص ١٨٥ - الرمل المجرؤ - امرؤ القيس)

« الشاء »

* المضمومة :

إِنِ الْقَوْمُ غَطُّونِي تَغَطُّيْتُ عَنْهُمْ وَإِنِ بَحَثُوا عَنِّي ففِيهِمْ مَبَاحِثُ
وَإِنِ حَفَرُوا بَثْرِي حَفَرْتُ بِثَارِهِمْ يُعْغَلَمُ مِنَّا مَا تُكْرَهُ النَّبَاثُ
(ص ٢٣٩ - الطويل - أبو دلامة)

« الجيم »

* المفتوحة :

أَخْلَقَ بَذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ وَمُذْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا
(ص ٢٧٢ - البسيط - ...)

إِذَا حَجَّاجَا مُقْلَتَيْهَا هَجَّجَا

(ص ٢٥ - الرجز - المعجاج)

وَمَرْسِنَا أَقْنَى وَطَرْفَا أَدْعَجَا

(ص ٢٥ - الرجز - المعجاج)

لَا قَفْرًا عَشًّا وَلَا مُهَبَّجَا

(ص ١٠٥ - الرجز - ...)

وَكُلُّ عَيْثَاءَ تُرْجِي بِحَزْبَا

كَأَنَّهُ مُسْرَوَّلٌ أَرْتَدَجَا

(ص ١٥١، ص ١٩٦ - الرجز - العجاج)

كَالْحَبَشِيِّ التَّفِّ أَوْ تَسَبَّجَا

فِي سَقْلَةٍ أَوْ ذَاتِ زِفِّ عَوْهَجَا

(ص ١٩٩ - الرجز - العجاج)

وَاسْتَبَدَلَتْ رُسُومُهُ سَفَنَجَا

أَسْكَ نِعْضًا لَا يَنْبِي مُسْتَهْدَجَا

(ص ٢٠٣ - الرجز - العجاج)

وَاتَّخَذَتْهُ النَّائِحَاتُ مَنَاجَا

(ص ٢٣٠ - الرجز - العجاج)

* المضمومة :

عَلَى ثَدْيِهَا ذُو ثُومَتَيْنِ لَهْوَجُ

(ص ١٠٩ - الطويل - الفرزدق)

إِذَا الْمَرْضَعُ الْعَوْجَاءُ بَاتَ يَغْرِهَا

إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَنِ النَّاجِ

(ص ١٧٦ - السريع - الحارث بن حلزة)

لَا تَكْسَعُ الشُّؤْلَ بِأَغْبَارِهَا

* المكسورة :

يُرَى بِسُغَى الْبُهْمَى أَخِلَّةٌ مُلْهِجُ

(ص ١٨٢ - الطويل - الشماخ)

رَعَى بَارِضَ الْوَسْمِيِّ حَتَّى كَأَمَّا

وَدَوِّيَّةٌ قَفِرَ تَمَشَّى نِعَاجُهَا

كَمَشَّى النصارى في خِفافِ الأَرَنْدَجِ

(ص ٢٥٠ - الطويل - الشماخ)

حتى أضاء سراج دونه بَقَرُ

حُمُرُ الأنامل عَيْنَ طَرْفُهَا ساجي

(ص ٣٠ - البسيط - الراعي الثميري)

كأنَّ أصواتَ مِنْ إِيغَالِهِنَّ بنا

أواخِرُ أَلَيْسِ أصواتُ الفراريجِ

(ص ١٨٧ - البسيط - ذو الرمة)

يا رَبُّ بيضاءَ ضَحُوكِ ضَمَعَجِ

(ص ١٠٤ - الرجز - ...)

« الحاء »

* المفتوحة :

حيث تَحُكُ الإِبْرَةُ القبيحا

(ص ٤١ - الرجز - أبو النجم)

تُرْجِي السحابَ العَهْدَ والفُتُوحا

(ص ٢٢٨ - الرجز - أبو النجم)

كل خليل كنتُ خالته

لا تَرَكَ اللّهَ له واضحه

كُلُّهُمُ أَرْوَعٌ من ثعلبٍ

ما أشبَهَ الليلَةَ بالبارحه

(ص ٣٧ - السريع - طرفه بن العبد)

* المضمومة :

تَرَى الذُّلَّ يَكْرَهُنَ الرياحَ إذا جرت

ومَيَّ بها لولا التَحَرُّجُ تفرحُ

روادفها وانضمَّ منها الموشحُ

(ص ٥٠ - الطويل - ذو الرمة)

بَعَى الوُدُّ من مطروفة العين طامح

(ص ١٠٦ - الطويل - الحطيئة)

كُمَيْتٌ كلون الصُّوفِ أَرْجُلُ أَقْرَعُ

(ص ١٥٦ - الطويل - المرقش الأصغر)

وَمَسَّحَ بالأركان مَنْ هو ماسح

وسالت بأعناق المطيِّ الأباطح

(ص ١٧٤ - الطويل - كثير عزة)

ومنقارها الأعلى نيارٌ مُلَوِّحُ

(ص ٢٠٦ ، ص ٢٢١ - الطويل - الطرماح)

إذا حركتها الريح في الميزطُ أشرفت

وما كنت مثل الهالكِيِّ وعزيبه

أسيلٌ نبيلٌ ليس فيه معابةٌ

فلما قضينا من مِئى كُلِّ مَنسِكِ

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا

عقابٌ عَبَثَقَاءُ كأنَّ وَظِيفَهَا

* المكسورة :

وأخذي الحمدَ بالثمن الربيح

وضربي هامةَ البطل المِشِيح

مكانك تُحَمِّدي أو تستريحي

(ص ١٢٤ - الوافر - عمرو بن الإطنابة)

تَسُحُّ من وابل سَمُوحِ

ثم استَهَلِّي على الضريح

أَبَتْ لي عِفَّتِي وأبى حيائي

وإقدامي على المكروه نفسي

وقولي كُلِّمَا جشأت وجاشت

قلت لِحَنَائِي دَلُوحِ

أُمِّي الضريح الذي أُسَمِّي

ليس من العدل أن تَشْحِي على فتى ليس بالشحيح

(ص ٢٦٢ - البسيط المجرؤ - مطيع بن إياس)

بَيْتًا تَنْوَحَانِ مَعَ الْأَنْوَاخِ

وَأَبْنَاءَ مُلَاعِبِ الرَّمَاخِ

وَمِدْرَةَ الْكُتَيْبَةِ الرَّوَاخِ

(ص ٥٩، ص ٢٦٩ -

الرجز - لبيد بن ربيعة)

تَمْشِي بِجَهْمِ حَسَنِ مُلَاخِ

أَجْمٌ حَتَّى هَمَّ بِالصِّيَاخِ

(ص ٦٤ - الرجز - ...)

يَا زُبَّ شَيْخٍ مِنْ بَنِي رِيَاخِ

إِذَا مَلَأَ الْبَطْنَ مِنَ الصُّيَاخِ

صَاخٍ يَلِيْلَى أَنْكَرِ الصِّيَاخِ

(ص ٩٦ - الرجز - ...)

مَا أَعْلَمَ الْمَائِخَ يَا سِتَّ الْمَائِخِ

(ص ٢٣٤ - الرجز - ...)

لَوْ كَانَ حَتَّى مُدْرِكَ الْفَلَاخِ

أَدْرَكَهُ مُلَاعِبِ الرَّمَاخِ

(ص ٢٦٥ - الرجز - لبيد بن ربيعة)

«الذال»

* الساكنة :

الْعَيْنُ لَا يُبْرِئُهَا مِنْ هُدَيْدٍ

إِلَّا الْقَلَايَا مِنْ سَنَامٍ وَكَبِيدٍ

(ص ٣٢ -الرجز- ...)

لَطَامًا حَلَّتْهَا لَا تَرِدُ

فَحَلْيَاهَا وَالسَّجَالُ تَبْتَرِدُ

مِنْ حَرٍّ أَيَّامٍ وَمِنْ لَيْلٍ وَيَدُ

(ص ١٧٧، ٢٣٣ -الرجز- ...)

إِنَّكَ لَوْ ذُقْتَ الْكُشَا بِالْأَكْبَادِ

لَمَا تَرَكْتَ الضَّبَّ يَغْدُو بِالْوَادِ

(ص ٢٦٧ -الرجز- ...)

بَيْنَ أَظَارِ حَوَالِيهِ رَكَدُ

وَحَصِيفٍ كَطَلًا مُطْلَنَفِيئُ

(ص ١١٨ -الرميل- ...)

أَوْ قُرَابِ النِّصْفِ مُبْتَدُ الْمَعْدُ

بِحَرْشَعٍ هَادِيهِ مِنْهُ نِصْفُهُ

(ص ١٦٠ -الرجز- ...)

* المفتوحة :

إِنْخَالُ غَدَاً مِنْ فُرْقَةِ الْحَيِّ مَوْعِدَا

لِتَبِكَ غَرَائِيْقُ الشَّبَابِ فِإِنِّي

(ص ٧٧ -الطويل- كلثوم بن صعب)

وإن لم تكن هند لأرضكما قصداً

(ص ١٩٢ - الطويل - وردة الجعدي)

وإن شئت لم أطعم ثَقَاخًا ولا بَرْدًا

(ص ٢٣٥ - الطويل - العزجي)

فلسنا بالجبال ولا الحديد

(ص ٦٨ - الوافر - عقية الأسدي)

قَلَمَ أصاب من الدواة مِدَادَهَا

(ص ١٩٧ - الكامل - عدي بن الرقاع)

د تَنَمَّرُوا جِلَقًا وَقَدًّا

(ص ١٢٤، ١٣٥ - الكامل)

المجزوء - عمرو بن معد يكرب)

لا خير في كُفِي الشهادة

(ص ٢٤ - الرجز المنهوك - أعرابي)

كما الذئب يُكْنَى أبا جَعْدَةَ

(ص ٩٤ - المقارب - عبيد بن الأبرص)

خليلي عُوجًا بارك الله فيكما

فإن شئت حرَّمتُ النساءَ مِنَّ اجْلِكُمْ

مُعَاوِيَ إِنَّا بَشَرٌ فَأَسْجِجْ

تُزْجِي أَعْنُ كَأَنَّ إِبْرَةَ رُؤْيِهِ

قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ

* المضمومة :

خواصرها وازداد رَشْحًا وريدها

(ص ٩٧ - الطويل - الراعي)

فَحَشْبُكَ وَالضْحَاكَ سَيْفٌ مُهْتَدٌ

(ص ١٤٦ - الطويل - ...)

ولما سقيناها العَكَيْسَ تَمَذَّحَتْ

إِذَا كَانَتِ الْهَجِيَاءُ وَانْشَقَّتِ الْعَصَا

أرى الدهر لا يتقى على حدّثانيه

أبوؤدّ بأطراف المناعة جلعُد

(ص ١٦٤ - الطويل - ساعدة

ابن جزية العبدي)

الواهب المائة الجزجور زينها

سعدان توضح في أوارها اللبد

(ص ١٦٩، ص ٢٤٥ - البسيط - النابغة

الذياني)

ما كان جمعهم في حدّ سورتنا

إلا ذباب هوى فافتمه الأسد

(ص ١٩٤ - البسيط - ...)

في زرب يلقى حور مدامعها

كانهن يجنبي جزية البرد

(ص ١٩٥ - البسيط - أبو ذؤيب)

ولا مثيب من الثيران أفرده

عن كوره كثرة الإغراء والطرد

(ص ١٩٥ - البسيط - أبو ذؤيب)

ولست بصادر عن بيت جاري

صدور العير غمّره الورود

(ص ٩١ - الوافر - عقيل بن علفة المري)

ما زالت الدلو بها تعود

حتى أفاق غيمها المجهود

(ص ٩٢ - الرجز - ...)

وكأنّ قهزة تاجر جيبت له

فضّل لأسفلها كفاف أشود

(ص ١١٣ - الكامل - الطرمح)

* المكسورة :

وإن يُدِيرُوا نَضْرِبَ أَعَالِي الْقَمَاجِدِ

(ص ٢٣ - الطويل - ...)

ويبلغ ما لا يبلغ السيف يذوّدي

(ص ٣٤ - الطويل - حسان بن ثابت)

غريتا فلا يفرك خالك من سَعِدِ

إذا لم يُزَاجِمَ خَالَهُ بِأَبِ جَلِدِ

(ص ٣٨ - الطويل - النمر بن توبل)

لِعَضْبِ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ مَهْنَدِ

(ص ٤٧ - الطويل - طرفة بن العبد)

على عَشْرِ أَوْ حِزْوَعٍ لَمْ يُخْصَدِ

(ص ١٠٨ - الطويل - طرفة بن العبد)

لَثَكَّتَقْنَ حَتَّى تُشَادَ بِقَرْمِدِ

(ص ١٢٠ - الطويل - طرفة بن العبد)

ولا أهل هَذَاكَ الطَّرَافِ المَعْمَدِ

(ص ١٢٠ - الطويل - طرفة بن العبد)

نَوَادِيهَا أَسْعَى بِعَضْبِ مُجْرُودِ

(ص ١٦٩ - الطويل - طرفة بن العبد)

فإن يُقْبِلُوا نَطَقْنَ تُغُورَ نَحُورِهِم

لساني وسيفي صارمان كلاهما

إذا كنت في سَعِدِ وَأُمَّكَ مِنْهُمْ

فإن ابن أخت القوم مُضَعَى إناؤه

فأليث لا ينفك كَشْحِي بطانة

كأنَّ البُرَيْنَ والدَّمَالِيحِ عُلَّقَتْ

كقنطرة الرُّومِيِّ أقسم رُبُّهَا

رأيتُ بني غبراء لاينكرونني

وبزك هَجُودِ قد أثارت مخافتي

على ظهرها من نِيَّهَا عَيْرٍ مَحْفِدِ
(ص ١٨١ - الطويل - زهير)

تَنَاولُ أطرافَ البَرِيرِ وترتدي
(ص ١٩٦ - الطويل - طرفة بن العبد)

كمكحولتي مذعورة أُمُّ فَرَوْدِ
(ص ١٩٦ - الطويل - طرفة بن العبد)

وعامت بضبعيها نِجَاءَ الخَفِيدِ
(ص ٢٠٢ - الطويل - طرفة بن العبد)

حجاجيه سُكَا في العسيبِ بِمَشْرَدِ
(ص ٢٠٦ - الطويل - طرفة بن العبد)

تساقط على حردِ دماء الأَسَاوِدِ
(ص ٢١٣ - الطويل - زهير)

على فَتَنَ عَصُ النَّبَاتِ مِنَ الرُّؤْدِ
(ص ٢٤٨ - الطويل - عبد الله بن الدمينه)

لِرَفْرَاقِ آلِ فَوْقِ رَابِيَةِ صُلْدِ
(ص ٢٥٢ - الطويل - العديل)

ابن الفرح العجلي)
وظيفًا وظيفًا فوق مَوْرِ مُعَبَّدِ
(ص ٢٥٩ - الطويل - طرفة بن العبد)

جَمَالِيَّةٌ لَمْ يُبْقِ سِيرِي وَرَحَلْتِي

خَذُولُ ثُرَاعِي رُبْرَبًا بِخَمِيلَةَ

طَحُورَانِ عُوَازَ الْقَدَى فتراهما

وإن شئت سَامِي وَأَسَطَ الكُورِ رَأْسُهَا

كَأَنَّ جَنَاحِي مَضْرَجِي تَكْتَفَا

أَسُودُ شَرَى لَاقَتْ أَسُودَ خَفِيَّةِ

أَنَّ هَتَفَتْ وَرَقَاءَ فِي رُؤْتِي الضحى

وَكَنتُ كَمُهْرِي الَّذِي فِي سِقَائِهِ

تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتِ وَأَتَبَعْتُ

- وهل أخطبَن القوم وهي عريَّة
أضول الألاء في ثرى عميد جعدي
(ص ٢٦٠ - الطويل - ذو الرمة)
- وحزف كالأواح الإزان نسأتها
على لاجب كأنه ظهر بزجد
(ص ٢٦٢ - الطويل - طرفه بن العبد)
- وإن أدع للجللى أكن من حوماتها
وإن تأتلك الأعداء بالجهد أجهد
(ص ٢٦٢ - الطويل - طرفه بن العبد)
- إذا أنت فاكهت الرجال فلا تلغ
وقل مثل ما قالوا ولا تتزئد
(ص ٢٧٤ - الطويل - ...)
- فارتاع من صوت كلاب فبات له
طوع الشوامت من خوف ومن صرد
(ص ٢٢، ص ٢٢٥ - البسيط - النابغة)
- من وحش وجرزة مؤشبي أكارعه
طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد
(ص ٤٧ - البسيط - النابغة)
- فمن عصاك فعاقبه معاقبة
تتهى الظلوم ولا تقعد على صمد
(ص ٧١ - البسيط - النابغة)
- فهو ينبذن من قول يصين به
مواقع الماء من ذي العلة الصادي
(ص ٩١ - البسيط - القطامي)
- خلت سبيل آتي كان يحبسه
ورفعتة إلى الشجفين فالنصد
(ص ١٢٢، ٢٢٥ - البسيط - النابغة)

- والأذم قد خيئت فثلاً مرافقها
مشدودة بحبال الحيرة الجدد
(ص ١٧٨ - البسيط - النابغة)
- لا تحسبن يابن علباء مقادحتي
ضرب الصريح من الكوم المقاحيد
(ص ١٨٥ - البسيط - الشماخ)
- مقدوفة بدخيس النخض بارلها
له صريف صريف القعو بالمسد
(ص ١٨٥ - البسيط - النابغة)
- سرت عليه من الجوزاء سارية
تزجي الشمال عليها جامد البرد
(ص ٢٢٧ - البسيط - النابغة)
- واحكم كحكم فناة الحي إذ نظرت
إلى حمام شراع وارد الثمد
(ص ٢٣٥ - البسيط - النابغة)
- ها إن تا عذرة إلا تكن نعت
فإن قائلها قد تاه في البلد
(ص ٢٦٧ - البسيط - النابغة)
- هما رمحان خطيان كانا
من الشمر المثقفة الصعاد
(ص ١٣٠ - الوافر - بعض طي)
- تمناني وسابغة دلاصا
كأن قديرها حدق الجراد
(ص ١٣٣ - الوافر - عمرو بن معديكرب)
- سقط النصف ولم ترد إسقاطه
فتناولته واتقتنا باليد
(ص ١١١ - الكامل - النابغة)

- ولقد أصابت قلبه من حُبِّها عن ظهر ميزانٍ بسهمٍ مضرد
(ص ١٤٠ - الكامل - النابغة)
- دَعْ ذا وَسَلْ الهَمَّ عنك بِجِسْرَةٍ تنجو نَجَاءَ الأُخْدَرِيِّ المُفْرَد
(ص ١٧٧، ص ٢٠٤ - الكامل - زهير)
- وإذا نَزَعَتْ نَزَعَتْ عن مُسْتَحْصِفٍ نَزَعَ الحَزْوَرُ بِالرِّشَاءِ المُحْصِدِ
(ص ١٨٨ - الكامل - النابغة)
- وَتَحُلُّ في دار الحِفَاظِ بُيُوتَنَا رُتِعَ الخَمائلُ في الدَّرِينِ الأَسْوَدِ
(ص ٢٤٦ - الكامل - مضر بن ربيعي)

يا بَكَرَ بَكَرَيْنِ ويا يَلْبَ الكَبِدِ
أصبحت مني مثل كَفِّ من عَضُدِ
(ص ٤٨ - الرجز - الكميث بن زيد)

إذا سُهَيْلٌ لَحَجَّ في الوَقُودِ
فَرَدًا كَشاةَ البقرِ المطرودِ
(ص ١٩٧ - الرجز - ذو الرمة)

جاءت به مُعْتَجِرًا بِبُرُودِهِ
سَفَوَاءً تَزْدِي بنسيجِ وحده
(ص ١٦٦ - الرجز - حسان بن ثابت)

خارجُ نَاجِدَاهُ قد بَرَدَ المو تُ على مُضْطَلاهُ أَيُّ بُرُودِ
(ص ٣٦ - الحفيف - أبو زيد الطائي)

جاهداً يستغيث غير مغاثٍ ولقد كان عُضْرَةَ المنجود
(ص ٢٦٦ - الخفيف - ...)

«الذال»

لما رأينا القوم في إغذاذ
وأنه السير إلى بغذاذ
جئت فسلمت على مُعَاذ
تسليم مَلَاذٍ على مَلَاذٍ
طَرُومَذَّةٍ مني على طَرُومَاذٍ

(ص ١٩٠ - الرجز - ...)

كَعُوذِ الْمُعَطِّفِ أَخْرَى لَهَا بِمَضْرَةِ الْمَاءِ رَأْمٌ رَذِي
(ص ١٧٠ - المقارب - أبو ذؤيب)

«الراء»

* الساكنة :

وغررتني وزعمت أن لك لاِبِنٌ في الصيف تَامِرُ
(ص ١٣٨ - الكامل المجزوء - الخطيئة)

أنا أبو النجم إذا ابْتَلَّ العَدْرُ

ضاحي القوافي عنده خير وشر

(ص ٣٢ - الرجز - أبو النجم)

بالمشرفيات يُقَطِّعَنَّ القَصْرَ

فما يُصَيِّنَ طابَقًا إلا أَنْعَفَرَ

(ص ٤٨ - الرجز - أبو النجم)

إذ أنا كالضُرُوعَامَةِ الغَضَنَفَرِ

لو أتغدى رجلاً لم أُشِيرُ

منه سوى كُغْبِرَةٍ أو كُغْبِيرِ

(ص ٥١ - الرجز - ...)

إذا تخازرَونَ ومالي مِنْ خَزَرَ

ثم خَبَأْتُ العَيْنَ مِنْ غَيْرِ عَوَرِ

(ص ١٢٣ - الرجز - ...)

غَشْمَشَمٌ يَغْشَى الشجرِ

(ص ١٢٥ - الرجز - ...)

قد سَبَّيَ بنو الغراب الأَعورِ

كل عَجوزٍ منهم ومُعْصِرِ

(ص ٢٠٧ - الرجز - سالم)

ابن دارة اليربوعي)

وهِضْبَاتٍ إذا ابْتَلَّ العُنْذُرِ

(ص ١٦٣ - الرجز - طرفة)

إن تَسَلَّمَ الجِلَّةُ فالْحِشْوُ هَدَرِ

(ص ١٧٠ - الرجز - ...)

صَارِ غَدًا يَنْفِضُ صَبَانَ المطرِ

أَقْنَى تَظَلُّ طَيْرُهُ عَلَى حَذَرٍ

(ص ٢٠٦ - الرجز - حميد الأرقط)

سَيَّرَ الْجِرَادُ الشَّدَّ تَزْدَادُو الْخُصْرَ

(ص ٢١٩ - الرجز - المعجاج)

ضاحي القوامي عنده خير وشر

بَحْرٌ إِذَا مَا جَزَرَ الْبَحْرَ زَخْرٌ

(ص ٣٢ ، ٣٣٢ - الرجز - أبو النجم)

كَأَنَّهَا مِنْ سِمَنِ وَاشْتِيغَازِ

دَبَّتْ عَلَيْهَا عَارِمَاتُ الْأَنْبَاؤِ

(ص ٢٧١ - الرجز - ...)

طَبَقُ الْأَرْضِ تَحْرَى وَتَدْرُ

(ص ٢٩ - الرمل - امرؤ القيس)

إِنَّمَا يَخْزَنُ لَحْمَ الْمُدَّخِرِ

(ص ١٠١ - الرمل - ...)

وَعَكِيكَ الصَّيْفِ إِنْ جَاءَ بِقُرٍ

(ص ٢٢١ - الرمل - طرفة)

لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُسْكِرُ

لِي الْكَأْسِ وَلَمْ أَشْعُرْ

(ص ٩٥ - الهزج (أوالوافرا) مجزوء) - ...)

دَيْمَةٌ هَطْلَاءٌ فِيهَا وَطْفٌ

نَحْنُ لَا يَخْزَنُ فِيهَا لَحْمَنَا

تَطْرُدُ الْبَرْدَ بِحَرٍّ صَادِقٍ

لَمَنْ عَاجَلَنِي سُكْرٌ

وَلَكِنْ أَغْرَقَ السَّاقِي

- نحن في المشتاة ندعو الجفلى
لا ترى الآدب فينا ينتقرو
(ص ٢٧٢ - الرمل - طرفة)
- ولى إزبة في جميل الصبا
يُزَيَّنُ باطنه ما ظهر
(ص ٥٨ - المقارب - الحرمي)
- كأن المدام وضوب الغمام
وريح الخزامى ونشر القطر
يُعلُّ به بزُد أنيابها
إذا طرَب الطائر المُشْتَجِر
(ص ١١٥ - المقارب - امرؤ القيس)
- له جبهة كسراة الميخُن (م)
حذفه الصانع المقندر
(ص ١٥٨ - المقارب - امرؤ القيس)
- لها ذنب مثل ذيل العروس
تسُدُّ به فرجها من دُبر
(ص ١٦٤ - المقارب - امرؤ القيس)
- وأركب في الروع خيفة
كسا وجهها سَعَف منتشر
(ص ١٦٥ - المقارب - امرؤ القيس)
- رأى أرنبا سنحت بالفضا
فبادرها ولجات الخمز
(ص ٢٤٧ - المقارب - أبي بن سلمى)

* المفتوحة :

- فدغ ذا وسل اللهم عنك بجسرة
ذمول إذا صام النهار وهجرا
(ص ١٧٧، ص ٢٢٢ - الطويل -)

(امرؤ القيس)

أقول له لما أتاني نعيه به لا يظنني بالصريحة أغفرا

(ص ١٩٨ - الطويل - الفرزدق)

فصادف سهمه أحجار فف كسرون العيز منه والغرارا

(ص ١٣٢ - الوافر - عبيد بن حمي)

(الراعي)

أطاعن دونك الأبطال شزرا كليت أبايتن يشق زارا

(ص ٢١٢ - الوافر - عمرو بن معديكرب)

ومعيتا يحيي الصوار كأنه متخبط قطم إذا ما بربرا

(ص ١٩٦ - الكامل - جابر بن حريش)

فأرتك كفا في الخضا ب ومغصا ملء الجبازه

(ص ١٠٩ - الكامل المجزوء - الأعشى)

كأما تكسو الحجاب المخدرا

أقمز زمل فوق زمل أقمرا

(ص ١٥٠ - الرجز - أبو النجم)

دلوا ترى الدالج منها أزورا

إذا تعب في السرى هررا

(ص ٢٣٦ - الرجز - ...)

بفك من سار إلى القوم البرا

(ص ٢٦٠ - الرجز - ...)

أنا عِلِّيُّ وَأَكْنَى حَيْدَرَه
كليث غاباتٍ غليظ القَصْرَه
أضرب بالسيف رعوس الكفره
أَكِيلُكُمْ بالسيف كَيْلَ السُّنْدَرَه

(ص ٢١١ - الرجز - علي بن أبي طالب)

وإذا الخُرْدُ اغْبَرَزْنَ المَحْـ ل وصارت مَهْدَاؤَهْن عَفِيرَا

(ص ١٠٦ - الخفيف - الكميت)

كَأَنَّ جَيْثِيَا مِنَ الزُّنْجَبِيـ ل بات بفيها وَأَزْمَا مَشُورَا

(ص ٩٥ - المقارب - الأعشى)

* المضمومة :

وَعَبْدَ يَغُوثٍ أَنْزَلْتَه رِمَاحِنَا قَدِ اخْتَرَّتْ عُرُوشِيَه الحُسَامِ المَذْكُرِ

(ص ٣٩ - الطويل - ذو الرمة)

فَفَاجَأَهُمْ يَسْتَنُّ نَائِي عِطْفِيَه لَه عَيْبٌ كَأَمَّا بَات يَمْكُرُ

(ص ٤٦ - الطويل - أبو زيد الطائي)

عُنِينَا زَمَانًا بِالتَّصْغَلِكِ والغنى وَكُلًّا سَقَانَاهُ بِكَأْسِيهِمَا الدَّهْرِ

فَمَا زَادَنَا بَأْوًا عَلَي ذِي قَرَابَةِ غَثَانَا وَلَا أَرْزَى بِأَحْسَابِنَا الْفَقْرِ

(ص ٧٣ - الطويل - حاتم الطائي)

فَأَوْقَضَ عَنْهَا وَهِيَ تَرَوُّو حُشَّاشَةً بذي نَفْسِهَا وَالموتِ خَزْيَانٌ يَنْظُرُ

(ص ٧٥ - الطويل - ...)

وقد لَحِبَ اللَّحْيَانِ وَآخَذَ وَدَبَ الظَّهْرَ

وهل يصلح العطار بِلُحَى أَهْلِهَا

فَكَانَ مُخَاقًا كُفْلُهُ ذَلِكَ الشَّهْرَ

وَكُحْلُ بَعِينِيهَا وَأَثْوَابُهَا الصُّفْرَ

(ص ١٧١ - الطويل - ...)

وَيُتْرِكُ عَوْدًا لَا ضِرَابَ وَلَا ظَهْرَ

(ص ١٧١ - الطويل - ...)

بِهَازِرُهُ وَالْمَوْتُ فِي السِّيفِ يَنْظُرُ

(ص ١٧٥ - الطويل - ...)

أَلْحُ فِسَادٌ وَاسْتَجَدُّ نَشُورَ

عِلَا الْجِلْدِ بُرْءٌ ظَاهِرٌ وَطُرُورُ

(ص ١٨٩ - الطويل - ...)

إِلَى الْجَمْرِ قَيْدَ الرَّمْحِ لِاحْتِرَاقِ الْجَمْرِ

(ص ٢١٨ - الطويل - ...)

لَمُورِدٍ حَزْمٍ إِنْ فَعَلْتَ وَمَصْدَرُ

(ص ٢٧٥ - الطويل - تأبط شرا)

أَلْدُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشُورُهَا

(ص ٩٥ - الطويل - خالد بن زهير)

عَجُوزٌ تُرَجِّي أَنْ تَكُونَ فَتِيَّةً

تَدْسُ إِلَى الْعَطَارِ بِلُحَى أَهْلِهَا

تَزَوَّجْتَهَا قَبْلَ الْمُخَاقِ بَلِيلَةِ

وَمَا غَرَّنِي إِلَّا خَضَابُ بَكْفِهَا

أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّابَ تُحَلِّبُ عُلْبَةَ

فَقَمْتُ بِنِصْلِ السِّيفِ وَالْبُرُوكَ هَاجِدًا

إِذَا قَلْتُ يَتَرَا بَعْضُ دَاءِ عَشِيرَتِي

كَمَا انْتَشَرَتْ مَخْشِيَةُ الْعَرِّ بَعْدَ مَا

هَلَّ الْوَجْدُ إِلَّا أَنْ قَلْبِي إِنْ دَنَا

وَأُخْرَى أَضَادِي النَّفْسِ عَنْهَا وَإِنَّمَا

وَقَاسَمَهَا بِاللَّهِ جَهْدًا لِأَنْتُمْ

- نقاسمهم أَسْيَافَنَا شَرَّ قِسْمَةٍ
 ففينا غواشيها وفيهم صدورها
 (ص ١٢٨ - الطويل - جعفر بن علة الحارثي)
- لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْرَفْتُ يَوْمَ عُنَيْزَةَ
 على رغبة لو شَدَّ نفسي مريها
 (ص ١٨٨ - الطويل - شبيب بن
 البرصاء المري)
- وَسَوَدَ مَاءَ الْمَرْدِ فَاهَا فَلَوْنُهُ
 كلون التُّور وهي أَدْمَاءُ سَأْرُهَا
 (ص ١٩٨ - الطويل - أبو ذؤيب)
- فَمَا أُمُّ حِشْفٍ بِالْعَلَايَةِ مُشْدِينِ
 تَتَوَشُّ الْبَيْرِزِ حَيْثُ نَالَ اهْتِصَارَهَا
 (ص ١٩٨، ص ٢٤٣ - الطويل - أبو ذؤيب)
- فَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزْنِ طَيِّبَةُ الشَّرَى
 يُبْحِجُّ النَّدَى جَحْجَاجُهَا وَعَرَازُهَا
 (ص ٢٥٣ - الطويل - كثير عزة)
- تَغْنُّ بِالشَّعْرِ إِذَا كُنْتَ قَائِلَهُ
 إن الغناء لهذا الشعر مضمار
 (ص ١٦١ - البسيط - ...)
- وَإِنْ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهُدَاةُ بِهِ
 كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارَ
 (ص ٢٥٧ - البسيط - الخنساء)
- تَكْفِيهِ فَلَذَّةُ كِبْدٍ إِنْ أَلَمَ بِهَا
 مِنْ الشَّوَاءِ وَيَزْوِي شُرْبُهُ الْعُمُرُ
 (ص ٩١ - البسيط - أعشى باهلة)
- وَلَا يُنْجِي مِنَ الْغَمَرَاتِ إِلَّا
 بَرَكَاءُ الْقِتَالِ أَوْ الضَّرَارِ
 (ص ١٤٣ - الوافر - بشر بن أبي خازم)

- مَحَلُّ عَلَيِّ مُفْرَهَةٌ سِنَادٌ على أخفافها عَلَقُ يَمُورُ
(ص ١٧٤ - الوافر - مالك بن جعدة)
- فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمِيْرُو رَغُوْنَا حَوْلَ قُبَيْتِنَا تَدُوْرُو
(ص ٢٠٠ - الوافر - طرفة)
- بُغَاثُ الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا جَسُومَا ولم تَطَّلِ الْبُجْرَاةُ وَلَا الصَّقُورُ
(ص ٢٠٥ - الوافر - كثير غرة)
- أَلَا يَا لَيْتَ أَحْوَالِي عَدِيًّا لهم في كل ما آتِي دُوَارُ
(ص ٢٧٥ - الوافر - ...)
- فَلَوْلَا عَشْبُهُ لَرَدَدْتُمُوهُ وَشَرُّ مَنِحَةٍ تَيْسٌ مُعَاْرُ
(ص ٢٧٧ - الوافر - زهير)

جَارِيَةٌ بِسَطَطَيْنِ دَاوْرَهَا
قَدْ أَعَصْرَتْ أَوْ قَدْ دَنَا إِعْصَارَهَا
يَسْقُطُ مِنْ غُلْمَتِهَا إِزَارَهَا
(ص ١٠٣ - الرجز - منصور بن مرثد الأسدي)

أَطْلَسُ يُخْفِي شَخْصَهُ غَبَاوَهُ
فِي شِدْقِهِ شَفَرْتُهُ وَنَارِهِ
(ص ١٥٢ - الرجز - ...)

أَطْلَسُ يَخْفِي شَخْصَهُ غَبَاوَهُ
بَهُمْ بَنِي مُحَارِبِ مُزْدَاوَهُ

هو الخبيث عَيْثُهُ فُرَاؤُهُ

في شِدْقِهِ شَفْرَتُهُ وَنَارُهُ

(ص ٢١٣، ص ٢١٤ - الرجز - ...)

وَشَوَاتِي خَلَّةٌ فِيهَا دُؤَارٌ

(ص ٢١ - الرمل - الأفوه الأودي)

وَأَدْرَاعُ اللَّامِ وَالطَّرْفُ يَحَارُ

(ص ١٤٦ - الرمل - الأفوه الأودي)

ظَلَفٌ مَا نَالَ مِنَّا وَبِجَبَارِ

(ص ١٦٨ - الرمل - الأفوه الأودي)

كَلِمَا كَرَّرْتُ عَلَيْهِ لَا تَغَارُ

(ص ١٨٨ - الرمل - الأفوه الأودي)

إِذْ هَوَّوْا فِي هُوَّةٍ فِيهَا فِغَارُ

(ص ٢٣٨ - الرمل - الأفوه الأودي)

تَكَادُ السَّمَوَاتُ مِنْهَا تَمُورُ

(ص ٢٦٣ - التقارب - ...)

إِنْ تَرَى رَأْسِي فِيهَا صَلَعٌ

عَلَّمُوا الطَّعْنَ مَعَدًّا فِي الْكُلَى

حَكَمَ الدَّهْرُ عَلَيْنَا أَنَّهُ

تَقَطَّعَ اللَّيْلَةَ مِنْهُ قُوَّةٌ

بَيْنَمَا النَّاسُ عَلَى عُلْيَائِهَا

أَلَمْتُ حُؤَيْجِيَّةً عَنَقْفِيرُ

* المكسورة:

مَشَى فِي الْمُنَاشِ آفَا كُلُّ مَجْزُرٍ

(ص ٤٠ - الطويل - عروة بن الورد)

لَحَا اللَّهُ صَعْلوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ

وشدة نفسي أم عمرو وما تدري
(ص ٧٨ - الطويل - سعد بن
ناشب المازني)

بناءً بَنَوُهُ فوق ظفر إلى ظفر
(ص ١٣٦ - الطويل - ...)

عليكم ولكن أبشري أم عامر
(ص ٢١٤ - الطويل - الشنفرى)

على جانب الثُّرَّاثِ راغية البكر
(ص ٢٣٧، ٢٦٣ - الطويل - ...)

دَمُ الرِّقِّ عِنا واصطفاقُ المِزاهر
(ص ٢٦٩ - الطويل - شبرمة بن الطفيل)

فَدَلَّ عليها صوتها حَيَّةُ البحر
(ص ٢٧٠ - الطويل - الكميث)

عاري الأشاجع من قُناصِ أثمار
(ص ٤٢ - البسيط - النابغة)

وعنبر الهند مشبوب على النار
(ص ١١٦ - البسيط - ابن هرمة)

من آخر الصيف قد هَمَّتْ يازهار
(ص ٢٤٤ - البسيط - الأخطل)

تعاتبني فيما ترى من شراستي

وتحليلُ رَكِبِ عَوَّزُوا رفعوا لهم

فلا تقبروني إن قبري مُحَرَّمٌ

لعمري لقد لاقت سليم وعامر

ويومٍ كظَلُّ الرمحِ قَصَّرَ طُولَهُ

ضفادع لَيْلٍ في خليج تجاوبت

أَهْوَى له قانصٌ يسعى بِأَكْلِبِهِ

لكن أتيت وروح المسك يفعمني

كَأَنَّ مُحَاضَةَ في رأسه نبتت

- أَتَأَزْتُهُمْ بَصْرِي وَالْأَلَّ يَرْفَعُهُمْ
 حتى اشمذرُ بطرف العين إتأري
 (ص ٢٧٠ - البسيط - ...)
- سَقَوْنِي النُّشِيءَ ثُمَّ تَكْتَفُونِي
 عُدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ
 (ص ٩٨ - الوافر - عروة بن الورد)
- تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمٍ عَرَّارٍ نَجِيدٍ
 فما بعد العشية من عرار
 (ص ٢٤٨ - الوافر - الضمة القشيري)
- عَمَزَ ابْنُ مُرَّةٍ يَا فَرْزَدَقَ كَيْتَهَا
 عَمَزَ الطَّبِيبِ نَغَانِغِ الْمَذُورِ
 (ص ٣٢ - الكامل - جرير)
- كَمْ عَمَةٌ لَكَ يَا جَرِيرَ وَخَالَةَ
 قَدْعَاءَ قَدْ حَلَبْتَ عَلَيَّ عِشَارِي
 (ص ٤٢ - الكامل - الفرزدق)
- نُبِّفْتُ أَنْ بَنِي سَحِيمٍ أَدْخَلُوا
 مَا بَيْنَهُمْ تَأْمُورَ نَفْسِ الْمُنْدَرِ
 (ص ٧٥ - الكامل - أوس بن حجر)
- سَهَكَيْنِ مِنْ صَدَأِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ
 تَحْتَ السَّنُورِ جِنَّةَ الْبَقَارِ
 (ص ١٣٤ - الكامل - النابغة)
- وَكَأَنَّمَا أَثَرَ الْجَدِيلِ بِأَنْفِهَا
 أَثَرَ الثُّيُوبِ بِكُفْرَةِ الظُّفْرِ
 (ص ١٣٦ - الكامل - ...)
- وَلَقَدْ رَأَيْتَ الْخَيْلَ شُلْنَ عَلَيْهِمْ
 شَوْلَ الْخَاضِ أَتَتْ عَلَى الْمُتَغَبِّرِ
 (ص ١٧٦ - الكامل - بعض
 بني قميم)

فتذكرا ثَقَلًا زَثِيدًا بعدما أَلَقْتَ دُكَاءَ يَمِينِهَا فِي كَافِر

(ص ٢٢٠ - الكامل - ثعلبة بن صعير)

وَلَقَدْ جَنَيْتِكَ أَكْمُؤًا وَعَسَاقِلًا وَلَقَدْ نَهَيْتِكَ عَنِ بَنَاتِ الْأَوْبَرِ

(ص ٢٤٥ - الكامل - ...)

وَكَأَنَّهَا جِرْقُ الْجِرَا د تَشُورُ يَوْمَ غُبَارِ

(ص ٢١٩ - الكامل المجزوء - ...)

بعد الجلا ولائح القَتِيرِ

(ص ٢٧ - الرجز - المعجاج)

فِي خُشْشَاوَى حُرَّةِ التَّحْرِيرِ

(ص ٢٤ - الرجز - المعجاج)

تَمَشِي كَمَشِي الْوَجَلِ الْمَبْهُورِ

عَلَى نَخْبَيْدًا قَصَبِ تَمَكُورِ

(ص ١٠٣ - الرجز - المعجاج)

نَكْبَاءُ جَاءَتْ مِنْ جِبَالِ الطُّورِ

تُرْجِي أَرَاغِيلَ السَّحَابِ الْخُورِ

(ص ٢٢٧ - الرجز - المعجاج)

قَدْ كُنْتَ أَنْذَرْتَكَ لَقَطِ الْعُصْفُرِ

بِاللَّيْلِ حَتَّى تَصْبِحِي وَتَسْفِرِي

إِنِّي زَعِيمٌ لَكَ أَنْ تَزْحَرِي

عن وارم الجبهة ضخم المشفر

(ص ٢٤٤ - الرجز - ...)

تخطو على بزديتي غدير

(ص ٢٤٧ - الرجز - المعجاج)

ناد في صحراء نجد إن أجابتك الصحاري

(ص ٢٥٠ - الرمل المجزوء - الفرزدق)

فرماها في فرائضها بإزاء الحوض أو عُقيرة

(ص ٢٣٤ - الرمل - امرؤ القيس)

قد أحجم الثدي على نحرها في مشرق ذي بهجة نائر

(ص ١٠٢ - السريع - الأعشى الكبير)

ما يجعل الجد الضئون الذي جئب صوب اللجب الماطر

مثل الغراتي إذا ما طما يقدف بالبوصي والماهر

(ص ٢٣٩، ص ٢٤٠ - السريع - الأعشى)

« الزاي »

دغني فقد يقرع للأضر

صكي حجاجي رأسه وبهزي

(ص ٢٥ - الرجز - رؤية)

«السين»

* الساكنة :

إذا حملتْ بِرُتِّي على عَدَسٍ
على التي بين الحمار والفرس
فلا أبالي من غزا ومن جلس

(ص ١٦٦ - الرجز - ...)

والليل كالدماء مستشعر
من دونه لو نأ كلون السدوس
(ص ١١٤ ، ص ٢٣٢ - السريع - الأفوه)

والدهر لا يبقي على صرّفه
مغفرة في حالق مَرَمَرِيس
(ص ٢٠١ - السريع - الأفوه)

ولا أحو تَيْهَاء ذو أربع
مثل الحصى يَزْعَى خَلِيسَ الدِّيس
(ص ٢٤٧ - السريع - الأفوه)

* المفتوحة :

لُدُّشْنَاكُم بالخيل من كل جانب
كما داس طباخ القُدُورِ الكرادسا
(ص ٥٠ - الطويل - عمرو بن

معديكرب)

يا صاح هل تعرف رسما مُكْرَسَا

قال نعم أعرفه وأبْلَسَا

(ص ٧٠ ، ص ١١٨ - الرجز - المعجاج)

سبقَتْ إلى قَرِطٍ ناهل تنابله يحفرون الرّساسا
(ص ٦٦ ، ص ٢٣٥ - المقارب - النابغة الجعدي)

*** المضمومة :**

ولما أقرته اللّصَابُ تنفست شَمَالُ بأعلى مائة وهو قارس
(ص ٢٢٥ ، ص ٢٥٦ - الطويل -
أبو صميرة البولاني)

أَغْرَكَ أنني رجل دميمٌ دُحَيْدِحَةٌ وأنك عَيْطُمُوسُ
(ص ٦٧ ، ص ١٠٢ - الوافر ...)

يا ليت شعري عنك دَحْتُمُوسُ
إذا أتاهما الخبر المرموس
أتخلق القرون أم تَمِيسُ
لا بل تَمِيسُ إنها عروس

(ص ٢٣ - الرجز - لقيط بن زرارة)

*** المكسورة :**

قد جَرَّبَتْ عَزْكَي في كل مُعْتَرِكِ يُزَلُّ الجِمالُ فما بال الضغاييس
(ص ٨١ - البسط - جرير)

ويَزِينُها في النَّحْرِ حَلِي واضح وقلائد من حُجَلِيَّةٍ وسُلُوسُ
(ص ١٠٩ - الكامل - عبد الله بن

مسلم ، من بني ثعلبة)

- خيلاً كأمثال السعالى شُدْبًا تعدو ببيض في الكريهة سُوس
(ص ١٥٣ - الكامل - الأشر
مالك بن الحارث)
- أضرب عنك الهُمومَ طارقها صَزَبَكَ بالسوط قَوْنَسَ الفرس
(ص ١٥٤ - المنسرح - طرفة)

« الشين »

- وأعددتُ للحرب فُضفاضةً دَلَاصًا تُنْثِي على الراهش
(ص ٤٣ - المقارب - عمرو بن معديكرب)
- وأجرَدَ سَاطِ كِشَاةِ الإزَا ن رِبْعَ فَعَيَّ على الناجش
(ص ١٩٧ - المقارب - عمرو بن معديكرب)

« الضاد »

- يببتون في المشتى بطاناً بطونهم وجاراتهم غَزَوْنِي يَبْتَنُ خمائصا
(ص ٨٨ - الطويل - الأعشى)
- يَطْوِي إِذَا مَا الشُّحُّ أَقْفَلَ بابه بطناً عن الزاد الخبيث خميصا
(ص ٨٩ - الكامل - مية بنت ضرار)

«الضاد»

* المفتوحة :

لا يدفنون منهم من فاضا
(ص ٢٦٢ - الرجز - رؤية)

* المضمومة :

ولو أشرفت من كُتَّةِ السُّرِّ عاطلاً لقلت غزالاً ما عليه حَخَصَاضُ
(ص ١٠٩ - الطويل - القناني)
وإن لنا حَمَضًا من الموت مُتَقَمًا وإنك مختلٌ فهل أنت حامض
(ص ٢٤٥ - الطويل - قوال الطائي)

«الطاء»

* المفتوحة :

إن اصطحبتُ رائبًا عجالِطا
من لبن الضأن فلست ساخطا
(ص ٩٦ - الرجز - ...)

* المضمومة :

هذا زمان قد بدت أشراطه
وَوُزِّيئِشْتُ من نَجْله مِرَاطه
لم يبق إلا السيف واختراطه
(ص ١٤٠ - الرجز - ...)

لما رأيتُ زجرهم هَمَطُ
علمت أن فارسًا مُنْحَطُ

(ص ١٦٥ - الرجز - ...)

* المكسورة:

ووجه قد جَلَوْتُ أُمَيْمِ صَافٍ أَسِيلٍ غَيْرِ جَهْمِ ذِي حَطَايِ

(ص ٦٥ - الوافر - المتخل بن عويمر)

وما يرقد وَزَدْتُ عَلَيْهِ طَامٍ عَلَى أَرْجَائِهِ زَجَلُ الْغِطَايِ)

قَلِيلٌ وَرَدَهُ إِلَّا سَبَاعًا تَخْطِي الْمَشِي كَالنَّبْلِ الْمَرَايِ

(ص ١٤٠، ٢١٠ - الوافر - تأبط شرا)

ذَرِينِي مِنْكَ حَمَاءُ الْعِلَاطِ قَطَايِي مِنْ بَتَارِيخِي قِطَايِ

(ص ٢٠٩ - الوافر - حميد بن ثور الهلالي)

صُبَّتْ عَلَى شَاءِ أَبِي رِيَاطِ

ذُوَالَةِ كَالْأَقْدَحِ الْمَرَاطِ

يَدْنُو إِذَا قِيلَ لَهُ يَغَايِ

(ص ٢١٤ - الرجز - ...)

«الظاء»

* المضمومة:

ناضني وسهمه مرعوظ

(ص ١٣٩ - الرجز - ...)

* المكسورة:

وَأَيُّ قَتَى صَبْرٍ عَلَى الْأَيْنِ وَالظَّمَا إِذَا اعْتَصَرَتْ لِلُّوحِ مَاءً فِظَاظِهَا

(ص ٢٦٤ - الطويل - ...)

* * *

السماعات والإجازات على
المخطوطات وثائق تسهم كثيرًا في
تفسير حقائق مبهمة، وتصحيح
أخطاء، في اسم كتاب أو مؤلفه،
أو نسبة تلمذة، أو نفي مشيخة .

وقد أسهمت سماعات
الصفاني (ت ٦٥٠هـ)،
وإجازاته - ومن خلال التتبع
الزمني - في تصحيح بعض
الأسماء المغلوطة لكتب ألفها
الصفاني . ومن خلالها خلص د .
أحمد خان إلى أن الصفاني ارتضى
لنفسه في نسبه «الصفاني» دونما
ألف - الصاغاني - خلافًا لبعض
الذين قاموا بتحقيق بعض مؤلفاته .

سماعات مؤلفات الصفاني اللغوية

د . أحمد خان*

إن الإجازات التي سجلها العلماء على المخطوطات ،
والسماعات المرقومة منهم على الكتب تُعدّ من الوثائق التاريخية
التي تكشف لنا كثيرًا من الغوامض ، وتبين لنا كثيرًا من الحقائق .
وتعد هذه الوثائق مهمة في تتبع حركة العلم ، ومعرفة تراجم العلماء ، وطرق
التدريس والكتب التي سادت في مدارسنا الإسلامية ، وعند العلماء البارزين في
القرون الغابرة .

وهي من ناحية أخرى تعيننا على معرفة شخصية المسمع عليه ، كما تشير
إلى مكانته العلمية والاجتماعية في عصره . فضلاً عن ذلك فإن هذه
السماعات تمدّنا بمعلومات تعيننا في تحقيق عناوين الكتب المقروءة على العلماء ،
وفي نفس الوقت تحدد لنا مواضع ورود القارئ والمسمع علمه بمكان واحد وفي
وقت واحد . فضلاً عن أمور أخرى تتعلق بالعلماء وطلبة العلم .

- ١ -

وقد اخترنا بضع سماعات تتعلّق بالحسن بن محمد بن الحسن الصغاني
(ت ٦٥٠هـ) ، اللغوي الشهير ^(١) ، وهي سماعات مهمة جدًّا من نواحٍ عديدة ،
فهي - مثلاً - تعيننا في تحديد أسماء كتبه ، وخاصة التي فقدت عناوينها أو
فقدت أوراقها الأولى ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى تلقي ضوءًا على حياته
الأخيرة التي كانت مزدحمة ، وعلى أعماله التأليفية .

(١) انظر لترجمته : مقدمة كتاب الأنفعال ، له ، ورسالة الدكتوراه لأحمد خان : حول لغوية
الصغاني ، التي قدمها إلى جامعة بنجاب بلاهور (باكستان) . ومن خلال هذه السماعات نستطيع
أن نعرف بعض تلاميذ الديماطي كذلك .

ونضع أمامكم مثلاً فائدة من فوائد هذه السماعات ، فإن كتاب « فَعَالٍ » للصغاني ، توجد منه نسخة تعد الأمّ ، كتبها شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي (ت ٧٠٥ هـ) ، المحدث الشهير وتلميذ الصغاني الأخير ^(١) ، وهذه النسخة توجد الآن في مكتبة « شهيد علي باشا » بتركيا ، ولسوء الحظ فقدت ورقتها الأولى ، وعليها عنوان الكتاب وشيء من مقدمته . والنسخة التي كانت أمام د. عزة حسن التي نشر عليها الكتاب في مجمع اللغة العربية بدمشق ، منسوخة من هذه النسخة الدمياطية وفيها الخلل نفسه ، لهذا لم يهتد د. عزة حسن إلى عنوان الكتاب الصحيح ، فاختر له عنوانا من بين العناوين الواردة ضمن ترجمة الصغاني في مؤلفات التراجم ، عنوانا عجيبا وغريبا على العلماء ، وخاصة على محبي تراث الصغاني ، وقد أشرت إلى هذا الخطأ في نقد كتبه في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق قبل ٢٥ سنة ^(٢) . والأمر الذي يهمني هنا أنه لو لم يسجل الدمياطي المذكور أعلاه عنوان الكتاب هذا في سماع مسجل على الكتاب لظلّ عنوان الكتاب غلطا أبدا الدهر .

- ٢ -

ونميط اللثام عن وجه غامض آخر يتعلق بالصغاني ، بالاستعانة بهذه السماعات التي وجدناها مسجلة على كتبه المسموعة عليه من الدمياطي المشار إليه آنفا . ونكشف هذا الغموض لأول مرة منذ أن ترجم له أول مترجم في القرن السادس الهجري ، وظلّ هذا الأمر غامضا حتى شاء الله أن يلقي شكّا في قلبي

(١) ولترجمته انظر: الأعلام (طبعة خامسة) ، للزركلي : ٣١٨/٤ .
(٢) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، عددها الرابع من مجلدتها السادس والأربعين (أكتوبر ١٩٧١ م) .

حول هذا ، إذ قبض الله لي جمع الكتب التالية للصفاني بمكان واحد .

- ٣ -

من المعلوم أن الديمياطي قد انتسخ بيده مجموعة من مؤلفات الصفاني ، وقرأها في الوقت نفسه عليه ، وظلت هذه المجموعة من الكتب لدى الديمياطي ، ولكنها بعد وفاته انفصلت - لا نعرف متى - وصارت مجموعتين ، مكثتا دهرًا عند العلماء ومحبي التراث . وفي النهاية وصلت واحدة منهما إلى مكتبة « شهيد علي باشا » بتركيا ، وانتهت الأخرى إلى مكتبة بودليانة (BODLIAN) بإنجلترا .

وهاتان المجموعتان تشتملان على مؤلفات الصفاني الآتية :

أ - المجموعة الأولى التي توجد نسختها بمكتبة « شهيد علي باشا » :

- كتاب يَقُول .

- كتاب الأضداد .

- كتاب (الشُّوَارِد من اللُّغَات) .

- كتاب نَقَعَة الصُّدَيَّان (الورقة الأولى فقط) .

- كتاب (فَعْلَان) دون ورقته الأولى .

- كتاب الانفَعَال .

- كتاب (فَعَالٍ) دون ورقته الأولى .

ب - المجموعة الثانية التي توجد نسختها بمكتبة بودليانة :

- كتابٌ فيه شرح السُّمُطِيَّة الصفانية .

- قصيدةٌ في شكوى الدهر .
 - خمسُ أبياتٍ ، للصغاني .
 - كتابُ تَرَائِيبِ لُغَاتِ الْعَرَبِ .
 - عَدَدُ آيِ الْقُرْآنِ ، للصغاني .
 - ١١ بيتًا ، للصَّغَانِي .
 - الْمُقَرَّرَاتُ ، للصغاني .
 - كتبٌ ورسائلٌ أُخرى ليست للصغاني .
- وقد وجدنا بعض السماعات المهمة على الكتب التالية، ورتبناها لغرض خاص زمنيًا، على وفق قراءة الـديماطي على مؤلفها في فترة ممتدة من شهر محرم إلى شهر شعبان سنة ٦٥٠هـ .

- كتاب (فَعْلَان) : قرأه الـديماطي على مؤلفه في ٢٣ محرم .
- قصيدة شكوى الدهر : قرأها الـديماطي على ناظمها في أواخر محرم .
- كتاب (يَفْعُول) : قرأه الـديماطي على مؤلفه في مستهل جمادى الآخرة .
- كتاب نَقْعَةُ الصُّدْيَانِ : قرأه الـديماطي على مؤلفه في ٧ جمادى الآخرة .
- كتاب (فَعَالٍ) : قرأه الـديماطي على مؤلفه في ١٥ جمادى الآخرة .
- كتاب (الْإِنْفِعَال) : قرأه الـديماطي على مؤلفه في ٥ رجب .
- كتاب تَرَائِيبِ لُغَاتِ الْعَرَبِ : قرأه الـديماطي على مؤلفه في ١١ رجب .
- كتاب (الْأَضْدَاد) : قرأه الـديماطي على مؤلفه في ١٣ رجب .

- كتاب فيه شرح السُّنْطِيَّةِ الصَّغَانِيَّةِ (وهو شرح القلادة السمطية) : قرأه
الدمياطي على مؤلفه في ١٧ شعبان .
- ويظهر من مواظبة الدمياطي على قراءة الكتب اللغوية على الصغاني أنه
لازمه في هذه الفترة من مكوثه ببغداد واستفاد منه استفادة طيبة .
- وقد وردت أسماء بعض تلاميذ الصغاني في السماعات (موضوع هذا
البحث) ، وهذه قائمة بهم :
- إبراهيم بن يحيى بن أبي حفاظ الكناسي ، برهان الدين - (لوحة ١٠) .
- أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن القسطلاني المكي الفقيه ، قطب
الدين - (لوحة ١ ، ٢) .
- أحمد بن أبي القاسم بن عبد الله الأواني ، معين الدين أبو العباس -
(لوحة ٥) .
- سعد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله الحذامي الأندلسي البياني النحوي ،
سعد الدين أبو عثمان - (لوحة ٥ ، ٨ ، ١٠) .
- سليمان بن يوسف بن محمد بن أبي حيان الملياني ، رضي الدين
(لوحة ١٠) .
- عبد الله بن محمد بن أبي بكر الغساني الأندلسي المالكي (لوحة ١٠) .
- عبد المؤمن بن خلف الدمياطي التونسي - (لوحة ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ،
٧ ، ٨ ، ٩) .
- علي بن يحيى بن علي النميري الغرناطي ، محيي الدين أبو الحسن

(لوحة ١٠).

- محمد (ولد الصغاني) ، ضياء الدين أبو البركات - (لوحة ٦ ، ٧) .

- محمد بن أحمد بن محمد البكري الشريشي ، جمال الدين أبو بكر

(لوحة ١٠) .

- محمد بن عبد الرحمن المكي - (لوحة ١) .

- محمد بن الفقيه أبي عبد الله الحسين بن أبي الحسن علي بن منصور بن

فرقد ، شمس الدين أبو جعفر - (لوحة ٥) .

- محمد بن عبد المنعم بن عبد الله بن أحمد الكتاني القاهري ، جمال

الدين أبو عبد الله - (لوحة ١ ، ٢) .

- محمد بن محمد بن بدر السبتي المالكي ، شهاب الدين أبو عبد الله -

(لوحة ١٠) .

- محمد بن ميمون بن علي الكومي ، شمس الدين أبو عبد الله -

(لوحة ١٠) .

- محمد القاسم بن أحمد بن محمد بن أبي العباس الخولاني الأندلسي

الإشبيلي ، بدر الدين أبو عبد الله - (لوحة ٦) .

وقبل أن نخوض في الأمور التي تكشفت لنا ، لا بد لنا أن نضع أمام القارئ

هذه السماعات ليكون على بينة ويرى بأمره ما نريد أن نوضحه من غموض ،

وما انكشف لنا من هذه السماعات من أمور أخرى .

نحو انما يات في غنق وثلث بديري والعالا آية ليزن
 اما في سبع لا تفرح القسيان الكسار
 القسريان صدر نورك نوري العنبر فيكون مدينا
 انما شرع الهكسريان صدر نورك نوري في
 شلوته فذلك عندنا وهذا وقد اهدى هذا في
 الهكسريان صدر نورك نوري هذا عن الامام في
 وحلالت الرفع هفتنا وفتنا اذا ناك ٩

نحو انما يات في غنق وثلث بديري والعالا آية ليزن
 اما في سبع لا تفرح القسيان الكسار
 القسريان صدر نورك نوري العنبر فيكون مدينا
 انما شرع الهكسريان صدر نورك نوري في
 شلوته فذلك عندنا وهذا وقد اهدى هذا في
 الهكسريان صدر نورك نوري هذا عن الامام في
 وحلالت الرفع هفتنا وفتنا اذا ناك ٩

قصيدة في شكوى الدهر

نحو انما يات في غنق وثلث بديري والعالا آية ليزن
 اما في سبع لا تفرح القسيان الكسار
 القسريان صدر نورك نوري العنبر فيكون مدينا
 انما شرع الهكسريان صدر نورك نوري في
 شلوته فذلك عندنا وهذا وقد اهدى هذا في
 الهكسريان صدر نورك نوري هذا عن الامام في
 وحلالت الرفع هفتنا وفتنا اذا ناك ٩

نحو انما يات في غنق وثلث بديري والعالا آية ليزن
 اما في سبع لا تفرح القسيان الكسار
 القسريان صدر نورك نوري العنبر فيكون مدينا
 انما شرع الهكسريان صدر نورك نوري في
 شلوته فذلك عندنا وهذا وقد اهدى هذا في
 الهكسريان صدر نورك نوري هذا عن الامام في
 وحلالت الرفع هفتنا وفتنا اذا ناك ٩

[١]

- كتاب «فعلان» - الورقة الأخيرة منه - نسخة «شاهد علي باشا» .
سمع جميع هذا الكتاب [هو كتابُ فَعْلَان] على مؤلفه شيخنا الإمام العلامة حجة العرب ، لسان أهل الأدب ، فخر الحفاظ ، عمدة المحدثين ، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن مُحَمَّد بن الحسن بن حيدر بن علي بن إسماعيل القرشي العدوي العمري الصغاني ، زاده الله على تحوي مرضاته عوناً ، وجعله من الذين يمشون على الأرض هوناً ، بقراءة السيد العالم الفاضل قطب الدين أبي بكر بن أحمد بن علي بن القسطلاني المكي الفقيه ، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن عبد الله بن أحمد الكتاني القاهري ، ومحمد بن عبد الرحمن المكي ، وعبد المؤمن بن خلف الدمياطي ، وهذا خطه ، في الثالث والعشرين من المحرم سنة خمسين وستمائة بمنزله بالحريم الطاهري ، غربي مدينة السلام بغداد .
- صحيح ذلك ، وكتب المتجئ إلى حرم الله تعالى ، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ، مسح الله ما به ، وأحضره شريك بابه ، حامداً ومصلياً .

[٢]

- قصيدة في شكوى الدهر ، نظم شيخنا الإمام العلامة رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد الصغاني .

- سمعت هذه القصيدة من لفظ منثبها شيخنا وسيدنا الإمام العلامة وحيد دهره ، فريد عصره ، حجة العرب ، لسان الأدب ، رضي الدين ، معتمد الملوك والسلاطين ، أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني عافاه الله

وشفاه وصانه من الأسقام وحماه ، في أواخر المحرم سنة خمسين وستمائة ،
وسمع قُطْبُ الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن القسطلاني المكي ،
والجمالُ محمد بن عبد المعتم المصري ، وذلك بالحريم الطاهري غربي مدينة
السلام بغداد ، حرسها الله .

- وكتب عبدُ المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي ، عفا الله عنه .
- صحيح ذلك ، وكتب الصغاني ، حامدًا ومصليًا .

[٣]

- كتابُ (يَقُول) ، تأليف الشيخ علامة الوقت ، فريد العصر ، حجة
العرب ، لسان الأدب ، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن
ابن حيدر بن علي بن إسماعيل الصغاني .

- قرأتُ جميع هذا الكتاب معارضا بالأصل على مؤلفه الشيخ الإمام
العلامة ، فريد عصره ، وحيد دهره ، لسان العرب ، حجة أهل الأدب ، فخر
المُحدِّثين والحفاظ ، فارس المعاني والألفاظ ، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن
محمد بن الحسن القرشي العدوي الصغاني ، رفع الله قدره ونشر ذكره ، في
مستهل جمادى الآخرة سنة خمسين وستمائة بالحريم الطاهري من بغداد .

- وكتب عبدُ المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي .
- صحيح ذلك ، وكتب المنتجى إلى حرم الله تعالى ، الحسنُ بنُ محمد بن
الحسن الصغاني ، أعاده الله إلى حرمه بفضل رحمته وكرمه ، في التاريخ ،
حامدًا ومصليًا .

[٤]

- نَقَعَةُ الصُّدَيَّانِ ، تَأَلِيفُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْعَلَّامَةِ ، وَحِيدِ الْعَصْرِ ، فَرِيدِ الدَّهْرِ ، حِجَّةِ الْعَرَبِ ، لِسَانِ أَهْلِ الْأَدَبِ ، رَضِيِّ الدِّينِ أَبِي الْفَضَائِلِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَسَنِ الصَّغَانِيِّ .

- قَرَأْتُ جَمِيعَ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى مُصَنِّفِهِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْعَلَّامَةِ ، وَحِيدِ الْعَصْرِ ، فَرِيدِ الدَّهْرِ ، حِجَّةِ الْعَرَبِ ، لِسَانِ أَهْلِ الْأَدَبِ ، رَضِيِّ الدِّينِ أَبِي الْفَضَائِلِ ، الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الصَّغَانِيِّ ، فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ سَابِعِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ خَمْسِينَ وَسِتَّمِائَةٍ ، بِدَجْلَةَ فِي السَّفِينَةِ ، ظَاهِرِ بَغْدَادِ .

- وَكَتَبَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ خَلْفِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الدِّمِياطِيِّ .

- صَحِيحٌ ذَلِكَ ، وَكَتَبَ الْمَلْتَجِيُّ إِلَى حَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى ، الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الصَّغَانِيِّ ، رَأَى اللَّهُ بَجَنَاحِهِ وَمَحَا بَجَنَاحِهِ وَيَسَّرَ نَجَاحَهُ ، حَامِدًا وَمُصَلِّيًا .

[٥]

- كِتَابُ (فَعَالٍ) : الْوَرَقَةُ الْآخِرَةُ مِنْهُ ، نَسْخَةٌ غَيْرُ كَامِلَةٍ مَحْفُوظَةٌ بِشَهِيدِ عَلِيِّ بَاشَا .

- قَرَأْتُ جَمِيعَ هَذَا الْكِتَابِ [وَهُوَ فَعَالٍ] عَلَى مُؤَلِّفِهِ وَمَهْدَبِهِ ، مَعَارِضًا بِأَصْلِهِ الَّذِي بَخَطَ يَدَهُ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ حِجَّةُ الْعَرَبِ ، لِسَانِ أَهْلِ الْأَدَبِ ، مَعْتَمِدِ الْمَحْدَثِينَ ، فَخْرِ الْحَقَاطِ ، رَضِيِّ الدِّينِ أَبِي الْفَضَائِلِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الصَّغَانِيِّ حَرَسَهُ اللَّهُ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَأَقَاصَ عَلَى الْعَالَمِ فَوَاضِلَ فَضْلِهِ . وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ الْعَالِمَ الْفَاضِلَ سَعْدُ الدِّينِ أَبُو عَثْمَانَ سَعْدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ

عبد الله الأندلسي ثم البياني النحوي ، والسيد الفاضل العالم الأجل شمس الدين أبو جعفر محمد بن الفقيه أبي عبد الله الحسين بن أبي الحسن علي بن نصر بن منصور بن فرقد ؛ ومعين الدين أبو العباس أحمد بن أبي القاسم بن عبد الله الأواني . وصحَّ وثبت في يوم الجمعة الخامس عشر من شهر جمادى الآخرة سنة خمسين وستمائة بالحريم الطاهري غربي مدينة السلام .

- وكتب عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي .

- صحيح ذلك ، وكتب الملتجئ إلى حرم الله تعالى ، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني أوزعه الله شكر نعمته وتولاه بفضلته ورحمته ، حامداً ومصلياً .

[٦]

- كتاب الانفعال ، تأليف الشيخ السيد الإمام العلامة حجة العرب ، لسان الأدب ، الورع العابد ، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ، أعاده الله إلى حرمه وأمنه ، وأعاد عليه من بركته ومثته .

- قرأت جميع هذا الكتاب على مؤلفه شيخنا العلامة فريد الدهر ، وحيد العصر لسان الأدب ، حجة العرب ، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ، أئذله الله من السقام بالشفاء ومن الداء بالإبراء آمين ، فسمع الفقيه الصالح الجليل بدر الدين أبو عبد الله محمد القاسم بن أحمد بن محمد بن أبي العباس الخولاني الأندلسي الإشبيلي في مجلس واحد . وسمع السيد الجليل للعالم ضياء الدين أبو البركات محمد ولد شيخنا الإمام العلامة المشيخ المؤلف ، أكثره ، وفاته قليل من أوله . وصحَّ في يوم الخميس الخامس من رجب سنة خمسين وستمائة بالحريم الطاهري ، غربي بغداد .

- وكتب عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدميّاطي عفا الله عنه .
- صحيح ذلك ، وكتب الملتجئ إلى حرم الله تعالى ، الحسن بن محمد بن الحسن الصغانيّ ، أعاده الله إلى منى وعرفات وبدل سيئاته حسنات ، حامدًا ومصليًا .

[٧]

- كتاب (تَرَائِبِ لُغَاتِ الْعَرَبِ) ، جمعه الشيخ العلامة ، وحيد العصر ، فريد الدهر ، حجة العرب ، لسان الأدب ، الملتجئ إلى حرم الله تعالى ، رضي الدين أبي الفضائل ، الحسن بن محمد بن الحسن الصغانيّ .

قرأت جميع هذا الكتاب على مصتفه ومؤلفه الشيخ الإمام العلامة فريد الدهر وحيد العصر ، حجة العرب لسان الأدب ، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن العُمريّ الصغاني الحنفي ، عافاه الله وشفاه وصانه من الأعلال والأوجاع وحماه ، معارضًا بالأصل الذي بخطه ، ومنه كتبت ، فسمعه ولده السيد العالم الفاضل أبو البركات محمد ، وضّح في يوم الأربعاء الحادي عشر من شهر الله الأصب رجب الفرد الذي من سنة خمسين وستمائة بالحريم الطاهري ، بمدينة السلام بالجانب الغربي .

- وكتب عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الثونبيّ الدميّاطي ، عفا الله عنه ، في التاريخ .

- صحيح ذلك ، وكتب الملتجئ إلى حرم الله تعالى ، الحسن بن محمد بن الحسن الصغانيّ ، شفاه الله من ألم يُعانيه ، وأطلعه على غوامض الورع ومعانيه حامدًا ومصليًا .

[٨]

- كتاب (الأضداد)، تأليف الشيخ العلامة وحيد العصر، فريد الدهر، حجة العرب، لسان الأدب، الملتجئ إلى حرم الله تعالى، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني الحنفي اللغوي، أعاده الله إلى أشرف البقاع وأقبره منه أربع أذرع في ذراع.

- قرأت جميع هذا الكتاب على مصنفه ومهذبه ومؤلفه ومرتبته، الشيخ العلامة فريد العصر، وحيد الدهر، حجة العرب، لسان الأدب، فخر الحقاظ، فارس المعاني والألفاظ، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، سلمه الله وحماه، ونسخ ضعفه بمحكم قواه، فسمعه السيد العالم الفاضل الأديب البارع سعد الدين أبو عثمان سعد بن أحمد بن أحمد البياني النحوي المالكي، ملكه الله أزمة العلوم، وزينه بأحسن الحلووم. وصح ذلك في يوم الجمعة ثالث عشر رجب سنة خمسين وستمائة بالحریم الطاهري غربي مدينة السلام.

- وكتب عبد المؤمن بن خلف الدمياطي.

- صحيح ذلك، وكتب الملتجئ إلى حرم الله تعالى، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، جعل الله عاقبته إلى صحة وصلح، وأعاده إلى طيبة وصلح^(١)، حامداً ومصلياً.

(١) صلاح: اسم علم لكفة المكرمة. النهاية لابن الأثير ٤٦/٣.

[٩]

- كتاب فيه شَرْحُ السُّمُطِيَّةِ الصَّغَانِيَّةِ ، المُرْتَجَلُ فِي شَرْحِ الْقِلَادَةِ السُّمُطِيَّةِ فِي تَوْشِيحِ الدَّرِّيْدِيَّةِ ، تَأَلِيفُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ عَلَّامَةِ ذَهْرِهِ ، وَفَرِيدِ عَصْرِهِ ، حِجَّةُ الْعَرَبِ ، لِسَانِ الْأَدَبِ ، رَضِيَ الدِّينُ أَبِي الْفَضَائِلِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّغَانِيِّ الْحَنْفِيِّ اللَّغَوِيِّ .

- قَرَأْتُ جَمِيعَ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى مُؤَلَّفِهِ وَمَحَرَّرِهِ وَمَهْدَبِهِ وَمَحَبَّرِهِ وَرَاصِعِ دَرَرِهِ ، مَعَارِضًا بِأَصْلِهِ الَّذِي بَخَطَهُ ، عَلَى الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ فَرِيدِ عَصْرِهِ وَخَيْدِ ذَهْرِهِ ، حِجَّةُ الْعَرَبِ ، لِسَانِ الْأَدَبِ ، رَضِيَ الدِّينُ أَبِي الْفَضَائِلِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَسَنِ الصَّغَانِيِّ ، عَافَاهُ اللَّهُ وَشَفَاهُ ، وَصَانَهُ مِنَ الْأَسْقَامِ وَحَمَاهُ ، فِي مَجْلِسَيْنِ : آخِرُهُمَا يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ سَابِعِ عَشَرَ شَعْبَانَ الَّذِي مِنْ سَنَةِ خَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، بِالْحَرِيمِ الطَّاهِرِيِّ غَرْبِيِّ مَدِينَةِ السَّلَامِ بَغْدَادَ .

- وَكَتَبَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ خَلْفِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الدِّمِياطِيِّ ، عَافَاهُ اللَّهُ عَنْهُ ، حَامِدًا مَصْلِيًّا .

- صَحِيحٌ ذَلِكَ ، وَكَتَبَ الْمَلْتَجِيُّ إِلَى حَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَيْدَرِ الصَّغَانِيِّ ، عَافَاهُ اللَّهُ وَشَفَاهُ ، حَامِدًا مَصْلِيًّا .

[وَبِإِزَاءِ هَذَا السَّمَاعِ كَتَبَ الدِّمِياطِيُّ]

تُوْفِّيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ قَرَأَتِي عَلَيْهِ هَذَا الْكِتَابِ لَيْلَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ التَّاسِعِ عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ الْمَذْكُورِ بِالْحَرِيمِ الْمَذْكُورِ ، وَأَنَا آخِرُ مَنْ قَرَأَ عَلَيْهِ .

* * *

وهناك سماعان على الصغاني لتأليفين غير لغويين : أحدهما للصغاني ،
والآخر للخطّابي ، وأعتقد أن إيرادهما هنا لا يخلو من فائدة لأنهما يدلّان
كذلك على تلاميذه الذين استفادوا منه .

[١٠]

- سمع جميع هذا الكتاب ، وهو (مشارق الأنوار النبوية من صحاح
الأخبار المصطفوية) ، على مصنّفه الشيخ الإمام العالم الأوحّد ، رئيس
الأصحاب الصدر الكبير المحترم قدوة الأمة وعمدة الأئمة ، المتّجئ إلى حرم الله
تعالى ، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني رضي
الله عنه ، بقراءة الفقيه الإمام الحافظ المتقن جمال الدين أبي بكر محمد بن
أحمد بن محمد البكري الشريشي السادة الفقهاء : برهان الدين إبراهيم بن
يحيى بن أبي حفاظ المكناسي ، [٣] وسعد الدين سعد بن أحمد بن أحمد بن
عبد الله الحذامي البياني ، [٤] محيي الدين أبو الحسن علي بن يحيى بن علي
النميري الفرناطي ، [٥] ورضي الدين سليمان بن يوسف بن محمد بن أبي
حيان الملياني ، [٦] وشهاب الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن بدر السبتي
المالكي ، [٧] وشمس الدين أبو عبد الله محمد بن ميمون بن علي الكومي ،
[٨] وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الغساني الأندلسي المالكي ، عفا الله عنه .

في مجالس آخرها يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة
سبع وثلاثين وستمائة ، فضحّ ذلك وثبت في منزل الشيخ المصنّف من باب
الأزج .

- وكتب عبدُ الله بن محمد بن أبي بكر الغساني . والحمد لله وحده ،
وصلواته على محمد وآله وسلامه .

- صحيح ذلك ، وكتب المتجني إلى حرم الله تعالى ، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ، أحله الله أعلى محال أولى الفضل والحجى ، وجعله علماً في الفضائل كالنجم في الدجى ، حامداً ومصلياً^(١) .

[١١]

[وهذا سماع كتاب معالم الشنن للخطابي]

... ووافق الفراغ منها عشية الخميس العشرين من صفر سنة عشر وستمائة بمسجد الشيخ ياسر بن بلال المحمدي بمدينة عدن ، عمَّرها الله بالصالحين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

هذا صحيح ، وكتب الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ، أمده الله بنصره وجعله أوحد عصره ، في التاريخ المذكور . والحمد لله على نعمائه ، والصلاة على جميع أنبيائه^(٢) .

وأما الغموض الذي انكشف لي ، وسوف ينكشف لكم بعد تتبع هذه السماعات فليس أمراً عادياً بل هو مهم جداً بالنسبة للصغاني ، وذلك أن مترجمي الصغاني نسبوا إليه أمراً ليس له صلة به ، ولا يُعتقد أن يحدث من عالم مثله ، فقالوا : « كان عنده مولود قد حكم فيه بموته ، وأنه قد مات في ذلك الوقت المحدد بدون علّة ، ولم يمرض قبل وفاته قط » . وهذه القصة كانت ومازالت سائدة عند مترجميه منذ قرون .

(١) فهرس المخطوطات العربية بمكتبة تشستريتي : مجلده الثاني ، اللوحة : ٥١ .

(٢) الأعلام (ط خامسة) ، للزركلي : مجلده الثاني ، اللوحة : ٣٦١ .

وقد حللنا هذه الواقعة، إن كانت قد حدثت، في ضوء هذه الساعات ووصلنا بعد الدراسة إلى حقيقة تُخالف ما استقرَّ عند مترجميه .

هل توفي الصغاني فجأة بدون علّة؟

من المعلوم أن الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني قد توفي ببغداد ليلة الجمعة التاسعة عشرة من شعبان لسنة خمسين وستمائة للهجرة^(١) . وبعض مترجميه، وأكثرهم من المتأخرين، يجمعون على أنه قد مات فجأة، وسردوا في هذا الشأن خيراً عجبياً، وذلك نقلاً عن شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الديمياطي (ت ٧٠٥هـ) الذي تلمذ على الصغاني وقرأ كنه عليه قبيل وفاته، فقالوا^(٢) :

« قال الديمياطي : وكان معه (أي مع الصغاني) متولود، وقد حكم فيه بموته في وقت، وكان يترقب ذلك الوقت، فحضر ذلك اليوم وهو معافى، قائم ليس به علّة . فعمل لأصحابه وتلاميذه طعاما شكراً لله، وفارقناه، وعُدَّئْتُ الشطّ، فلقيني من أخبرني بموته، فقلت له : الساعة فارقته، فقال : والساعة وقع به

(١) يذكر بعض العلماء أنه مات في شهر رمضان من السنة نفسها، كما قالوا : إنه مات في ٢٦ شعبان من السنة المذكورة نفسها . انظر : معجم المؤلفين ٣/ ٢٧٩ . وقد اعتمد كحالة على الحوادث الجامعة، وعلى كشف الظنون، وانظر كذلك : مجمع الآداب (اللام والميم) : ٧٥٦، وفي التأريخ الصحيح .

(٢) أرى اضطراباً فيمن أوردوا هذه القصة عن الديمياطي . قال ابن شاکر الكشي (توفي ٧٦١هـ) : قال لي تقي الدين السبكي (المتوفى ٧٥٦هـ) : حكى لي شرف الدين الديمياطي . وجاء جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) في بغية الوعاة (ص ٢٣٧) بالقصة بكلماتها، مباشرة عن الديمياطي .

الحُتَامُ فِجَاءٌ .

وأثناء دراستي للمؤلفات اللغوية للصغاني كنت أتصفح مخطوطات الكتب والرسائل له ، وخلال نظري إلى سماعات في أواخرها أو أوائلها ، وقع نظري بالمصادفة على سماع فيه كلمات تنم عن أن السماع عليها تظهر فيه سمات الأسقام والعلل فاستوقفتني هذه السمة وأخذ الشك يساورني في واقعة مشار إليها ضمن وفاة الصغاني ، فأنعمت النظر ، ودهشت عندما رتبت هذه السماعات حسب الترتيب الزمني بالنسبة للقراءة على الصغاني ، فرأيت أنها تشير بوضوح إلى أن المُسَمَّع عليه أي الصغاني كان مريضاً مرض الموت قبل وفاته . وأما قصته المسرودة ضمن وفاته ، أي أنه مات فجأة وبدون علّة ، فجعلت تتقلّب شيئاً فشيئاً في نظري ، وقد قوي الشك فيها عندما خطوت خطوات متقدمة في دراسة هذه السماعات . وأخيراً انتهيت إلى أن قصة وفاة الصغاني فجأة وبدون علّة ، ليس فيها شيء من الحقيقة ، وهاكم نتيجة دراستي :

لاشك في أن الصغاني كان هنديّ المولد والنزعة . وقد تجول في الهند نحو أربعين سنة ، وفي الهند كان الهندوكيون يعملون ، منذ قرون غابرة ، « مواليد »^(١) . ومن المعلوم أن هذه « المواليد » تشير إلى بعض حوادث مستقبلية

(١) وأورد السيوطي هذه الكلمة : « المولود » ، وابن شاعر الكتبي : « وُلِدَ » . وقيل « طالع مولود » . لكنها جميعاً غير صحيحة ، فيما أعتقد ، فإنها : مؤلّد ، ظرف زمان من وُلِدَ ، وفي الهندية كلمة مقابلة لها هي « زَائِجَةٌ » . وكانت هذه الكلمة أي المولد مستعملة بهذا المراد في عصر الصغاني ، بل أعتقد أنها قبله . انظر مجمع الآداب ، كتاب (اللام والميم) : ٢٤٣ ، ٢٤٤ حيث استخدم ابن الفوطي (تلميذ الصغاني) هذه الكلمة في نفس المعنى ، وقال (في ترجمة أبي الفرج محمد بن =

لا بوضوح بل بإشارات غامضة ودلالات مبهمة ، وليس من المتعذر ، على هذا ، أن الصغاني قد أخذ « المولد » لبعض أغراضه حينما كان في الهند . ولكن إيراد هذا « المولد » ضمن وفاته لا يتفق اتفاقاً تاماً مع حقائق وحوادث جرت مع الصغاني ، وأدّت به أخيراً إلى الموت ، وكذلك لا يمكن الاعتقاد فيه من عالم كبير مثل الصغاني .

ونورد فيما يلي بعض مباحث له قبل رحيله إلى جوار ربه .

كان الصغاني في الفترة الأخيرة من حياته حين دخل سنة خمسين وستمئة وفي تلك الفترة الأخيرة كان عمره إذ ذاك قد تجاوز ٧٤ سنة ، وكان قد أنهكه التجوال والأسفار التي قام بها إلى الهند والبلاد الإسلامية ، فظهرت عليه ملامح الضعف ، لذلك نرى في يده رعشة في آخر عمره ، ويظهر هذا بوضوح فيما كتبه من سماعات مذكورة أعلاه ، وفي الكتب التي انتسخها في هذه المدة .

* * *

= فخر الدين محمد بن بركة بن أبي الفرج الموصلبي البغدادي المنجم) ... كان فاضلاً في فنه ، رأيته ، وهو الذي عمل مؤلّدي ، ومؤلّد أخي ، وتوفي في ذي القعدة سنة أربع وخمسين وأربعمائة . وقد شك مصطفى حجازي (في مقدمة كتاب الشوارد للصغاني) في العبارة المذكورة من الدياتي ، وقال : «إنها ركيكة ، ثم شرّحه بأن مراده - والله أعلم - ما كان يفعله المنجمون والمشتغلون بحساب النجوم والأوقاف لما يسمونه معرفة المطالع ، يذهب المريض إلى أحدهم فيحسب طالعه ، ثم يتنبأ له بمثل قوله : « هذا المريض يكون عليه القطع إلى أربعين يوماً - مثلاً - فإن لم يمّت فيها فإنه يبرأ ، بإذن الله » . فهذا معنى قوله : « وكان قد حُكِمَ فيه بموته » كأنه يترقّب مدة القطع منه ، انتهى شرح حجازي .

وأرى شرح العبارة لمصطفى حجازي قريباً من مراد الدياتي ، إن قالها .

ونضع أمامكم فيما يلي بعض إشارات وهي مبنية على شواهد نعرف منها كيفية صحة الصغاني في السنة الأخيرة من عمره، وذلك حسب تسلسل زمني، لتعرف، أيها القارئ هل مات الصغاني فجأة وبدون علّة، أو أن الأمر خلاف ذلك؟!؟

وهذه الحقيقة التي لا مرأى فيها أن الصغاني كان معافى حتى ٢٣ محرم من سنة ٦٥٠هـ كما نستشف من سماعه كتابه (فَعْلَان)، ومن كلمات دعائية من تلميذه الهمياطي له (انظر لوحة رقم ١). ولكن أصابه شيء من المرض في أواخر ذلك الشهر، كما أشار الهمياطي إليه في سماع (قصيدة في شكوى الدهر)، فدعا له بكلمات: «عافاه الله وشفاه وصانه من الأسقام». (انظر لوحة رقم ٢). وظلّ الصغاني مريضاً بضعة أيام أو أكثر، ولكنه أصبح معافى فيما بعد عندما قرأ الهمياطي عليه كتاب (يَفْعُول) له، لأننا لم نر أية إشارة تشير إلى مرضه في هذه السماع الذي جرى عليه في مستهل جمادى الآخرة. (انظر لوحة رقم ٣). ولكنه أحس، بعده في الأسبوع نفسه، وجعاً في أحد جناحيه، كما يشير إلى ذلك ما أثبتته الصغاني نفسه في سماع كتابه: (نَقَعَةُ الصُّدْبَان)، نحو: رَأْسَ اللّٰهِ جِنَاحَهُ وَمِحَا جُنَاحَهُ وَيَسَّرَ نِجَاحَهُ - (انظر لوحة رقم ٤) - وتقبّل اللّٰهُ دَعَاةَهُ. فبرئ من المرض في الأسبوع التالي، كما يبدو بوضوح من كلمات سجلها الصغاني على كتاب فَعَالٍ: أَوْزَعَهُ اللّٰهُ شَكَرَ نِعْمَتَهُ وَتَوَلَّاهُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ. (انظر لوحة رقم ٥).

وظلّ على هذه الحالة الجيدة حتى بداية الشهر التالي، أي رجب المرجب. ولكنه كان يتماثل للشفاء أحياناً وتتكسر صحته مرة أخرى كما أشار الهمياطي إلى ذلك في سماعه (كتاب الانفعال)، في ٥ رجب، وكتب: بَدَّلَهُ اللّٰهُ مِنْ

السقام بالشفاء ومن الداء بالإبراء . (انظر لوحة رقم ٦) . ويبدو من السماع التالي لكتاب (تَرَائِيْب لُغَاتِ الْعَرَبِ) ، الذي حرر في ١١ رجب ، أنه لحقه مرض ، وما برح به إلى أن اختاره الله إليه . ويظهر من كلمات هذا السماع أنه مرض في نفس الوقت لا بمرض واحد بل هجمت عليه أعلال وأسقام عديدة ، فبذلك دعا له الـدميـاطي : « عافاه الله وشفاه ، وصانه من الأعلال والأوجاع وحماه » . (انظر لوحة رقم ٧) .

ومن الواضح أن الصغاني قد أنهكته في ذلك الوقت أمراض وأعلال وأوجاع لدرجة أنه شرع يدعو الله لشفائه من هذه الأعلال والآلام ، كما دعا في توثيق السماع السالف الذكر ، فقال : « شفاه الله من ألم يعانيه » .

وبعد هذا السماع يبدو أن الصغاني بدأ يضعف شيئاً فشيئاً ، ولم يستطع أن يقوم بعمل ولازم فراشه . ولكنه على رغم كل هذه الأمراض والعلل والآلام كان يسمع كتبه من تلاميذه الذين كانوا يسمعون عليه . وحينما قرأ الـدميـاطي عليه كتابه الأضداد في ١٣ رجب كان الصغاني منهوكةً بضعف قواه ، كما يبدو من الكلمات التي سجلها الـدميـاطي في آخر الكتاب هكذا : سلمه وحماه ونسخ ضعفه بمحكم قواه . (انظر لوحة رقم ٨) .

ويظهر أن الصغاني قد عانى من الأمراض والأسقام بما يُرى من كلمات استخدمها في سماع كتاب (الأضداد) ، فدعا لنفسه : « جعل الله عاقبته إلى صحة وصلّاح وأعادته إلى طيبة وصلّاح » .

وقد أراد الـدميـاطي أن ينتهز هذه الفرصة فجده بانتساخ مؤلفات الصغاني وما كان لديه من كتب لغوية ، ليلاً ونهاراً ، وقرأها عليه فلزمه في بيته بالحريم الطاهري غربي بغداد وجعل يُسرع في عمله لأنه كان قد أحس من توعك

صحة الصغاني وضعف قواه ، أنه لن يبرأ من هذه الأعلال . وفي هذه المدة كتب الدمياطي عن الصغاني علماً كثيراً ، وسمع عليه بعض مؤلفاته ، كما سمع كتاباً أخرى لم نستطع معرفتها .

وكانت صحة الصغاني قد بدأت تضعف يوماً بعد يوم ، ولكنه لم يترك ، كما قلت مسبقاً ، سماع كتبه ، فقرأ الدمياطي عليه في ١٧ شعبان كتابه : (شرح الفلادة السمطية) ، ودعا له بكلمات : « عافاه الله وشفاه وصانه من الأسقام وحماه » . (انظر لوحة رقم ٩) . وأما الصغاني فدعا لنفسه بيد مرتعشة ، كما تراه بوضوح من خطه : « عافاه الله وشفاه » في نفس المكان . وكانت هذه الكلمات الأخيرة التي كتبها الصغاني أمام الدمياطي .

توفي الصغاني ليلة الجمعة ١٩ شعبان ، وذلك بعد يومين من قراءة الدمياطي عليه . وهنا سجل الدمياطي بإزاء هذا السماع في نفس المكان للكتاب المذكور أنفاً : « توفي رضي الله عنه بعد قراءتي عليه هذا الكتاب » ليلة يوم الجمعة التاسع عشر من شعبان المذكور ، بالحریم المذكور ، وأنا آخر من قرأ عليه .

ولم يكتب هنا ما ينسب إليه علماء عن واقعة غير عادية . ولو كانت هذه الواقعة قد حدثت للصغاني - ومعني أمر غير عادي في تلك البلاد - لكان الدمياطي سجلها في هذا المكان أو على الأقل في مكان آخر ، فإنه لم يكتب ولم يشر إلى هذه الواقعة بأدنى إشارة ؛ لأنه رأى بأب عينه أن الصغاني قد مات نتيجة الأعلال والأمراض . ويبدو من هذا التعطل عن العمل ليومين ، أن الدمياطي لم يستطع قراءة الكتب على الصغاني ، على رغم حرصه على هذا الانتفاع السريع ، ولعل الصغاني كان مريضاً مرضاً لا قدرة له معه على أداء هذا الغرض ، أو كان في حالة مرض الموت ، ولم يقدر على سماع كتبه .

ولم نر فيما جمعنا من كتابات العلماء المعاصرين للصغاني وتلاميذه أية إشارة إلى وفاة الصغاني «فجأة وبدون علة» .

وفي ضوء ما سقنا أنفا من تعليقات للشهرين الأخيرين من حياة الصغاني ، لا بد لنا أن نصدق ما قاله الصغاني في هذه الساعات ، وما دعا به الدمياطي لأستاذه ، وما سَجَّله من توعك صحته وهجوم الآلام والأوجاع عليه . لقد كان الرجل مريضا قبل وفاته ، وضعف يوما بعد يوم بأمراضه ، ولم يمِت فجأة ، وبدون علة ، بل توفي وفاة طبيعية ، بعد هذه الأمراض التي أصابته .

وأمام هذه التعليقات يستطيع القارئ أن يعرف قيمة ما قاله العلماء في وفاة الصغاني الفجائية وبدون علة .

مكانة الصَّغَانِي الْعِلْمِيَّة

أشرنا في البداية إلى أن هذه الساعات تشير كذلك إلى مكانة اجتماعية للعالم الذي يسجل هذه الساعات على ما يقرأ عليه من الكتب ، كما تشير إلى شخصيته العلمية ، فمن خلال هذا السماع نستطيع أن نعرف مدى ثقة الناس والعلماء في علم الصغاني ، فقد كانوا يقدرونه لمعرفة اللغوية والحديثية واطلاعه الواسع على العلوم السائدة آنذاك ، وقد أطنبوا في مدحه وقالوا : إنه رجل صالح ، صدوق ، صموت عن فضول الكلام^(١) ، وعدّه معاصروه من أولياء الله الصالحين^(٢) .

(١) الدمياطي : معجم الشيوخ : ترجمة الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني .

(٢) ابن الفوطي : مجمع الآداب ، (كتاب اللام والميم) : ٧٥٦ .

وكان الصغاني يشاق دوماً لجوار كعبة الله ويلتجئ إليها فلُقِّب نفسه :
الملتجئ إلى حرم الله تعالى مع اسمه أينما أثبتته في كتبه أو سماعاته ، وهو أول
من لُقِّب نفسه بذلك ، وتابعه الفيروزآبادي .

٢- كان يحب علم الحديث حباً جما ، ويجدّ في تحصيله أينما حلّ وفي
أي عهد من عمره ؛ فلذلك اجتمع لديه من العلم ما لم يجتمع لدى آخر ، فقال
مرة مفتخرًا :

قد سمعت من الحديث المسلسلة بمكة ، حرسها الله تعالى ، وبالهند واليمن
وبغداد ، ما ينيف على أربعمئة حديث ، ولم يبلغني أحد اجتمع له هذا القدر
من المسلسلات ^(١) :

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا دَائِمًا أَبَدًا أَعْطَانِي اللَّهُ مَا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا
وكان قد حصل على مكانة في هذا العلم عظيمة مرموقة ، وقد ذكر ذلك :

إذا احتبيت تجاه الركن بالحدق أفاضل الناس من شأم ومن يَمِينِ
ذُورًا محابر أعدادَ النجوم ، وَمَنْ قد آثر السفر المضني على الوطنِ
أظَلَّ أنشدهم شعري ، وأخبرهم بما سمعت من الآثار والشئنيِ
موثّقًا عدلَ أهلها ، وأجرح مَنْ تكلموا فيه في ماضٍ من الزَمَنِ
أروي الأحاديث عن ثبت أخي ثقةٍ أقول : حدّثني شيخي وأخبرني
وأشيع القولَ في إيضاح مشكلها وحلّ معضلها ، جريًا على السننِ
حُطِّتْ على جبهة الأيام خالدة تلك المكارمُ لَا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنِ

(١) الصغاني : العباب الزاخر : (مسلسل) (١١٣) ، ترجمة الصغاني في معجم الشيوخ للدمياطي .

فلذلك وصفه معاصروه بـ : فخر الحفاظ ، وعهدة المحدثين ، ومعتد المحدثين ،
وفخر المحدثين والحفاظ^(١) .

وهناك ناحية أخرى لهذا العالم ذي النواحي العديدة من علمه ، فإنه توغل
في تحصيل اللغة ، وارتقى فيها حتى قيل : إنه مقدم أهل اللغة ، وفن الأدب^(٢) .
ولو أنه ما كان من أهل اللغة وقضى معظم حياته في الهند ، على الرغم من هذا
كله فإنه وعى علم اللغة فأحسن فيه حتى قيل له : حُجَّةُ العرب . ولسان أهل
الأدب وحجة أهل الأدب^(٣) . وكان فارس المعاني والألفاظ^(٤) ، وإمام اللغة
والنحو ، ووصفه الناس بحجة العرب في السُّند والهند واليمن^(٥) ، كما نعت بـ :
لسان الأدب^(٦) ، ولعلمه الواسع في اللغة جعله أصحاب العلم : حامل لواء اللغة
في زمانه^(٧) بل كان إليه المنتهى في اللغة^(٨) .

وكان ثقة الملوك والسلاطين^(٩) ، كما عرف بذِي الرياستين^(١٠) . ورئيس

(١) ذُكرت هذه الأوصاف للصفاني في سماعات كتبه أو في عناوين كتبه التي انتسخها الديمياطي
لديه ، وهي مذكورة في أعلى اللوحات .

(٢) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة : ٢٦٢ .

(٣) ذكرها الديمياطي بداية وآخر كتب الصفاني التي انتسخها ، وهي : كتاب يفعل ، كتاب
الانفعال ، وأسماء الغادة ، وكتاب الأضداد ، وتهزير يتي الحريري .

(٤) ذكر في بداية الرسالة : مختصر من العروض .

(٥) ابن أهدل : تاريخ علماء اليمن : ق ٢١٩ ، الخرجي : كتاب العقد الفاخر الحسن في طبقات
اليمن : ق ٢٠٨ .

(٦) انظر الحاشية رقم ٣ من الصفحة السابقة .

(٧) السيوطي : بقية الوعاة : ٢٢٧ .

(٨) الحاشية السابقة .

(٩) ابن أهدل : نفس المصدر : ٢١٩ .

(١٠) مجموعة الرسائل للصفاني ، بخط الديمياطي .

الصدر^(١) ، وهو أول من عُذِّلَ من العجم^(٢) ولا نعرف ذلك عن آخر في هذه القرون الغابرة .

ووصفه معاصروه، وقالوا: فريد عصره ووقته، وحيد دهره، علامة الوقت، والزمن^(٣) ، من أفراد العلماء، وقدوة الأمة وعمدة الأئمة^(٤) ، واعتبروه العالم الأوحَد^(٥) .

ولذلك قال الجندي: وعلى الجملة فمحاسن الصغاني أكثر من أن تحصى^(٦) . وقال ابن الفوطي: كان من أفراد العلماء وأولياء الله الصالحين، وصار ذكره سير الشمس في الآفاق، ودوّخ ما وراء النهر وخراسان واليمن والهند والحجاز والعراق^(٧) .

فكانت تشد إليه الرحال من سائر الأقطار، وسافر إليه طلاب العلم من أقطار بعيدة، كما ترى أسماءهم في هذه الساعات، حتى من أقصى الأندلس^(٨) . وظلّ بابه مفتوحا للتلاميذ، يُدرّس لهم ويقرئهم ويسمعون منه، ويكتبون عنه، حتى توفي، ولم يخل بعلمه على أحد، حتى إنه راح يسمع كتبه مسافراً في النهر .

(١) انظر سماعه لكتاب مشارق الأنوار، لوحة رقم ١٠ .

(٢) الحاشية السابقة .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ في الصفحة السابقة .

(٤) الموضع السابق .

(٥) الجندي: كتاب السلوك في طبقات العلماء والملوك: ق ٢٠٨ .

(٦) ابن الفوطي: مجمع الآداب، كتاب الميم: ٧٠٦ .

(٧) كما ترون من أسماء العلماء الذين سمعوا عليه كتبه .

الصَّغَانِيُّ أَوْ الصَّاغَانِيُّ

والأمر الآخر الذي استتجنناه في ضوء هذه السماعات ليس بأقل أهمية من الأول، وهو يتعلق بنسبة «الصغاني». إن نسبة «الصغاني» نسبة صحيحة بلا راء، وكذلك «الصاغاني» التي يصرُّ بعضها عليها، ليس الأمر هنا ما هي النسبة الصحيحة وما هي الخاطئة؟ ولكن الأمر الذي يهمنا هنا في الواقع هو أن نعرف ما هي النسبة التي اختارها الصغاني لنفسه؟

ونحن على بينة وعندنا دلائل ناصعة أنه قد اختار لنفسه نسبة بدون ألف بعد الصاد، وأوردها في جميع الأمكنة التي شاء القدر أن يكتب فيها اسمه، وهي أماننا في أكثر من عشرين موضعا، في كتبه وسماعاته.

وقبل أن تأتي بأدلة ملموسة في هذا الصدد نسوق فيما يلي ما أورد العلماء في نسبة الصاغاني، بإضافة الألف بعد الصاد فيها، فقالوا:

- (١) لأنها أوردها الصغاني بنفسه في قصيدته النونية وهي في شكوى الدهر.
- (٢) ولأن مرتضى الزبيدي أوردها في كتابه تاج العروس من جواهر القاموس.
- (٣) ولأن أكثر أهل زماننا قد اختاروا هذه النسبة.

إن نسبة «الصغاني» ترجع إلى مدينة كانت تسمى آنثذ صَغَانِيَانِ وكانت هذه المدينة واقعة بين نهريْن: آمودريا (Ox us River) أي نهر آمو، ودرياشي زامل أي نهر زامل (Zamil River)، الذي كان يقال له في القرون الوسطى: «نهر صغانيان» كذلك.

وهو معرب عن اسم فارسي : جَغَانِيَانْ ، كما يقول الصغاني نفسه في معجمه : مجمع البحرين : « ومحمد بن إسحاق الصغاني ، من ثقات المحدثين ، وغيره من الصَّغَانِيَّيْنَ ، منسوب إلى بلد يسمى جَغَانِيَانْ ... وقال البشاري : به ستة آلاف قرية ، فأبدلت الجيم صادًا ، كقولهم : الجص ، وأصله گج ، والصنج ، وأصله جنگ ^(١) .

ولم ينسب إلى هذا البلد عالم واحد بل هم كثيرون ^(٢) .

ولم تستعمل نسبة « الصاغاني » ، بإضافة الألف بعد الصاد لأي منهم ، بل هي بدون الألف فيها .

لاشك أن نسبة « الصاغاني » قد وردت في قصيدة الصغاني ، وهي صحيحة بلا مراء ، ولكنه أوردتها مضطرًا لضرورة شعرية لأن قافية القصيدة كانت محتاجة إلى التأسيس . وبإزاء هذه المرة الوحيدة ، كتب الصغاني نسبه بدون الألف عشرات المرات كما ترونها في السماعات المثبتة آنفا . ولا أكاد أفهم لماذا يصر بعضنا على إيراد نسبة « الصاغاني » للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني حيث إنه لم يخترها ولم يستعملها ، كأنهم يجبروننا عليها لإيراد الصغاني لها مرة واحدة ، وذلك مضطرًا ، ولا ينظرون إلى ما أثبتته من نسبه

(١)

(١) الصغاني : مجمع البحرين : (صغن) والتاج للزبيدي : (صغن) .

(٢) فمثلا :

١- محمد بن إسحاق الصغاني . ذكره الصغاني نفسه في مجمع البحرين : (صغن) . كما

ذكرت آنفا .

٢- محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن سعيد الصغاني الأصل ، أبو حامد (٧٩٠هـ -

« الصغاني » ، بدون الألف بعد الصاد ، في مواضع كثيرة لا في كتبه فحسب بل في سماعته كذلك .

ومن خلال هذه الأدلة والشواهد التي شقناها آنفا ، يتجلى لنا بكل وضوح أن النسبة التي كتبها الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني لنفسه كانت بدون ألف ولم يستعمل غيرها . فهل بقي مجال للشك في نسبة الصغاني بعد هذه النظرة المتعمقة في صور هذه السماعات ؟

* * *

المصادر والمراجع

- ١- ابن أهدل: تاريخ علماء اليمن. (مخطوطة) نسخته بالمتحف البريطاني، رقمها ١٣٤٥.
- ٢- جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. القاهرة: مطابع السعادة، ١٣٢٦هـ.
- ٣- الجندي، محمد بن يعقوب بن يوسف: كتاب السلوك في طبقات العلماء والسلوك. (مخطوطة) نسخته بإستانبول في كوبرلي، رقمها ١١٠٧.
- ٤- الخزرجي، علي بن الحسن: كتاب العقد الفاخر الحسن في طبقات اليمن. (مخطوطة)، نسخته بالمتحف البريطاني، رقمها ٢٤٢٥.
- ٥- خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. ط. خامسة.
- ٦- الزبيدي، مرتضى: تاج العروس. ط. القاهرة.
- ٧- ابن شاکر الكتبي: فوات الوفيات (الجزء الثاني فقط). بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٣م.
- ٨- شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدماطي: معجم الشيوخ. (خطي) ونسخته بمكتبة الآثار القومية بتونس، رقمه ٩١١.
- ٩- الصغاني: كتاب الانفعال. تحقيق د. أحمد خان. إسلام آباد: مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٧٧م.
- ١٠- الصغاني: كتاب: الشوارد في اللغة. تحقيق مصطفى حجازي. القاهرة: المطابع الأميرية، ١٩٨٣م.
- ١١- الصغاني: مجمع البحرين. تصويره بمكتبة مجمع البحوث الإسلامية بإسلام آباد (باكستان).
- ١٢- الصغاني، العباب الزاخر واللباب الفاخر. (مخطوطة)، نسخته الكاملة بمكتبة أباصوفيا بإستانبول.
- ١٣- الصغاني: مجموعة الرسائل المنسوخة بيد الدماطي بإستانبول، وبودلانة.
- ١٤- ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة. بغداد: المكتبة العربية، ١٣٥١هـ.

١٥- ابن الفوطي ، كتاب مجمع الآداب ، منه كتاب اللام والميم . طبع تباعا في مجلة أورينتال كالج سيكرين - (لاهور) ، سنة ١٩٤٠ م .

١٦- مجلة مجمع اللّغة العربية بدمشق . مج ٤٦ ، ٤٤ (أكتوبر ١٩٧١ م) .

١٧- The Chester Beatty library : Ahandlist of Arabic Mss . Prepared by A. J. Arberry . Dublin : E. walker , 1955

١٨- G . Le strange : The lands of the Eastern caliphate . London ; Frank Cross , 1966 .

* * *

مخطوط فريد في إعجاز القرآن، يعود إلى فترة متقدمة؛ إلى القرن الرابع أو أوائل الخامس الهجري. وقد لفت المخطوط انتباه د. زكريا، وأثار داخله بعض التساؤلات، تُفضي إلى أن التأليف في مسألة إعجاز القرآن تحتاج إلى إعادة نظر. وهذا المؤلف (المجهول) فيما يبدو من المتكلمين وأصحاب الحجاج عن العقيدة، وقد وافق البلاغيين في كثير من المصطلحات التي استخدمها، وفي بعض وجوه الإعجاز، وطبقات الفصاحة، وخالفهم في بعض التقسيمات والمصطلحات، فإذا ما ثبت سبقه إلى بعض هذه التقسيمات والمصطلحات، فإن عددًا من الحقائق المستقرة في حقل الدراسات البلاغية ستتغير.

مخطوط فريد في إعجاز القرآن

د. زكريا سعيد علي*

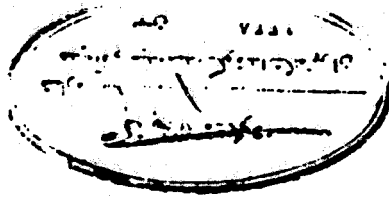
* مدرس البلاغة والنقد الأدبي بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة .

هذه المخطوط من مقتنيات المكتبة المركزية بجامعة طهران تحت رقم ٩٣٧، وقد أخذت عنه الصورة المودعة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم (٣١ بعثة إيران)، وهو يقع في ١٠٤ ورقة.

لفت انتباهي إليه تقدمه الزمني، حيث كتب في فترة مبكرة تعود إلى أواخر القرن الرابع الهجري، أو أوائل الخامس؛ فدعاني إلى البحث عنه: أن يكون هناك مؤلف في إعجاز القرآن في هذه الفترة الباكرة غير ما عرفناه من مؤلفات الرماني والخطابي والباقلاني، التي دارت في رحابها دراسات الباحثين. وكنت - ولا أزال - يعاودني سؤال: هل يمكن أن يكون هذا هو كل التراث الباقي حول إعجاز القرآن الذي خلفه علماءنا؟! وكان هذا دافعا لي إلى البحث في فهارس المخطوطات لعليّ أعثر على شيء قد يكون ذا بال. وقد يسر الله تعالى ووفق، فكان أن وقعت على هذا المخطوط؛ موضوع هذا البحث، وعلى مخطوط آخر فريد؛ هو شرح رسالة الرماني في إعجاز القرآن^(١)، وهو شرح فريد نادر سكت عنه الناس، ولعل فيه وفي هذا البحث ما يكون دعوة لأهل العلم إلى إعادة النظر في تاريخ التأليف في مسألة «إعجاز القرآن».

وهذا المخطوط - موضوع بحثنا - مجهول المؤلف، وقد جرت العادة أن المخطوطات التي من هذا النوع يحجم عن الاقتراب من درسها جمهور الباحثين، ويقللون من شأنها. والحق أن هذا مسلك غير صواب، وقد يكون من المفيد للغاية أن تتجه العناية إلى أمثال هذه المخطوطات بالدرس والفحص، والصبر على ما قد يصحب ذلك من بذل للجهد والوقت.

(١) صدر عن دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٩٧ م .



واسند ركونا فان اهل آية بن ونبهوا على ما غفل فيه فضلاء المسلمين
كلا بل هم حتم عن الحق لا يسمعون بكم عن الخجاج لا ينطقون
عني عن الرشاد لا يبصرون كلا بل زان على قلوبهم ما كانوا
يكسبون فان اردلهم طبقة واختهم طبقة واقلمهم شبهة
واعناهم على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وآله واخذهم
للمسلمين واحرصهم على التحليل لا طفاء نور الله اليهم وما الله
آلان ثم ندره ولو كره الكافرون من ينشئ عنهم الى الايمان
ويوهم ان ذاء ما في المسلمين من حج العقول من الكتاب
والسنة حقيقته فرها وحصلوها وانها محرفة فلا اعمن بذلك لهم الهدى
والواثق اذا اكتفينا وجدنا حجازي يلزم على عقابنا اثر الكفر
بمن باخذ عنهم وبلوذهم بعد ونام حمر اصفى فذ ذنبوا عندهم
ان كتاب المواخر ما باحوالهم نظروا لمظالم واحلوا لهم شرب الخمر وزك
السلوات ومنع الزكوات لقد ضلوا من قبل واضلوا اكثر وضلوا
عن سواها تسبل بنفون الصانع وينكرون التوابع الجمع ويجحد
الشرايع يقولون لا يقال في الله تعالى موجود ولا لا موجود لا يعلمون
لجهلهم وفرط غبارهم ان نفى النفي يقضي لا ثبات عند اهل السما
الا ترى انهم اذا ارادوا ان يحققوا الاثبات قالوا لا غير يقولون
هو الراي لا غير وهو نبي لا غير فيجوعون بين النفيين لتحقن

الحمد لله الذي جعل من الآداب الفوق العلية ما يشهدوا به الفاعل الكلف
 فإنا سنهون في هذه من غير من أن لا نأخذ ولا نضع إلى الأخرى التي
 فهدى به وهو الذي يراى بطلان اصبح كالأفان في غير من حيثنا
 صلح الله عليه وسلم ما أتته الله من أكانا في العفان و
 لأن لا بل أننا اخلاصنا الذي قد هب عنها من نضع لنفسه ولم
 بلعبت بدنيته صنفنا ما الله تعالى وسهدهم بالبرضا اليه
 بنا ربك وثقتنا في أن لنظنم النفع به والشكر عليه وإن جعل سمى
 فيه وكل على خالصا له الصبر هذا ولكن طريح إننا على
 في السلف حتى جمع الله في هذا الباب وإنما اخترت كل واحد
 ما خلا بسط عشا على لظلمة والسطنا على الأخرى حتى
 الأخرى من ولهم ذكر الله أن ألامه خول الله الذي كانت
 بين آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم
 أجمعين عاشر على محمد خا صلا الله عليه وسلم حتى ندين الله
 في نفسه في شأنا أن رسول وجد به ما لا وس لا ندين من
 الشرايع والمثل فالله في ذلك من علم الصالح والقياس
 وما لا هرة من علم أن الله المصلحة منها لا لأن النور على ما
 في قوله تعالى هذا الشرايع على اختلاف بينهم في والمصطفى
 ذلك كانت بين آدم ونوح صلى الله عليها فوسمها عام

الأعلام التي جعل من الآداب الفوق العلية ما يشهدوا به الفاعل الكلف
 فإنا سنهون في هذه من غير من أن لا نأخذ ولا نضع إلى الأخرى التي
 فهدى به وهو الذي يراى بطلان اصبح كالأفان في غير من حيثنا
 صلح الله عليه وسلم ما أتته الله من أكانا في العفان و
 لأن لا بل أننا اخلاصنا الذي قد هب عنها من نضع لنفسه ولم
 بلعبت بدنيته صنفنا ما الله تعالى وسهدهم بالبرضا اليه
 بنا ربك وثقتنا في أن لنظنم النفع به والشكر عليه وإن جعل سمى
 فيه وكل على خالصا له الصبر هذا ولكن طريح إننا على
 في السلف حتى جمع الله في هذا الباب وإنما اخترت كل واحد
 ما خلا بسط عشا على لظلمة والسطنا على الأخرى حتى
 الأخرى من ولهم ذكر الله أن ألامه خول الله الذي كانت
 بين آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم
 أجمعين عاشر على محمد خا صلا الله عليه وسلم حتى ندين الله
 في نفسه في شأنا أن رسول وجد به ما لا وس لا ندين من
 الشرايع والمثل فالله في ذلك من علم الصالح والقياس
 وما لا هرة من علم أن الله المصلحة منها لا لأن النور على ما
 في قوله تعالى هذا الشرايع على اختلاف بينهم في والمصطفى
 ذلك كانت بين آدم ونوح صلى الله عليها فوسمها عام

الورقة الثانية من المخطوطة

الأعلام التي جعل من الآداب الفوق العلية ما يشهدوا به الفاعل الكلف
 فإنا سنهون في هذه من غير من أن لا نأخذ ولا نضع إلى الأخرى التي
 فهدى به وهو الذي يراى بطلان اصبح كالأفان في غير من حيثنا
 صلح الله عليه وسلم ما أتته الله من أكانا في العفان و
 لأن لا بل أننا اخلاصنا الذي قد هب عنها من نضع لنفسه ولم
 بلعبت بدنيته صنفنا ما الله تعالى وسهدهم بالبرضا اليه
 بنا ربك وثقتنا في أن لنظنم النفع به والشكر عليه وإن جعل سمى
 فيه وكل على خالصا له الصبر هذا ولكن طريح إننا على
 في السلف حتى جمع الله في هذا الباب وإنما اخترت كل واحد
 ما خلا بسط عشا على لظلمة والسطنا على الأخرى حتى
 الأخرى من ولهم ذكر الله أن ألامه خول الله الذي كانت
 بين آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم
 أجمعين عاشر على محمد خا صلا الله عليه وسلم حتى ندين الله
 في نفسه في شأنا أن رسول وجد به ما لا وس لا ندين من
 الشرايع والمثل فالله في ذلك من علم الصالح والقياس
 وما لا هرة من علم أن الله المصلحة منها لا لأن النور على ما
 في قوله تعالى هذا الشرايع على اختلاف بينهم في والمصطفى
 ذلك كانت بين آدم ونوح صلى الله عليها فوسمها عام

الأعلام التي جعل من الآداب الفوق العلية ما يشهدوا به الفاعل الكلف
 فإنا سنهون في هذه من غير من أن لا نأخذ ولا نضع إلى الأخرى التي
 فهدى به وهو الذي يراى بطلان اصبح كالأفان في غير من حيثنا
 صلح الله عليه وسلم ما أتته الله من أكانا في العفان و
 لأن لا بل أننا اخلاصنا الذي قد هب عنها من نضع لنفسه ولم
 بلعبت بدنيته صنفنا ما الله تعالى وسهدهم بالبرضا اليه
 بنا ربك وثقتنا في أن لنظنم النفع به والشكر عليه وإن جعل سمى
 فيه وكل على خالصا له الصبر هذا ولكن طريح إننا على
 في السلف حتى جمع الله في هذا الباب وإنما اخترت كل واحد
 ما خلا بسط عشا على لظلمة والسطنا على الأخرى حتى
 الأخرى من ولهم ذكر الله أن ألامه خول الله الذي كانت
 بين آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم
 أجمعين عاشر على محمد خا صلا الله عليه وسلم حتى ندين الله
 في نفسه في شأنا أن رسول وجد به ما لا وس لا ندين من
 الشرايع والمثل فالله في ذلك من علم الصالح والقياس
 وما لا هرة من علم أن الله المصلحة منها لا لأن النور على ما
 في قوله تعالى هذا الشرايع على اختلاف بينهم في والمصطفى
 ذلك كانت بين آدم ونوح صلى الله عليها فوسمها عام

الورقة الثانية من المخطوطة

- أ -

المؤلف مجهول كما ذكرت، ولكنني سأحاول من خلال دراسة متن الكتاب إضاءة الطريق للتعرف على المؤلف قدر الإمكان، وعلى طبيعة الكتاب وأهميته وسماته العامة:

١- فأما زمان تأليف هذا المخطوط فهو القرن الرابع الهجري . وقد جاء ذكر ذلك عرضاً في ثنايا كلام مؤلفه؛ إذ نص على أن الوقت من بعثة النبي ﷺ وحتى زمانه نحو من أربعمئة عام . يقول المؤلف: « ثم ابتعث الله النبي محمداً صلى الله عليه وآله وختم به الرسالة، ونحن من مبعثه على نحو من أربعمئة عام... »^(١) . وهذه الإشارة - أيضاً - إلى انقضاء أربعمئة عام أو قريب منها، منذ مبعث النبي ﷺ وحتى زمان المؤلف تكررت في موضع آخر^(٢) .

٢- ويكشف لنا كلام المؤلف من الصفحات الأولى عن ذبوع سطوة فرقة الباطنية في زمانه، وقوة شوكتهم . وقد جاءت الإشارة إلى هذا في معرض حديثه عن أن معارضة القرآن لو كانت قد وقعت لما أمكن كتمها، ولذاع خبرها، ولا سيما في زمانه هذا، حيث شجعت الباطنية على الطعن في الدين، وبذلوا لذلك الأموال بسخاء . يقول المؤلف: « فكيف يظن أن معارضة القرآن لو كانت كان يخفي نقلها لا سيما في زماننا هذا، والباطنية قد اتسعت أحوالهم، وكثر بذلهم الأموال على الاستدعاء إلى ما هم عليه من الجحد للتوحيد والنبوات فلو وجدوا سبيلاً إلى ذلك لحصلوه بما لهم من طريف وتليد...؟ »^(٣) .

(١) المخطوط : ٦ ، ٧ .

(٢) المخطوط : ١٤٢ ، س ٥ .

(٣) المخطوط : ٣٠ .

ومن بداية الصفحة الأولى للمخطوط يشن المؤلف هجوما عنيفا على هذه الطائفة، يَشْتَمُّ القارئ أن من بين ما دفعه إلى تصنيف هذا الكتاب طعن هذه الطائفة الباطنية في نبوة رسولنا محمد ﷺ، ونجده يلصق بهم أشد التهم والمساوىء، حيث يقول: «... فإن أرذلهم طبقة، وأخسهم طريقة، وأقلهم شبهة، وأعتاهم على الله تعالى وعلى رسوله - صلى الله عليه وآله - وأعداهم للمسلمين، وأحرصهم على التحيل لإطفاء نور الله المبين: ﴿ وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نوره ولو كره الكافرون ﴾، من^(١) ينتسب منهم إلى الباطن، ويوهم أن وراء ما في يد المسلمين من حجج العقول من الكتاب والسنة حقيقة عرفوها وحصلوها، وأنها مخفية إلا عمن بذل لهم العهود والمواثيق»^(٢).

ونجده ينسب لهذه الطائفة استحلالها للفواحش، وترك الصلوات، ومنع الزكوات، وأنهم ينفون الصانع، وينكرون النبوات أجمع، ويجحدون الشرائع^(٣)، ويقولون: «إن محمد - صلى الله عليه وآله - إنما كان له التأيد دون ما سواه من الوحي والإرسال ونزول جبرائيل، ويشيرون بالتأيد إلى المزية التي تحصل لكل من تقدم في صناعة وبرع فيها، من شاعر أو طبيب أو فقيه أو متكلم أو منجم، ويسمون الشرائع نواميس، ويتوصلون إلى جحدها أو إبطالها بادعاء أن لكل شيء منها باطناً إذا عرف سقط وجوب العمل به، وينكرون البعث والنشور، ويقولون: معنى «القيامة»؛ هو قيام محمد بن إسماعيل بن

(١) خير «إن» في أول الكلام في قوله: «فإن أرذلهم...»، وبينهما فصل طويل.

(٢) المخطوط: ١.

(٣) المخطوط: ١.

وهذا يبين أن الطائفة الباطنية المقصودة بهذه الأوصاف المرمية بهذه التهم إنما هي الطائفة التي عرفت بالإسماعيلية أو الفاطمية، التي كانت تحكم مصر، وتهدد الخلافة العباسية في بغداد، زمن تأليف الكتاب. وهي فرقة من غلاة الشيعة تنتسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق.

ونجد المؤلف يحيل في بيان فساد عقائد هؤلاء الباطنية إلى ما صنفه العلماء في الرد على هذه الفرقة الضالة وكشف أستارها. يقول المؤلف: «ولولا أنه ليس غرضنا في كتابنا هذا نقل أحوالهم ونشر فضائحهم وبسط مقابحهم لبينت من فساد عقائدهم ومساوئ دقاتهم. وما بينه شيوخنا رحمهم الله من الإسراف^(١) وسائر العلماء في كتبهم المصنفة من هتك أسرارهم وإذاعة أسرارهم، نحو أبي زيد محمد بن عيسى بن محمد العلوي الحسيني، وأبي جعفر بن قبة، وأبي عبد الله بن رزام الكوفي، وأبي محمد بن عبدك الجرجاني، وغيرهم - رحمهم الله - ثم ذكرت ما في رسالتهم الموسومة (بالبلاغ السائغ)، وربما سموها (بالبلاغ الأكبر والناموس الأعظم)^(٢). لكنني أحيل من أراد الوقوف على باطنهم وأسرارهم إلى هذه الكتب فإنها مشهورة معروفة لمن أرادها»^(٣).

(١) المخطوط : ٢ .

(٢) كذا في المخطوط ، ولعلها (الأشرف) .

(٣) مال ابن كثير إلى أن مؤلف هذه الرسالة القاضي الفاطمي عبد العزيز بن النعمان ، وذكر أن في هذا الكتاب «من الكفر ما لم يصل إبليس إلى مثله» ، وأنه رد عليه أبو بكر الباقلاني . انظر البداية والنهاية : ٦ / ٣٣١ .

(٤) المخطوط : ٢ - ٣ .

وقد حاولت تتبع ترجمة هؤلاء الشيوخ الذين ذكرهم المؤلف ، فوجدت أنهم من علماء الشيعة « الاثنا عشرية » ، ول بعضهم صلة بالاعتزال ، وبعضهم من آل البيت الحسينيين . فأما أبو محمد بن عبدك الجرجاني فقد ذكره السمعاني في الأنساب في حرف العين ، وضبطه بفتح العين وسكون الباء الموحدة وفتح الدال المهملة في آخرها كاف . وجاءت كنيته عنده « أبو أحمد » . وقال عنه : « أبو أحمد محمد بن علي بن عبدك الشيعي العبدكي من أهل جرجان ، كان مقدم الشيعة وإمام أهل التشيع بها ، سمع عمران بن موسى بن مجاشع الجرجاني وأقرانه ، روى عنه الحاكم أبو عبد الله الحافظ البيهقي وعرفه ونسبه هكذا ، وقال : كان من الأدباء الموصوفين بالعقل والكمال وحسن النظر ، استوطن نيسابور ، وبنى بها الدار والحمام المعروف بباب غرزة ، وتوفي بعد الستين والثلاثمائة بجرجان »^(١) .

وذكره صاحب أعيان الشيعة ، وقال عنه : « أبو جعفر أو أبو محمد أو أبو أحمد محمد بن علي بن عبدك الجرجاني توفي بعد ٣٦٠ »^(٢) .
وذكر أن « عبدك » هذا اسم مخفف عن عبد الكريم ، كما يقولون في « عبد الله » : « عبدل » ، وفي « زين العابدين » : « زينل »^(٣) .

(١) الأنساب للسمعاني : ١٣٢/٤ - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي - دار الجنان - ط الأولى - بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
(٢) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين - حققه حسن الأمين - دار التعارف للمطبوعات - بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م : المجلد التاسع ، ج ٤٥/٤٣٧ .
(٣) انظر السابق : ٤٣٧/٤٥ .

و«عبدك» هذا - جد المترجم - من أصحاب الإمام محمد بن الحسن الشيباني؛ صاحب أبي حنيفة، وتفقه عليه^(١). وكان ابن عبدك - هذا - معتزلي المعتقد إلى جوار مذهبه الشيعي، وهذا ما قرره صاحب أعيان الشيعة، قال: «وفي الفهرست: ابن عبدك من أهل جرجان أظنه يكنى أبا محمد بن محمد بن علي العبدكي من كبار المتكلمين في الإمامة، له تصانيف كثيرة، وكان يذهب إلى الوعيد... وقال ابن شهر آشوب في «معالم العلماء»: ابن عبدك أبو محمد محمد بن علي العبدكي الجرجاني إمامي، إلا أنه يذهب إلى الوعيد في تصانيفه... والقائلون بالوعيد يقال لهم: الوعيدية، وهم فرقة قالوا بقبح خلف الوعيد كما يقبح خلف الوعد، بدأهم بهذا القول عمرو بن عبيد المعتزلي»^(٢).

وكتاب ابن عبدك الذي يشير إليه المؤلف فيما سبق في الرد على الإسماعيلية، ذكره صاحب «أعيان الشيعة» في مصنفاته التي أورد أسماءها

(١) انظر الجواهر المضية في تراجم الحنفية لمحبي الدين أبي محمد عبد القادر الحنفي - تحقيق د. عبد الفتاح الحلو - مطبعة عيسى الحلبي (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م): ٣/٢٦٤ - الترجمة ١٤١٩، وانظر أيضا في أعيان الشيعة تعليق المحقق بهاء حسن: ج ٥٤/٤٣٧، المجلد التاسع.

وقد ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون (١/٥٦٢) أن لمحمد بن علي المعروف بعبدك الجرجاني المتوفى ٤٣٧هـ شرحا على الجامع الصغير في الفروع لمحمد بن الحسن الشيباني الحنفي المتوفى ١٨٩هـ، وذكر أن له شرحا آخر على الجامع الكبير في الفروع لمحمد بن الحسن أيضا.

(كشف الظنون ١/٥٦٨). ولعله قد اختلط على صاحب كشف الظنون هنا محمد بن علي الشهير بابن عبدك أو العبدكي بجده عبدك صاحب الإمام محمد بن الحسن.

(٢) أعيان الشيعة: ج ٤٥/٤٣٧ - ٤٣٨ (المجلد التاسع).

ناقلًا عن الفهرست للطوسي، فقال: «لابن عبدك هذا كتب كثيرة، منها كتاب «تفسير القرآن» كبير حسن، له كتاب «الرد على الإسماعيلية». وفي «معالم العلماء»: تصانيفه: التفسير عشرة أجزاء، مطلع الهداية، الرد على الإسماعيلية، الكلام في الفرقة المثبته لرؤية الله تعالى»^(١).

وكتابه هذا المعنون بـ «الكلام في الفرقة المثبته لرؤية الله تعالى» يؤكد مذهبه الاعتزالي في نفي رؤية الله تعالى، وهو يريد بها هنا أهل السنة.

وأما أبو جعفر بن قبة الرازي، فهو من متكلمي الشيعة الإمامية أيضًا، قال عنه ابن شهر آشوب: «محمد بن عبد الرحمن بن قبة الرازي أبو جعفر المتكلم الفحل، له كتب في الإمامة، منها كتاب «الإنصاف»، «المستثبت نقض كتاب المسترشد للبلخي»، «التعريف في مذهب الإمامية وفساد مذهب الزيدية»، «نقض كتاب الإشهاد لأبي زيد العلوي»^(٢).

أما أبو عبد الله بن رزام الكوفي، فلم يتمكن من الوقوف على ترجمة له، إلا أن ابن النديم ذكر كتابه في الرد على الإسماعيلية في الفهرست، ونقل عنه^(٣). وكنت قد مررت بذكره في مواضع من كتاب «تاريخ التراث العربي» لسزكين، وبعض كتب الدكتور علي النشار، و«الفرق بين الفرق» للبغدادي.

(١) السابق: ٤٥/٤٣٨.

(٢) معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين منهم قديمًا وحديثًا، تمة كتاب الفهرست للشيخ أبي جعفر الطوسي، تأليف محمد بن علي شهر آشوب المازندراني، المتوفى ٥٨٨هـ - المطبعة الحيدرية - النجف ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م ص ٩٥، ٩٦.

(٣) انظر فهرست ابن النديم: ٢٦٤. المكتبة التجارية الكبرى - مصر ١٣٤٨هـ.

وراح عني الآن ذكرها .

وأما أبو زيد محمد بن عيسى بن محمد العلوي الحسيني فقد استفاد من لقبه (العلوي الحسيني) أنه أيضًا من جملة الشيعة ، ولم أتمكن من الحصول على ترجمته ، ولكن مر بنا في النص السابق في ترجمة أبي جعفر بن قبة الرازي أن له كتابًا في نقض كتاب « الإشهاد » لأبي زيد العلوي ، فلعل هذا الأخير هو شيخ المؤلف (أبو زيد محمد بن عيسى بن محمد العلوي الحسيني) . ونقل كتاب « الإشهاد » هو المقصود بإشارة المؤلف . والله أعلم بالصواب .

فإذا ما عاودنا النظر مرة أخرى في نص كلام صاحب المخطوط الذي بين أيدينا قبل ذكره لأسماء العلماء السابقين ، وفي عيادته : « وما بينه شيوخنا ... » ، خرجنا للوهلة الأولى بأن مؤلف هذا الكتاب في إعجاز القرآن هو نفسه من علماء الشيعة الاثنا عشرية ، قد يرشح لهذا أنه في مواضع كثيرة من المخطوط كلما جاء ذكر النبي ﷺ ، أتبع ذلك بالصلاة عليه وعلى آله ، إلا أنه قد يعكس صفو هذا الاستنتاج أنني وجدته في موضع آخر يرد على الإمامية بما يكشف عن أنه ليس منهم ^(١) .

وقد أوقعتني هذا في شيء من الحيرة ، إذ كيف يفتح كتابه بذكر شيوخته وهم من علماء الشيعة ، ثم نجد في ثنايا كلامه ما يصرح بأنه ليس من الشيعة ؟! مع ما يرد في ثنايا كتابه من إتباع الصلاة على النبي ﷺ بالصلاة على الآل

(١) انظر المخطوط ص ٢٨ ، ٣ ، ١٧٩ ، ١ ، ١٨٠ ، ٧ من أسفل .

أيضاً الأمر الذي لم يتخلف في موضع واحد من الكتاب ا

والذي يظهر لي أن صاحب هذا المخطوط من طائفة المعتزلة لا الشيعة ، وإن كان بعض شيوخه من الشيعة ، والمتبع لتراجم علماء الشيعة يجد أن جلهم كانوا ينتحلون مذهب المعتزلة في العقيدة ، وقل أن نجد ترجمة لأحد علمائهم البارزين إلا ونجده في أصوله ينتسب إلى المعتزلة ، وقد بدأ التقارب بين الطائفتين ، وبخاصة بين الشيعة الاثنا عشرية ومعتزلة بغداد قبل عصر المؤلف .

ومما يقوى أن صاحب هذا المخطوط معتزلي أكثر منه شيعي - وإن لم يخل من ميول شيعية - أنه في بيانه لمباينة القرآن لغيره من كلام البشر وارتفاعه في ذلك عنه قال عقيب ذلك : « وعلى هذا تجد فيه الوعد والوعيد وأدلة العدل والتوحيد » ^(١) ، والعدل والتوحيد ، والوعد والوعيد من أصول المعتزلة المميزة ، وقد سبق كلام صاحب أعيان الشيعة في إطلاق لقب « الوعيدية » على المعتزلة من أتباع عمرو بن عبيد . وقد ورد في المخطوط الذي بين أيدينا ذكر بعض شيوخ المعتزلة عند المؤلف مثل أبي الهذيل العلاف ^(٢) ، والجاحظ ، ونقل المؤلف نصوفاً من كتاب الجاحظ : « الفرق بين النبي والمنتبي » ^(٣) .

أما ما ورد من إتباع المؤلف الصلاة على النبي ﷺ بالصلاة على آله فلا يلزم منه أنه شيعي ، فهناك غير واحد من أهل العلم السابقين يسلك هذه العادة بإتباع

(١) المخطوط : ص ١٣٨ .

(٢) المخطوط : ص ١٥٨ .

(٣) المخطوط : ص ١١ ، ١٨ س ٢ .

(١) المخطوط : ١٤٦ - ١٤٧ .

الصلاة على النبي الصلاة على الآل ، وإن لم يكونوا من الشيعة ، وقد يكون هذا تصرفاً من ناسخ الكتاب . والله أعلم بالحال .

٣- من الإشارات - بين ثنايا كلام المؤلف - التي فيها وصف لحال عصره ما ذكره من عز الإسلام في زمانه وانتشار الفتوح الإسلامية وعمومها الأنحاء المعروفة ، ودخول بلاد العرب كلها ، والعجم أيضاً في زمانه في الإسلام ، وأن الفتوح ما زالت مستمرة ؛ إذ يقول المؤلف : « ثم أنجز الله وعده لنبيه ﷺ بإظهار دين الإسلام ونشر دعوته في الآفاق ، وطبقت الشرق والغرب ، وعمت العجم والعرب ، وتخلصت إلى الروم والهند وترك من بلاد الإسلام . والفتوح الآن متصلة ترد بها الأخبار من النواحي والأقطار ، فأما بلاد العرب والعجم بحمد الله ومنه قد صارت كلها بلاد الإسلام ، ولم يبق أهل ملة من الملل ولا أمة من الأمم إلا نفذ فيها حكم الإسلام حتى صار هذا الدين أعلى الأديان كلمة ، وأرفعها حكمة ، ولو كره المشركون »^(١) .

٤- يبدو للنظر في هذا المخطوط أن مؤلفه كان على ثقافة كلامية واسعة ، وإطلاع على كتب أصحاب الديانات المخالفة من اليهود والنصارى ، ونجده ينقل عن هذه الكتب ويحاج أصحابها^(٢) .

وقد أبان المؤلف من الصفحات الأولى أن غرضه من كتابه هذا الإبانة عن معجزات نبينا ﷺ والاحتجاج لها ، وأنه لا يطمع في الزيادة على ما قاله السلف

(٢) انظر المخطوط : ١٨٢ - ١٩٠ .

(١) المخطوط : ٢ .

غير أنه سيدلي بدلوه أيضًا^(١). فكان حديثه الطويل عن إعجاز القرآن الكريم الذي استغرق حوالي مائة وستين صفحة من الكتاب البالغ مائة واثنين من الصفحات^(٢). وقد أشار المؤلف من بداية حديثه أنه لن يقتصر على ذكر القرآن معجزة له ﷺ، وأنه سيفرد في كتابه - إن يسر الله - بابًا لذكر المشاهير من معجزاته ﷺ سوى القرآن^(٣). وقد عاد بالفعل إلى ذكر ذلك بعد فراغه من الحديث عن إعجاز القرآن، وإن كان في صفحات قليلة^(٤).

٥- ومن بين الإشارات في ثنايا كلام المؤلف - التي لعلها تساعد أيضًا في تحديد أحوال عصره - تعجبه من بعض من كان يتعاطى الفصاحة في زمانه ويدعي البلاغة، ومع ذلك يبدي إعجابه بكلام لطليحة الأسدي المتنبئ. يقول المؤلف: (وقد رأيت بعض من يتعاطى الفصاحة ويدعي البلاغة من أهل عصرنا هذا يعجب بفصل يحكيه عن طليحة الأسدي وهو: « ما يفعل الله بتعفير خدودكم، وفتح أديباركم. اذكروا الله أعفة^(٥) قيامًا ». وكان يقول: ما هذا بكلام رذل، وكان يرشح به ما كنت أقدر أنه منطوق عليه^(٦)).

لكن متأدبي عصره ليسوا كلهم من هذا النوع، فمنهم من يتمتع بدوق أدبي رفيع، ومن هؤلاء من يشير إليه المؤلف في حديثه عن «التجنيس» يقول:

(٢) انظر الفهرست التفصيلي لمسائل هذا المخطوط الملحق بهذا البحث.

(٣) انظر المخطوط: ٢٣ س ٨ من أسفل.

(٤) انظر المخطوط: ١٦٠.

(٥) كذا بالمخطوط.

(٦) المخطوط: ٣٣ س ٦ من أسفل.

(وسمعت بعض أهل الأدب يقول : إن القليل من التجنيس يحسن الكلام ، والإكثار منه يسلب الكلام بهجته . قال : ومثله كمثل الخال في الحسناء ، في أنه يزيدنا حسناً ، فإن كثرت الخيلان حتى تستولي على عامة جسدها كستها الوحشة ، وسلبتها البهجة . وصدق فيما قال ...)^(١) .

٦- وهذا يجرنا إلى سمة بارزة في أسلوب مؤلف هذا الكتاب - يلمسها كل من له بصر بصناعة النقد والبلاغة - هي نضاعة أسلوبه ، وبيانه العربي الفصيح ، الذي لم تؤثر عليه أساليب المتكلمين ومصطلحاتهم . فإن كان صاحب هذا المؤلف على درجة عالية من صناعة الكلام والجدل - كما قيل عنه - فهو من ناحية أخرى ذو شأو عال في الأدب وذوق الكلام والتفريق بين جيده وردئه ، والبصر بنقد الشعر والكلام ، ومعرفة طبقات الحسن فيه . وهذا واضح كل الوضوح فيما ساقه من حديث حول إعجاز القرآن ، وما تضمنه من صور البديع ، وهو ما لفت نظري إليه ، وجعلني أقدم على هذه المحاولة لتمهيد السبيل إلى درسه ، بالتعريف به ، وبيان طبيعته وخصائصه ، وإبراز محتوياته ، وقيمه النقدية والكلامية ،

(١) المخطوط : ١٢٦ .

- ب -

إعجاز القرآن في النظم والفصاحة معاً:

يرى المؤلف أن إعجاز القرآن لا يمكن أن يكون في النظم فقط، أو في الفصاحة فقط، وأن الإعجاز فيهما - مقترنين - معاً. يقول المؤلف: «اعلم أن من الناس من ذهب إلى أن القرآن لم يتعذر الإتيان بمثله لشيء من أوصافه، وإنما الإعجاز هو الصرف عنه، ومنهم من قال: إن الإعجاز هو في الفصاحة المجردة، وأنها قد بلغت الحد الذي يتعذر الإتيان بمثله على جميع البشر. وهذا قول الأكثر من المتكلمين. ومنهم من ذهب أن الإعجاز إنما هو في النظم المخصوص الذي تميز به القرآن عما سواه. ومنهم من ذهب إلى أن الإعجاز فيهما جميعاً أعني النظم مع الفصاحة البالغة أعلى طبقات الفصاحة. وهذا هو الذي يصح عندي ويتضح لدي^(١)».

ومن يتأمل مصطلح «النظم» في عبارة المؤلف - هنا - يتبين له بعد شيء من النظر المتأنى أنه لا يريد به المعنى الذي شاع عندنا، والمشهور عن شيخ البلاغة العربية عبد القاهر من أنه وضع الكلام على مقتضى قوانين النحو^(٢)، وإنما يريد به ما يقرب من دلالة مصطلح «الأسلوب» في النقد المعاصر، وسياق كلامه في نقل أقوال العلماء في مسألة الإعجاز يكشف عن ذلك، فنجده يجمع

(١) المخطوط: ٩٧، ٩٨.

(٢) انظر دلائل الإعجاز: ٨١، تحقيق محمود محمد شاكر - ط الأولى - مكتبة الخانجي - مصر

١٩٨٤ م.

بين مصطلحي « نظم » و « أسلوب » ، ويستعملهما بنفس المعنى ، يقول المؤلف في معرض رده قول أصحاب « الصرفة » : « ... لأن « الصرف » لم يقع منه عن جميع الكلام ، وإنما وقع عن كلام له صفة مخصوصة ، وتلك الصفة لا بد أن يكون هو الأسلوب أو الفصاحة أو هما جميعاً ... والذي يبين صحة ما اخترناه وادعينا صحته أنه لا يخلو من أن يكون الإعجاز فيه تعلق بالأسلوب المجرد ، أو الفصاحة المجردة ، أو بهما جميعاً ، ولا يصح ادعاء من يدعي تعلقه بالنظم والأسلوب فقط ، لأننا نعلم ضرورة أن تميز نظم القرآن عن سائر أساليب الكلام المنثور كأسلوب الخطب ، وأسلوب الرسائل ، وأسلوب كلام الكهنة وأسجاعهم ، وأسلوب المحاورات ، ليس بأكثر من تميز بعض هذه الأساليب عن بعض . وقد علمنا أن من تقدم في هذه الأساليب حتى بلغ فيها الغاية لا يجوز أن يتعذر عليه الأسلوب الآخر حتى لا يمكنه أن يأتي بشيء منه ، وإن لم يمكنه التصرف فيه وبلوغ الغاية كما أمكنه في النظم الآخر . بيان ذلك أن الخطيب المصقع ، وإن تعذر عليه إنشاء الرسائل على الغاية التي تطلب لها ، فليس يتعذر عليه جملة ، بل لا بد من أن يتمكن من إنشائها في الطبقة الدنيا والوسطى . وكذلك من تقدم في صناعة الرسائل ، هذا حكمه في الخطب . وكذلك المقدم في المحاورات المتناهي فيها . فإذا ثبت ما بيناه صح ووضح أن من تقدم وبرع في بعض هذه الأساليب حتى فاق نظراءه وقرع أكفائه لا يتعذر عليه الإتيان بأسلوب القرآن في الطبقة الدنيا ، فيصح بما بيناه أنه لا يمكن أن يقال : الإعجاز تعلق بمجرد النظم ، ولا يمكن أن يقال إنه تعلق بمجرد الفصاحة ... »^(١)

(١) المخطوط : ٩٨ ، ٩٩ .

والتأمل في هذا النص، وفيما ورد فيه من تكرار هذه المصطلحات : «أسلوب، وأساليب، ونظم» يطمئن إلى أن المؤلف يريد بها معنى واحدًا. فالكلام العربي - عنده - يأتي على أساليب مختلفة، ومن هذه الأساليب الرسائل، والخطب، والمحاورات، والأسجاع، ولا يكاد يخرج كلام منشئ أديب عن أسلوب من هذه الأساليب، أو بعبارة أخرى عن نظم من هذه النظم.

وهذا الحصر لأساليب الكلام العربي - عنده - أو نظومه، ذكرني بما رأيته قريبًا منه عند الراغب الأصفهاني في مقدمة كتابه «جامع التفسير»، حيث جعل أقسام النظم خمسة: الأول: أن يضم المتكلم حروف التهجي بعضها إلى بعض حتى تتركب منها أقسام الكلمة الاسم والفعل والحرف. والثاني: ضم هذه الكلمات معًا حتى تنتظم منها الجمل المفيدة، وهي النوع الذي يتداوله الناس جميعًا في مخاطباتهم وقضاء حوائجهم، وهو المنشور من الكلام. والثالث: أن يراعى بعض الصنعة في ضم الكلمات بعضها إلى بعض، فيظهر فيه بعض التعمل وهو ما يسمى بالمنظوم. الرابع: أن يراعى في أواخر الكلمات التسجيع فيخرج «المسجع». الخامس أن يراعى إلى جانب التسجيع الوزن فيخرج له الشعر^(١).

ثم يعلق الأصفهاني على هذه القسمة الخماسية للنظم بقوله: «وبالحق صار كذلك؛ فإن الكلام إما منشور فقط، أو مع النثر نظم، أو مع النظم سجع، أو

(١) انظر: مقدمة جامع التفسير للراغب الأصفهاني: ١٠٦، ١٠٧. تحقيق د. أحمد حسن فرحات - دار الدعوة - الكويت. د ت.

مع السجع وزن . والمنظوم : إما محاورة . ويقال له : الخطابة ، أو مكاتبة ، ويقال لها : الرسالة ، وأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الجملة . ولكل من ذلك نظم مخصوص^(١) .

الإعجاز بالصرف : يرفض المؤلف أن يكون إعجاز القرآن في « الصرفة » ، وهو يرد على هذا المذهب بالإبطال بحجج واضحة جلية ، ويناقش أصحابه بما يكشف عن فساد زعمهم . يقول المؤلف : « فأما قول من يقول : إن الإعجاز في الصرف عن القرآن فهو عندي بعيد جدًا ؛ لأن الصرف عن الشيء يمكن أن يُدعى إذا علم أنه مقدور عليه غير متعذر وجود مثله ممن ادعى أنه مصروف عنه . وليس هاهنا ما يبين أن الإتيان بمثل القرآن كان ممكنًا للعرب غير متعذر عليهم ، بل قد دَللنا على خلاف ذلك ، فبان سقوط قول من ادعاه .

وأيضًا القول بذلك يؤدي إلى أن لا يُعرف الفرق بين ما يتعذر على الناس وبين ما لا يتعذر ؛ لأنه لو جاز لهم أن يقولوا إن العرب صُرفوا عن الإتيان بمثل القرآن ، فإن لم يثبت تأتية منهم لجاز أن يقال : إن الناس صُرفوا عن فعل الأجسام والألوان والحياة والقدرة ، وإن لم يثبت أن شيئًا منه متأت منهم ، وهذا واضح السقوط ، فكذلك القول في الصرف عن القرآن^(٢) .

ونجد المؤلف يستقصي بيان تهافت حجج من قال بالصرفة في إعجاز القرآن ، فيتوجه إلى بعض شبههم ويبين عما فيها من السقوط ، فيناقشهم في دعواهم أن العربي يقدر أن يقول : « الحمد لله » ، وأن يقول : « رب العالمين » ،

(١) السابق : ١٠٧ .

(٢) المخطوط : ١٠٦ .

ولا يتعذر عليه أن يقول: «الرحمن الرحيم»، وهكذا إلى آخر القرآن، ثم إذا أراد أن يأتي بمثل القرآن فإنه لا يستطيع، فكيف كان ذلك؟ إن هذا ليس له عندهم إلا تفسير واحد: هو صرف الله لهم عنه.

ويتجه المؤلف إلى إبطال هذه الشبهة بكلام ناصح البيان والحجة يكشف عن ذوق أديب عالم؛ يقول المؤلف: «وأما سؤال من يسأل من أهل هذه المقالة فيقول: إذا كان الإنسان قادراً على أن يقول: «الحمد لله»، ويتأتى منه أن يقول: «رب العالمين»، وغير متعذر عليه أن يقول: «الرحمن الرحيم»، ولا أن يقول: «مالك يوم الدين»، ثم كذلك إلى أن يأتي على جميع القرآن، فما الذي يمنعه من الإتيان بمثله؟ ومتى يحصل التعذر، عند أولى الكلمة^(١)، أو عند الثانية، أو الثالثة، أو ما بعدها، وذلك مما لا يصح، فثبت أن الإعجاز هو الصَّرفُ - فإنه^(٢) من ركيك السؤال؛ لأننا قد بينا فيما تقدم أن إنشاء الخطبة أو الشعر أو الرسالة - ونظم القرآن في أعلى طبقات الفصاحة - يحتاج إلى علم زائد على العلم بالنظم والفصاحة، وأن ذلك العلم الزائد هو الذي يعبر عنه بالطبع، فلا وجه لهذا السؤال.

على أنا نوضح سقوطه بأن نقول لهذا السائل: أليس قد علمت أن كل أحد ممن يعرف لغة العرب يمكنه أن يقول: «فإنك»، ويمكنه أن يقول: «كالليل»، ويمكنه أن يقول: «الذي»، ولا يتعذر عليه أن يقول: «هو مدركي»، ويتأتى منه أن يقول: «إن خلت أن المنتأى»، ولا يتعذر أن يقول: «عنه واسع»، أفترى أن كل من يعرف لغة العرب يمكنه أن يأتي بمثل قول النابغة:

(١) كذا في المخطوط. ولعلها: الكلمات.

(٢) قوله: (فإنه من ...) جواب قوله سابقاً: (وأما سؤال من يسأل ...).

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المتأى عنك واسع
فيقال له : فمتى يحصل التعذر له عند أول لفظه أو عند الثانية أو الثالثة أو
ما بعدها ! ثم يلزم ذلك في جميع أشعار العرب وخطبهم .

وهذا فساده أظهر من أن يُحتاج له إلى الإطناب ، ولا بد لهذا السائل من
الرجوع إلى ما تقدم من جوابنا . ولهذا قالوا : إن الشاعر المفلق هو الذي ترمى
قريحته بالبيت بعد البيت ، والمتوسط من يأتي بالمصرع بعد المصراع ، والمتكلف من
يأتي بالكلمة بعد الكلمة حتى يؤلفها شعراً . وليس الفاصل بين الشاعر الأول والثاني
والثالث إلا العلوم التي أشرنا إليها المعبر عنها بالطبع . وهكذا أحوال الخطباء
والمرسلين ، منهم من يستجيب طبعه إلى أن يأتي بالفصول بعد الفصول ،
والأسجاع بعد الأسجاع ، بحيث لا يكاد يتسلسل عليه ماء العذوبة ، ويبعد عن
التكلف والتعسف . ومنهم من يؤلف الكلمة إلى الكلمة ، والسجعة إلى السجعة
متممداً لها حتى تكاد تنادي على نفسها بأنها متكلفة متعسفة ، فليس الفاصل بينهم
إلا الطبع ^(١) .

وهذه الإجابة الشافية بناها المؤلف على ما أسماه بعلم « الطبع » ، وأنه شيء
آخر وراء العلم بالنظم والفصاحة . وهو كلام هام يجب التوقف عنده ، فلا يكفي
للوحد أن يكون عالماً بالنظم وبعلم الفصاحة حتى يتيسر له الإتيان بما يريد من نظم ،
بل لا بد له من هذا العلم الثالث الذي سماه المؤلف « علم الطبع » .

وهو يعني عنده ما يقرب من قولنا : « الملكة » ، أو الموهبة ، وهي القدرة
على إنشاء النص الفصيح ، وهذه الملكة شيء آخر بخلاف العلم بالقواعد

(١) المخطوط : ١٠٧ ، ١٠٨ .

والقوانين، وهي تحتاج إلى ممارسة، مثلها مثل المهن الأخرى والصناعات^(١)؛ ولهذا رغم علم الأئمة الكبار بقوانين النظم والشعر فلم يمكنهم الإتيان بمثل شعر امرئ القيس مثلاً. يقول المؤلف: «...إنا نعرف من حال الخليل والأصمعي ومن جرى مجراهما أنهم كانوا يعرفون الفصاحة، ولم تكن تتعذر عليهم، وكانوا يعرفون وزن الشعر، ولم يكن يتعذر، ومع هذا نعلم أن واحداً منهم لم يكن يمكنه أن يأتي بمثل أشعار امرئ القيس والنايغة والأعشى فمن دونهم من فحول الشعراء، وليس السبب فيه إلا ما ذكرنا^(٢). ولهذا نجد من تفاصح في كثير من أجناس النظم إذا طلب منه نظم القرآن سقط دون غرضه وهبط دون مرتقاه، وليس ذلك إلا أنه يفقد العلم الذي معه يصح إيقاع الفصاحة في هذا النظم المخصوص^(٣)».

ويرى المؤلف أن الإعجاز لو كان من جهة «الصرف» لكان «الصرف» هو المعجز، ولم يكن القرآن نفسه، والأمر بخلاف ذلك، فالإجماع على أن معجزة رسول الله ﷺ هي القرآن. ويستدل على ذلك بالقرآن والأثر؛ يقول المؤلف: «على أن الإعجاز لو كان من جهة الصرف لكان الصرف هو المعجز، ولم يكن القرآن معجزاً، وهذا خلاف ما يعرف من دين المسلمين؛ لأن المسلمين مجمعون على أن الله تعالى جعل القرآن معجزاً لنبيه ﷺ، ويدل على ما قلناه أيضاً من كون القرآن في نفسه معجزاً ما حكى الله تعالى، حيث يقول: ﴿ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر﴾. وما ذكر من

(١) انظر كلام المؤلف في هذا : ١٠٣ - ١٠٥ .

(٢) الإشارة في كلام المؤلف يقصد بها فقد هؤلاء الأعلام لما يلزم لمثل هذا العمل، وهو ما سماه بـ «علوم الطبع»، وهي عنده - كما أشرنا - ملكة أخرى وراء مجرد العلم بالفصاحة.

(٣) المخطوط : ١٠٥ .

اجتماع أبي جهل وعتبة بن ربيعة في ملأ من قريش يتعجبون من القرآن حتى قالوا: يحتاج إلى رجل يعرف الشعر، ويعرف كلام الكهنة. فقال عتبة بن ربيعة: أنا لذلك، ومضى إلى رسول الله ﷺ، فتلا عليه قوله تعالى: ﴿حَمَّ تَنْزِيلٍ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، حتى مر في السورة، وانتهى إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثَمُودَ﴾. فقام مرعوبًا مدهوشًا وقال: سمعت الشعر، وسمعت كلام الكهنة، وما هذا شيقًا من ذلك!

والى سبائر ما يذكر من تحيرهم في أمر القرآن، فلو كان القرآن أمرًا لا يتعذر مثله على العرب، وإنما صرفوا كان لا يتعجب منه المتعجب، ولا يحار فيه الخائر، وإنما كان يكون التعجب والحيرة في صرفهم. ألا ترى أن نبيًا لو قال: «معجزتي أن أكلمكم اليوم إلى المساء بما تكرهون، فلا يمكن لأحد منكم أن يجيبني؛ لأنكم تصرفون عنه، كان الإعجاز في صرفهم، وهو الذي يكون أعجوبة، وفيه يحار من يحار، دون مخاطبته المعهودة لهم. وكذلك يجب أن يكون حال القرآن والصرف على أوصافهم لو كانت صحيحة. وفي جرى الأحوال على خلاف ذلك دلالة على فساد قولهم^(١)».

وللمؤلف في ختام مجادلته أصحاب الصرفة قول غريب يصيب قارئه بالدهشة، وهو أنه لا يبعد عنده أن يكون الإعجاز بالصرفة قد وقع في السور القصار من القرآن. وحجته أن مثل هذه السور في نظمها وفصاحتها لا يتعذر؛ يقول المؤلف: «فأما السور القصار فليس يبعد عندي أن يقال: إنهم صرفوا عن الإتيان بمثلها، إذ ليس يظهر لنا في نظمها وفصاحتها ما يمكن أن نقول: إن الإعجاز يتعلق به. وهذا فيه نظر. واللّه أسأل حسن التوفيق»^(٢).

(١) المخطوط: ١٠٨، ١٠٩.

(٢) المخطوط: ١٠٩.

ونهاية كلام المؤلف في قوله : (وهذا فيه نظر ...) توحى بشيء من التردد في حكمه الذي سلف ، وأنه لم يقطعه قطعاً ، وأنه مجال لإعادة النظر واستيفاء البحث ، ومن هنا كان توجهه إلى الله بطلب حسن التوفيق .

فصاحة القرآن :

اهتم المؤلف ببيان أن القرآن في أعلى درجات الفصاحة ، وذكر أن هذا لا يتضح إلا ببيان جمل من أقسام الفصاحة ، ثم بيان أن نظم القرآن محتو عليها مع ميزته المتفردة في ذلك . يقول المؤلف : « الكلام في بيان أن القرآن في أعلى طبقات الفصاحة : اعلم أن هذا لا يتم إلا بأن نبين جملاً من أقسام الفصاحة ، ثم نبين أن نظم القرآن مشتمل عليها ، ونبين مزايا القرآن فيها ، ونلحق بذلك ما يكشف عن غرضنا من هذا الباب كشفاً يوضحه ولا يبقى معه لمرئاد الحق شبهة بعون الله وحسن توفيقه »^(١) .

وكلامه عن أقسام الفصاحة في هذا الموضع من كتابه له أهميته عند الباحثين في تطور المصطلح البلاغي ، وفي تاريخ مسألة إعجاز القرآن . وفيها ما يستحق الدرس والتأمل .

وأقسام الفصاحة عنده ، كما ذكرها ، هي :

- أن يكون الكلام مركباً من اللغات الفاشية بين العرب التي لم يترد لها أحد .

(١) المخطوط : ١١٠ .

- وأن يكون الكلام مؤلفًا من لغات ترتفع عن المبتذل السوقي ، وتنحط عن المتشغل الحوشي .
- وجزالة اللفظ وعذوبته .
- والاستعارات والتشبيهات .
- والإيجاز .
- والتجنيس .
- والتطابق .
- والفواصل (الأسجاع) .
- والتلاؤم .
- وحسن التصرف .

هذه هي الأقسام العشرة من أبواب الفصاحة التي ذكرها المؤلف على ترتيب ورودها في كلامه . وستوقف أمامها بشيء من الفحص ، ونحاول مقارنتها بما عند بعض معاصريه كالرمانى والباقلانى .

أما الرمانى ؛ فالبلاغة عنده على عشرة أقسام أيضًا ؛ هي حسب ترتيب ورودها في كتابه : الإيجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس ، والتصريف ، والتضمن ، والمبالغة ، وحسن البيان .

وبالمقارنة بينهما نجد أنهما قد اشتركا في ستة من هذه الأقسام هي :

الإيجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس .

ولعل ما يسميه الرماني التصريف هو ما يسميه صاحبنا حسن التصرف ، وما يسميه الرماني « البلاغة » هو ما يسميه صاحبنا « الفصاحة » ؛ إذ لم يكن التخصيص للبلاغة بالمعاني ، والفصاحة بالألفاظ معروفاً عند المتقدمين ، حيث جروا على إطلاق المصطلحين « البلاغة ، والفصاحة » مترادفين .

وقد عرف الرماني « البلاغة » بقوله : « وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في حسن صورة من اللفظ »^(١) . وهذا التعريف نجد قريباً منه في تعريف صاحبنا للفصاحة ، حيث يقول : « اعلم أن أصل الفصاحة هو الإبانة عن المعنى المقصود بحسن البيان »^(٢) .

أما الإيجاز ؛ فهو القسم الأول من أقسام البلاغة عند الرماني ، وهو الخامس في ترتيب صاحبنا . ويلاحظ اشتراكهما أيضاً في قسمة الإيجاز إلى قسمين : إيجاز بالحذف ، وإيجاز بالقصر ، أي تقصير عدد الكلمات والحروف . قال الرماني : (والإيجاز على وجهين : حذف وقصر^(٣) . فالحذف إسقاط كلمة للاجتراء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام . والقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف)^(٣) . ويقول مؤلف المخطوط الذي بين أيدينا : (ومن أقسام الفصاحة الإيجاز ، وذلك ينقسم قسمين : قد يكون بتقليل

(١) النكت في إعجاز القرآن : ٦٩ . ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - تحقيق د. محمد خلف الله أحمد وزغلول سلام - ط الرابعة - دار المعارف - القاهرة ١٩٩١ م .

(٢) المخطوط : ١١٠ .

(٣) ضبطها محققاً « النكت » للرماني بفتح القاف وإسكان الصاد . وأظن الصواب بكسر القاف وفتح الصاد . وهو ما يلائم سياق كلام المؤلف .

(٤) النكت : ٧٦ .

الحروف مع استيفاء المعنى ، وقد يكون بالحذف . والحذف يكون على أنحاء شتى^(١) .

ووجود هذه القسمة الثنائية للإيجاز في هذا المخطوط تجعل الباحث يتوقف متردداً في قبول مقالة أن الرماني هو أول من ذهب إلى ذلك ، فقد يكون صاحب هذا المخطوط أسبق وانتقلت منه إلى الرماني ، وقد يكون العكس وأنها انتقلت من الرماني إليه . وهناك احتمال ثالث أن يكون الاثنان مشتركين في الأخذ عن مصدر ثالث سابق عليهما . وهذه احتمالات واردة لا يحلها إلا كشف هوية صاحب هذا المخطوط الذي بين أيدينا .

ويمكن القول بأن تناول المخطوط الذي معنا لهذا المبحث أعمق وأشمل من تناول الرماني لما ساقه من أمثلة .

وأما الباقلاني فلم يزد على أن اختصر كلام الرماني وساق أقسام البلاغة العشرة عنده دون ذكره صريحاً ، مشيراً إليه ببعض أهل الأدب^(٢) .

التشبيه والاستعارة :

يلاحظ أن صاحب المخطوط الذي بين أيدينا جمع بين التشبيه والاستعارة في قسم واحد ، وعلل لذلك بأن كلياً منهما قريب من الآخر ، وإن كان بينهما فضل تفاوت^(٣) .

(١) المخطوط : ١٢٠ .

(٢) راجع إعجاز القرآن للباقلاني : ٢٦٢ - تحقيق السيد أحمد صقر - ط الخامسة - دار المعارف - القاهرة .

(٣) انظر المخطوط : ١١٥ .

وقد عرف كلاً من الاستعارة والتشبيه مفرقاً بينهما، فقال: (التشبيه هو أن يذكر الشيء باسمه ويشبهه بغيره كقولك: زيد كالأسد شجاعة، وكالبحر جوداً، وكالبدر حسناً، والاستعارة أن ننقل إليه اسم الشيء المشبه به؛ وذلك كقولك: «هو بدر، وأسد، وحمار إذا وصفته بالبلادة، أو «كلب» إذا وصفه بالحساسة»^(١).

والتأمل لهذا النص يجد أن المؤلف يطلق مصطلح «الاستعارة» على ما نعرفه باسم التشبيه البليغ. ونجده يستعمل مصطلح «الاستعارة» في مواضع أخرى بمعناها الذي استقر لها عند المتأخرين فنجده يقول مثلاً: «ومن الاستعارات الحسنة قوله تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾، وقوله: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾. فجمع بين الاستعارة الحسنة والجزالة البالغة والعدوية الطلقة. وأخذ هذا المعنى الكميّ فقال:

خفضت لهم مني جناحي مودة إلى كنف عطفاه أهل ومرحب^(٢)

ويقول: «ومن الاستعارات الحسنة العجيبة العذبة مع الجزالة قوله تعالى: ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾، فاستعار للابيضاض اسم الاشتعال مصبوباً في قلبه مقصوراً عليه. وهذا من الفصاحة البالغة»^(٣).

ونجده يتوسع في إطلاق مصطلح الاستعارة حتى يشمل عنده ما يسميه المتأخرون بالمجاز المرسل أيضاً، فعنده أن قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نور السموات

(١) المخطوط : ١١٥ .

(٢) المخطوط : ١١٥ .

(٣) المخطوط : ١١٧ .

والأرض ﴿ من قبيل الاستعارة ، حيث سمي الله سبحانه نفسه باسم « النور » لما كان سبحانه خالقه ومنشئه . يقول المؤلف : « وهذا من الاستعارة الحسنة وهو تسمية الفاعل بفعله » . ومنه قول الشاعر :

ترعى إذا غفلت حتى إذا ذكرت فإنما هي إقبال وإدبار^(١)

وهو في هذا متابع لابن قتيبة في استعماله « الاستعارة » بهذا المعنى ، حيث يقول : « فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة ، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى أو مجاوزًا لها أو مشاكلاً ... »^(٢) إلخ .

التلاؤم :

وحديث المؤلف عن « التلاؤم » أعمق أيضًا وأدق نظرًا منه عند الرماني . وعنده أن هذا « التلاؤم » هو العمدة في باب الفصاحة ، وأنه يختلف عن باقي أبواب الفصاحة كلها ، فهي جميعًا - عدا التلاؤم - يمكن التصنع لها بالتعليم والتمرن واحتذاء آثار السابقين فيها ، أما « التلاؤم » ، فلا يمكن فيه مثل هذا ؛ لأن مرجعه إلى الطبع المخصوص^(٣) .

والتلاؤم - عند المؤلف - درجة عالية فوق جودة السبك ، ورصانة النظم ، ينشأ عنها - كما يقول - « العذوبة والحلاوة ، وعنه يكون حسن ديباجة الكلام ، ولهذا تجد الكلام المنظوم أو المشور جيد السبك رصين النظم نافراً عن

(١) المخطوط : ١١٨ .

(٢) انظر تأويل مشكل القرآن : ١٣٥ ، تحقيق السيد أحمد صقر - القاهرة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٩ م .

(٣) انظر المخطوط : ١٢٩ .

الطبع إذا لم تحصل له العذوبة التي يكون سببها التلاؤم^(١) .

والتلاؤم عنده على أقسام، فهناك: تلاؤم الحروف، وتلاؤم الحركات والسكنات، وتلاؤم المعنى. « فإذا اجتمعت هذه الوجوه خرج الكلام غاية في العذوبة. وفي حصول بعضها دون بعض انحطاط درجة العذوبة عن الغاية »^(٢).

ويرى المؤلف أن كل أقسام الفصاحة إن وقعت في الكلام مع عدم تحقق التلاؤم كان ذلك تكلفاً ظاهراً، وأن اليسير منها مع التلاؤم كثير القدر وشريفه. وكلام المؤلف هنا غاية في الإبانة، وفي الكشف عن ذوقه الأدبي الرفيع؛ حيث يقول: « وسائر أقسام الفصاحة مع عدم التلاؤم يعد تكلفاً. وكلما ظهرت الصنعة أكثر كان الكلام أقرب إلى أن يكون تعسفاً. وإذا حصل التلاؤم عظم معه يسير الصنعة، وشرف تأليف الكلام ووضعه. ألا ترى إلى قول الشاعر:

تمتّع من شميم عرّارٍ نجيد فما بعد العشيّة من عرّارٍ
ألا يا حبذا نفحاتٍ نجيد ورّيا روضه بعد القطارِ

لما حصل به التلاؤم حصل في النفس القبول التام، مع قلة الصنعة فيه. ومن ذلك قول القائل:

ولما قضينا من مئى كلّ حاجةٍ ومسخ بالأركانِ من هو ماسخ
وشدّت على دهم المهازى رحالنا ولم ينظرِ القادي الذي هو رائخ

(١) المخطوط : ١٢٩ .

(٢) المخطوط : ١٣٠ .

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

ألا ترى إلى ديباجته كيف حسنت وإلى عذوبته كيف ظهرت وإلى سلاسته
كيف استثمرت مع خلوه من الصنعة ووقوعه بالبعد عن التعمل؟

وهذا باب إذا تأملته في الأشعار والخطب والرسائل والمحاورات في الجد
والهزل ، وضح لك بيانه ، وقام عندك برهانه ^(١) .

ويروي المؤلف أن « التلاؤم » متحقق في القرآن كله من أوله إلى آخره « وإن
كان بعض الآيات في الطبقة العليا منه ، وبعضها في الطبقة الوسطى ، وبعضها
في الطبقة الدنيا » ^(٢) .

ولم يحد لنا المؤلف حدود كل طبقة من هذه الطبقات ، ومن أين تبدأ ،
وإلى أن تنتهي ، ولكنه ذكر عقيب ذلك كلاما ينبئ عن أن التمكن من معرفة
نقد الكلام تساعد على ذلك ، ولا سيما إن انضاف إليها طبع جيد لناقد
الكلام . يقول - رحمه الله - : « وأهل هذا الشأن يختلفون في أجناس ذلك
والتبين له ؛ فمن كان منهم أعرف بنقد الكلام كان إلى تبيين ما ذكرنا أقرب ،
فإن ساعده على ذلك الطبع الجيد كان في طريق تصوره أذهب . وقد يكون في
أهل كل صناعة من الشعر والخطب والرسائل من إذا سمع كلام غيره عرف
صاحبه وميز بين طبعه وطبع غيره ؛ كما حكى أن جريزا رأى ذا الرمة وهو ينشد
قصيدة له أولها :

(١) المخطوط : ١٣٠ ، ١٣١ .

(٢) المخطوط : ١٣١ .

* بكت عينك عن طلل بحزوى *

فقال له : ألا أمدك بأبيات تلحقها بشعرك ؟ فقال : بلى ، فقال :

يعد الناسون بنى تميم بيوت المجد أربعة كبارًا

يعدون الرباب وآل تيم وسعدًا ثم حنظلة الخيارا

ويذهب بينها المرثي لغوا كما ألغيت في الدية الحوارا

ثم أنشد ذو الرمة هذه القصيدة للفرزدق مع هذه الأبيات ، فلما انتهى إليها قال له : مه ، فإن هذه الأبيات لا كها أشد لحين منك ، فميز بطبعه بين شعره وشعر جرير .^(١)

ونجد المؤلف يعقب على ذلك بأن هذا الأمر ظاهر بين أهله ، وأنه أورد هذا ليعين أن من لا يمكنه الوقوف بطبعه على حدوث التلاؤم والميزة في نظم القرآن ، فليس هو في هذا عائبًا للقرآن ، بل له هو ؛ لأن العيب في طبعه السقيم .

ونجده أيضًا يشير إلى أمر هام في هذا القسم ؛ أعني التلاؤم . إن إدراكه ، والتنبيه عليه بحيث يظهر واضحًا لكل من يعرف العربية لا يمكن إمكانية باقي أقسام الفصاحة ، لأن العمدة في هذا على الطبع ليس إلا^(٢) .

ثم ساق المؤلف بعد ذلك بعض الأمثلة منبها بها المبتدئ والشادي ، فالقرآن كله من هذا النمط ، ولا وجه لذكر آيات مخصوصة . وقد أجاد المؤلف في عرضه هذا بما يكشف عن ذوق رفيع ، وطبع رهيف في إدراك

(١) المخطوط : ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) انظر المخطوط : ١٣٢ .

أسرار هذا النظم الكريم^(١) .

وهو في هذا الباب مختلف بعض الشيء عن الرماني في قسمة أنواع التلاؤم؛ حيث التلاؤم - عنده - في الكلام على قسمين: تلاؤم في الطبقة الوسطى، وتلاؤم في الطبقة العليا^(٢) .

وقد اتفقا في أن جعل المقياس في إدراك هذا التلاؤم والفتنة إليه مردها إلى الطبع المرهف^(٣) .

الفواصل :

ونجد المؤلف يطلق عليها أيضًا «الإسجاع»، ويذكر أن من الناس من كره تسميتها بالإسجاع إذا كانت في القرآن . وهو يقلل من هذا الخلاف فيقول : «ومن أقسام الفصاحة الفواصل وهي الإسجاع، ومن الناس من كره تسميتها بالإسجاع إذا كانت في القرآن لكن بيان المراد يفني عن الاشتغال بالتسمية^(٤)» .

والرماني من هذا الفريق من الناس الذي يرفض تسمية الفواصل بالإسجاع، ويرى أن الفواصل بلاغة، والإسجاع عيب، وعلل لذلك بأن الفواصل تابعة للمعاني، أما الإسجاع فالمعاني تابعة له^(٥) .

(١) انظر المخطوط : ١٣٢ - ١٣٥ .

(٢) انظر النكت للرماني : ٩٥ .

(٣) السابق ٩٥ .

(٤) المخطوط : ١٢٧ - ١٢٨ .

(٥) انظر النكت : ٩٧ .

ومع تجويز صاحب هذا المخطوط إطلاق تسمية «الإسجاع» على فواصل القرآن، فهو يقيده بأنه ليكون من أبواب الفصاحة، فلا بد فيه من عدم التعسف أو التكلف، وأن يكون نابغاً عن الطبع، وعليه رونق الطلاوة، ولا تنبو عن الأسماع أو تمجه الأفهام^(١).

والإسجاع على نوعين عنده: ما كان بحروف متفقة، وهذا يسمى سجماً نحو: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾. وما كان بحروف مختلفة، وهذا يسمى موازنة، نحو قوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم﴾. فأخر الآية الأولى النون، والثانية الميم^(٢).

تلك هي القسمة الثنائية لفواصل القرآن عند الرماني، وإن لم يسمها التسمية السابقة، فقد ذكر أنها على وجهين؛ ما كان من الحروف المتجانسة نحو قوله تعالى: ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى﴾، والآخر ما كان من الحروف المتقاربة، نحو: ﴿الرحمن الرحيم مالك يوم الدين﴾ الميم والنون^(٣).

التجانس أو التجنيس:

التجنيس عند مؤلفنا هو نفسه ما سماه الرماني «التجانس»، وهناك بعض الاختلاف في تناوله عندهما، فهو عند الرماني على قسمين: تجانس مزاجية

(١) المخطوط : ١٢٩ .

(٢) انظر المخطوط : ١٢٨ .

(٣) انظر النكت : ٩٨ .

ومناسبة . فالمزوجة نحو : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ﴾ ، ومنه : ﴿ إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم ﴾ ، أما المناسبة فمثل : ﴿ يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ . وهذا الذي سماه الرماني تجانس المناسبة هو الذي يسبق إلى الأذهان اليوم وهو ما توافق عليه معظم النقاد والبلاغيين ، أما ما أسماه بتجانس المزوجة فهو معدود في باب آخر من أبواب البديع يعرف بالمشاكلة^(١) .

وقد ذكر صاحب هذا المخطوط أن الاستكثار من الحروف المجانسة يوجب للكلام نوعاً من التنافر ، وأن فن التجنيس لم يكثر في القرآن ، ولا في أشعار المتقدمين ولا المطبوعين من المتأخرين ، وأنه قد استكثر منه المتكلفون من المتأخرين ، ويذهب المؤلف إلى التقليل من إيراد هذا الجنس من أجناس الفصاحة ، وأنه إذا وقع نفا صغيرة حسن ذلك وزاد الكلام بهجة يقول : (وسمعت بعض أهل الأدب يقول : إن القليل من التجنيس يحسن الكلام ، والإكثار منه يسلب الكلام بهجته) . وقال : ومثله كمثل الخال في الحسناء في أنه يزيدا حسناً ، فإن كثرت الخيلان حتى تستولي على عامة جسدها كستها الوحشة ، وسلبتها البهجة . وصدق فيما قال ؛ لأن الاستكثار من الجمع بين الحروف المجانسة توجب في الكلام ضرباً من التنافر ؛ ألا ترى إلى قول الأعشى :

وقد عدوت إلى الحانوت يتبعني شاو مثل شلؤل شلؤل شلؤل

كيف ظهر عليه التنافر . وكذلك قول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

(١) انظر شرح عقود الجمان : ١١٠ ، ١١١ لجلال الدين السيوطي ، مطبعة مصطفى الحلبي -

فأما إذا وقع ذلك في الكلام لمعًا ، فإنه يزيده حسنًا وبهجة ، فلذلك - والله أعلم - وجد في القرآن قليلًا ، ولم يكثر ^(١) .

حسن التصريف :

وهذا القسم من أقسام الفصاحة هو ما ختم به مؤلفنا حديثه عن أقسامها ، وهو يختلف عما أسماه الرماني « التصريف » ، وقد أفاض صاحب هذا المخطوط عما أسماه « حسن التصريف » ، وجعله من كبير أقسام الفصاحة ، وأنه من الأبواب التي لا يتوصل إليها بالتكلف والتعمل ، بل لا بد فيه من طبع خاص ، ومن هنا ظهر تفاضل الخطباء والشعراء وأصحاب الرسائل ^(٢) .

وكلامه في هذا القسم ككلامه في سابقه « الملائمة أو التلاؤم » ، يكشف عن ذوق أديب مرهف ، عالم بيوطن الحسن ، وتمائز تراكيب الكلام ، وهذا من أهم ما يلزم لمن يتصدى لبحث قضية إعجاز القرآن وبلاغته . ونجده يشير إلى وقوع التفاوت في كل كلام بشري مهما كان بليغًا ، فإنه سرعان ما يلحقه الوهن ، ويتسلل إليه الضعف ، ويمكن للناقد البصير كشف ذلك . أما القرآن فلا يمكنك من مبتدئه إلى منتهاه أن تجد شيئًا من هذا التفاوت . وكلام المؤلف هنا ثمين يُحتاج إلى نقله كله ؛ فأنا أحيل عليه في موضعه ؛ لضيق المقام ، وقد طالت بنا حبال القول ، فلعل فرصة أخرى تتاح لتقديم النص محققًا ، بإذن الله تعالى ، أو الجزء المتعلق منه بإعجاز القرآن . وهو سبحانه مصدر كل خير وولي كل نعمة ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

* * *

(١) المخطوط : ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٢) انظر المخطوط : ١٣٦ .

فهرست تفصيلي

بموضوعات الخطوط

- ذم المؤلف لطائفة الباطنية التي ارتفع ذكرها في عصرها، وتبيئه إلى باطلهم وكفرهم ص ١ - ٢، وانظر ص ٣٠ س ١٠ .
- غرض المؤلف في كتابه هذا الإبانة عن معجزات نبينا محمد ﷺ ص ٢ .
- المؤلف يذكر أنه لا يطمع أن يزيد على ما قاله السلف في هذا الباب، وأن عمله ما بين بسط موجز كلامهم، أو إيجاز مبسوطه ص ٢ .
- كلام للمؤلف على مدة الفترات بين آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ... صلوات الله عليهم ص ٣ - ٧ .
- زمن تأليفه لكتابه قبل أربعمائة سنة من مبعث النبي ﷺ ص ٧ س ٢ .
- المؤلف يقدم أمام غرضه من الكتاب فصلاً ذكره علماء أهل البيت وغيرهم، وهو أن معجزة النبي لقومه تكون في شيء برعوا فيه ص ٧، ٨ .
- باب البيان عن إعجاز القرآن ص ٨ س ٤ من أسفل .
- الإعجاز في القرآن مبني على أن التحدي بالقرآن قد وقع ص ٩، ١٠ .
- فصل في أن التحدي بالقرآن قد وقع ص ١٠ .
- قول ساقط لبعض الملحدة والمتهودة من المتأخرين أنهم لم يحصل لهم العلم بأن النبي ﷺ قد تحدى بالقرآن ص ١٠ من الأخير، ص ١١ .
- الجاحظ خفف القول في «التحدي» في كتاب «الفرق بين النبي والمنتبي» لظهوره وبيانه . ص ١١، وسيذكر المؤلف هذا الكتاب ثانية ص ١٨ س ٢ .
- ابن الراوندي وكتابه الفرند ص ١١، وله ذكر في صفحات ٣٠ س ٦ .
- ابن الراوندي وكتابه الزمرد في إبطال النبوات ص ١١، ٣٠ س ٨ .
- الإعجاز تعلق بنظم القرآن كما تعلق بمعانيه ص ١٣ س ١٠ .

- البرهان على أن القرآن الذي بين أيدينا هو الذي تلاه النبي ﷺ على الناس دون زيادة فيه أو نقصان ، وهو مبحث طويل الذبول ص ١٥ س ٤ من أسفل .
- قد يكون الصرف من عظيم المعجزات ص ١٩ س ٧ من أسفل .
- عامة آيات التحدي إنما هي في السور المكية ص ١٩ س ٦ .
- الآثار الواردة في اجتماع مشركي العرب على التشاور والنظر في حال القرآن . وقول الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة أو أمية بن خلف ، ص ١٩ س الأخير ، ص ٢٠ .
- المؤلف يذكر أنه سيفرد في هذا الكتاب - إن يسر الله - بابًا مفردًا لذكر المشاهير من معجزاته ﷺ سوى القرآن ص ٢٣ س ٨ من أسفل .
- الكلام على أن معارضة القرآن لم تقع ص ٢٤ س ٤ من أسفل .
- تكذيب للإمامية في نصوصهم ص ٢٨ س ٣ .
- كتاب «الدامغ في مطاعن القرآن» . والاختلاف في مصنفه ص ٣٠ س ٥ .
- كتاب التاج في قدم العالم لابن الراوندي ص ٣٠ س ٨ .
- الباطنية في زمن المؤلف اتسمت أحوالهم وطعنهم وكفرهم ص ٣٠ س ١٠ .
- سخافة المنقول من المعارضة للقرآن من قول مسيلمة وطليحة الأسدي ص ٣ من قبل الأخير ، ص ٣١ س ١ .
- في أيام المأمون ظهر الإلحاد ص ٣١ .
- بعض كلام لمسيلمة أقل سخفًا من سابق له لاعتماده على القرآن ص ٣٣ س ٣ .
- من عجيب ما اختص به القرآن أن الشاعر يدخل لفظه من القرآن في بيت شعره ، أو الكاتب في فصل من كتابه ، أو المحاور في فصل من محاورته فيكتسب ذلك البيت وذلك الفصل من العذوبة والرونق ما يصير غرة في سائره ص ٣٣ س ١٠ من أسفل .
- المؤلف يتعجب من فعل بعض من يتعاطى الفصاحة ويدعي البلاغة من أهل عصره في إعجابه بفصل لطليحة الأسدي المتنبئ ص ٣٣ س ٦ من أسفل .
- لا يعرف حال الشاعر بالبيت الواحد والبيتين ، ولا يعرف حال الكاتب بالفصل الواحد أو الفصلين أو الثلاثة ص ٣٤ س ٣ .
- فصول لابن المقفع زعموا أنه عارض بها القرآن ، ورد المؤلف على ذلك ردًا عنيفًا ، وفيه كلام عظيم القدر في بيان معنى المعارضة ص ٣٤ - ٤٣ .

- الفصحى قد يعدل عن التصريح إلى التلويح ، لكن على وجه يكون أبلغ من التصريح وأمثلة لذلك من القرآن . ص ٣٥ س ٤ من أسفل ، ص ٣٦ .
- الإعجاز تعلق بالنظم والفصاحة لا بالصرف ص ٣٨ س ٥ .
- أهل طبرستان يستلذون خبز الأرز فوق استلذاذ خبز البر . ص ٤٣ س ٨ ، ١٠ .
- التفاوت بين كلام البشر وكلام القرآن ص ٤٤ من الأول .
- علم المعارض وطرقها كان أقوى علوم العرب ومعرفتهم ص ٤٨ س ٦ .
- أحوال الكلام لم تكن تخفي على العرب ص ٥٤ س ٥ .
- الكلام في بيان أن القرآن يجب أن يكون معجزاً إذا تعذرت معارضته ص ٥٥ .
- عدم معرفة المتقدمين الأوائل لمصطلحات البلاغة لا يعني تقدم المتأخرين وتأخر المتقدمين . وفيه كلام جيد جداً . أواخر ص ٥٧ - ٦٢ .
- جواب المؤلف عن سؤال سخيف لبعضهم من أنه يجوز أن يكون القرآن كان قد تنزل على نبي قبل نبينا ﷺ ، ثم قام هو بقتله وأخفي حاله ص ٧٠ .
- هل يمكن أن يكون مثل القرآن مقدوراً للجن والإنس ص ٧٢
- طعن المؤلف في صحة أشعار الجن وحكاياتها ص ٧٣ س ٩
- كلام هام للمؤلف أن القرآن لم يختص بالفصاحة فقط ، بل الذي اختص به هو النظم المخصوص والأسلوب المتميز واقفاً على طبقات الفصاحة ص ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٦ .
- صاحب الموسيقى سبق الخليل في معنى العروض ص ٩١
- الخليل سقط عنه أوزان وأضرب منها الوزن المسمى بركض الخليل ، وجاء عليه الشعر المنسوب إلى عمرو الجني ص ٩١ س ٩ .
- قصيدة لبعض المحدثين على هذا الوزن مطلعها :
أنسيت فعالهم السمجا فأراك بذكرهم لهجا
- ص ٩١ س ٧ من أسفل .
- سقط من الخليل بن أحمد ضرب من وزن المنسرح وهو أن يقع في القافية مفعولان بدلاً من مفتعل ص ٩١ س ٤ من أسفل .

مخطوط فريد في إعجاز القرآن

- عودة إلى الوجوه التي ادعى إعجاز القرآن بها ص ٩٧ س ٤ من أسفل .
- المؤلف لا يمنع أن يكون الإخبار بالغيوب من أوجه إعجاز القرآن ص ٩٦ س ٨ من أسفل .
- القائلون بالإعجاز بالصرف ، وأن أكثر المتكلمين على أن إعجاز القرآن في الفصاحة المجردة ص ٨ س ١
- الإعجاز في النظم المخصوص ص ٩٨ س ٢
- اختيار المؤلف أن الإعجاز في النظم مع الفصاحة ص ٩٨ ، ٩٩ س ٣
- مصطلح « الأسلوب » يساوي في معناه مصطلح « النظم » عند المؤلف ص ٩٨ س ٧
- خطأ في آية قرآنية ص ١٠٠ س ١١
- كلام هام للغاية للمؤلف في الرد على من ادعى الإعجاز في الفصاحة في آية : ﴿ وقيل يا أرض اهلمي ماءك ﴾ ص ١٠٠
- الذي ذهب إلى أن وجه إعجاز القرآن في الفصاحة فقط هو من خفت بضاعته في معرفة كلام العرب ص ١٠١ س ١
- الذي من أجله لا يتعذر النظم هو العلوم التي يحصل بها ص ١٠٤ س ٣
- العلم بإيقاع الفصاحة في نظم مخصوص علم ثالث غير العلم بالنظم والعلم بالفصاحة ص ١٠٥ س ٤
- العلوم التي يعبر عنها بالطبع ص ١٠٥ س ٦
- الرد بقوة على من ادعى إعجاز القرآن في الصرفة ص ١٠٦
- علم الطبع علم زائد على العلم بالنظم والفصاحة ص ١٠٧
- الكلام في بيان أن القرآن ونظمه في أعلى طبقات الفصاحة ص ١١٠
- أصل الفصاحة الإبانة عن المعنى المقصود بحسن البيان ص ١١٠ س ٧ من أسفل
- من أبواب الفصاحة أن يكون الكلام مركباً في اللغات الفاشية بين العرب التي لم يترذلها أحد ص ١١٠
- من أقسام الفصاحة أن يكون الكلام مؤلفاً من لغات ترتفع عن المبتذل السوقي ، وينحط عن المستقل الحوشي ص ١١١
- من أقسام الفصاحة جزالة اللفظ ص ١١٢

- من أقسام الفصاحة التشبيهات والاستعارات ص ١١٥
- من أقسام الفصاحة الإيجاز ص ١٢٠
- من أقسام الفصاحة التطابق ص ١٢٧
- من أقسام الفصاحة الفواصل ص ١٢٧
- من أقسام الفصاحة التلاؤم ص ١٢٩
- عز الإسلام ورفعته في زمان المؤلف ص ١٤٦ ، ١٤٧
- المؤلف يذكر أنه رأى من سخفاء الفلاسفة من يذكر أن الإنسان إذا اختبل أخير بالغيب ص ١٥٥
- ذكر بعض معجزات النبي ﷺ وردت بها الآثار ص ١٦٠
- ذكر لبعض الآثار التي يعتمد عليها مؤلفو الشيعة من ذكر ماء الخوب وحديث : « تقتلك الفقة الباغية » ص ١٦١ - ١٦٢
- ذكر للقتبي في أدب الكاتب ص ١٦٢ من ٤ من أسفل
- حديث المؤلف عن الإمامية يكشف أنه ليس منهم ص ١٧٩ ، ١٨٠ من ٧ من أسفل
- صاحب كتاب الزمرد ص ١٨٠ من الأخير
- ذكر لإبراهيم بن أدهم وشيخان الراعي وبشر الخافي ص ١٨٠
- نقول من المؤلف عن كتب أهل الكتاب بما يشير إلى ثقافته الواسعة في اطلاعه على كتب اليهود والنصارى ص ١٨٢ - ١٩٠
- رجوع إلى الحديث في التأكيد على إثبات النبوة له ﷺ وحتى آخر الصفحات التي بين أيدينا ص ١٩٠ - ١٩٢

* * *

لامية العرب من أنفس قصائد
الشعر العربي، وقد شرحها
كثيرون؛ منهم التبريزي،
والزمخشري، والعكبري،
وغيرهم. ويعد شرح التبريزي
(ت ٥٥٠٢هـ) من أقدم الشروح،
وقد اهتم فيه مؤلفه بشرح مفردات
كل بيت، وإعطاء المعنى الإجمالي
له، وهو يشير - غالبًا - إلى
اختلاف الروايات في البيت
الواحد، وعلى هذا فإن شرحه قد
جاء متميزًا، حتى صار عمدة لمعظم
الشُّراح الذين جاءوا بعده.

شرح لامية العرب للتبريزي

د . محمود محمد العامودي*

* رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب - الجامعة الإسلامية (غزة).

تُعَلِّمُ لامية العرب للشنفرى من أنفس قصائد الشعر العربي ، لما حوته من معان جزلة ومفردات لغوية أصيلة وصور بلاغية رائعة ، ولما تصوّره من حياة الصعلكة التي عاشها صاحبها .

ولهذا انبرى لشرحها كبار علماء العربية من أمثال التبريزي والزمخشري والعكبري وابن أبي طي النجار وابن أبي لاجك التركي والغنيمي وابن زاكور الفاسي وعطاء الله المصري .

كما تناقلها أصحاب المختارات الشعرية من أمثال ابن طيفور وأبي علي القالي والخالدين وابن الشجري ، وغيرهم .

ويعد شرح الخطيب التبريزي من أهم هذه الشروح ، فهو من أقدم الشروح التي وصلت إلينا ، وقد اهتم فيه الشارح بشرح الألفاظ لغويًا ، وتوضيح المعاني العامة للبيت .

وقد حاولت في هذا البحث أن أخرج النص محققًا تحقيقًا علميًا ، ويعد هذا البحث استكمالًا لبحث سابق بعنوان : « شرح لامية العرب المنسوب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) : توثيق ونسبة » . وفيه أثبتُّ بما لا يدع مجالاً للشك أن قصيدة لامية العرب إنما هي للشنفرى ، وليست لخلف الأحمر (ت ١٨٠ هـ) ، كما أثبتُّ أن هذا الشرح لأبي زكريا يحيى بن علي ، المعروف بالخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) ، وليس كما هو مشهور ومتداول بين الباحثين من أنه لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) .

ومن المعلوم أن الخطيب التبريزي^(١) هو أحد أئمة اللغة والنحو، فقد أخذ على أبي العلاء المعري وأبي القاسم عبيد الله بن علي الرقي وأبي محمد الحسن ابن رجاء بن الدهان وعبد القاهر الجرجاني وأبي القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان العكبري والمفضل القصباني، وغيرهم من الأئمة.

وأخذ عنه الجلة، كالخطيب أبي بكر أحمد بن ثابت مؤرخ بغداد، وأبي منصور موهوب الجواليقي والسلفي وأبي الفضل بن ناصر، وغيرهم.

وله مصنفات جليلة منها: «تفسير القرآن العظيم وإعراجه»، و«شرح اللمع»، و«شرح الحماسة» - ثلاثة شروح - و«شرح ديوان المتنبي»، و«شرح ديوان أبي تمام»، و«شرح سقط الزند»، و«شرح المفضليات»، و«شرح القصائد العشر»، و«شرح الدرديرية»، و«تهذيب إصلاح المنطق» لابن السكيت، و«تهذيب الغريب المصنف» لأبي عبيد القاسم بن سلام، و«الكافي في العروض والقوافي»، و«مقاتل الفرسان»، و«مقدمة في النحو».

وتولى التدريس في المدرسة النظامية في بغداد، وكان حجة صدوقاً ثبّتا.

ولد سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، ومات فجأة سنة اثنتين وخمسائة.

(١) انظر الترجمة الوافية له، التي صنعها د. السيد تقي عبد السيد في مقدمة كتاب «شرح اللمع»، للخطيب التبريزي. وانظر ترجمته في: نزهة الألباء ٣٧٢، والمنظم ١١٤/١٧ - ١١٥، وإنباه الرواة ٢٨/٤ - ٣٠، ومعجم الأدباء ٢٥/٢٠، ومعجم البلدان ١٣/٢، ووفيات الأعيان ٦/١٩٦ - ١٩٦، والبداية والنهاية ١٢/١٧١، والكامل ٨/٢٥٨، وإشارة التعمين ٣٨٢، والبلغة ٢٤٠، والعبر ٢/٣٨٤، وبغية الوعاة ٢/٣٣٨، وطبقات المفسرين ٢/٣٧٢، وشذرات الذهب ٤/٦، والأعلام ٨/١٥٧، ١٥٨.

ويتلخص منهج التبريزي في شرحه في :

١- بدأ بعبارة « قال الأزدي ثم الأوسي لامية العرب »^(١) ، ثم بدأ بعد ذلك بشرح البيت الأول للقصيدة ، بدون مقدمة .

٢- التزم في شرحه ترتيب الأبيات كما وردت في نص القصيدة .

٣- لم يقم بشرح مفردات الأبيات التالية : (١٥ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ -

٤٧) ، واكتفى بذكرها فقط حسب ورودها في نص القصيدة ، ولم يذكر البيت التاسع :

وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عَنِ تَفْضُلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الْأَفْضَلُ التُّفْضُلُ

٤- غالباً ما يقوم بشرح المفردات لغوياً أولاً ، وبعد ذلك يعطي المعنى

الإجمالي للبيت ، فمثلاً في البيت الثاني والأربعين :

وَأَعْدِلُ مَنحُوضًا كَأَنَّ فُضُوضَهُ كِعَابٌ دَخَاهَا لَاعِبٌ فَهَي مُثَلُّ

يقول^(٢) : « المَنحُوضُ : القليل اللحم . أَعْدِلُ ذراعًا منحوضًا أي قليلاً لحمه

فأتوسده . وَفُضُوضُهُ : فَوَاصِلُ عَظَامِهِ ، الواحدُ فَصٌّ . وَدَخَاهَا : بَسَطَهَا .

شبهها في قلة لحمها وظهورها بكعاب ضَرِبَ فَمَثَلْتُ أي انتصبت ، وإنما

يريد بهذا كله أنه قليل خفيف معصوب له عظامٌ شديدة القصبِ » .

٥- اعتمد في شرحه على القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي ؛

(١) شرح لامية العرب ٧ ب .

(٢) شرح لامية العرب ١٦ أ - ١٦ ب .

ففي البيت الرابع والخمسين :

دَعَسْتُ عَلَى غَطْشٍ وَتَغَشٍ وَصُحْبَتِي شِعَارٌ وَإِزْيِزٌ وَوَجْرٌ وَأَفْكَالٌ
يقول^(١) : وَالغَطْشُ : الظلمة ، من قوله تعالى : ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ﴾^(٢) ، قال
الأعشى :

وَيَهْمَاءٌ بِاللَّيْلِ غَطْشِي الْفَلَاةُ يُؤْرَقُنِي صَوْتُ فَيَايَهَا
وفي البيت السادس :

هُمُ الْأَهْلُ لَا مُسْتَوْدَعُ السَّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخَذَلُ
يقول^(٣) : « جعل الوحوش أهلاً له يعدل بهم عن أهله ، وزعم أنهم لا
يذيعون سره ، ولا يتخذلون جانباً لديهم إذا جر جريرة ، وقال عليه السلام :
« رحم الله من تكلم فغتم ، وسكت فسلم » . ٤٠ .

وفي البيت السابع عشر :

وَلَسْتُ بِعَلٍّ سَرَّةٌ دُونَ خَيْرِهِ أَلْفٌ إِذَا مَا رُعْتَهُ اهْتَجَّ أَغْرَلُ
يقول^(٤) : الْعَلُّ : الصغيرُ الجسم ، الكبيرُ الجوف ، وأكثر ما يوصف به
الكبير ، ويقال للقراد : عَلٌّ لِلطَّافَةِ ، وأنشد الأصمعي للمتنخل الهذلي :
لَيْسَ بِعَلٍّ كَبِيرٍ لَا شَبَابَ لَهُ لَكِنْ أَثِيْلَةٌ صَافِي الْوَجْهِ مُقْتَبَلُ

(١) شرح لامية العرب ١٧ ب .

(٢) سورة النازعات ٢٩/٢٩ .

(٣) شرح لامية العرب ٨ ب .

(٤) شرح لامية العرب ١٠ ب .

٦- أشار إلى الروايات المختلفة للبيت ، فمثلاً في البيت السابع :

وَكُلَّ أَبِي بَيْسَلٍ غَيْرَ أَنِّي إِذَا أَعْرَضْتُ أَوْلَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ
يقول^(١) : ويروى : عَرَضْتُ أَوْلَى الطَّرَائِدِ .

وفي البيت الخامس والثلاثين :

وَتَشْرَبُ أَسَارِي الْقَطَا الْكَدْرُ بَعْدَمَا سَرَتْ قَرِيبًا أَخْنَأُهَا تَتَصَلَّصَلُ
يقول^(٢) : « وروايتي : «أخْنَأُهَا» ، وهو أجود عندي » .

لقد مثَّلت لامية العرب حياة الصعلكة التي عاشها الشنفرى أصدق تمثيل ، فعبر بها عن مشاعره وأحاسيسه بصورة صادقة أمينة ، وتميزت بثناء لغوي ونحوي في مفرداتها وتراكيبها ، وبعد شرح التبريزي لهذه القصيدة أقدم شرح وصل إلينا ، وقد اعتمدت عليه معظم الشراح ، مثل عطاء الله المصري ، ففي البيت العاشر :

ثَلَاثَةُ أَصْحَابٍ فُوَادٌ مُشْبَعٌ وَأَبْيَضُ إِضْلِيَّتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ
يقول الخطيب التبريزي : « ولا أعلم أحداً وصف القوس بهذه الصفة
غيره^(٣) » .

ويقول عطاء الله المصري : « قال بعضهم : ولا نعلم أحداً وصف القوس

(١) شرح لامية العرب ٨ ب .

(٢) لامية العرب ١٥ أ .

(٣) شرح لامية العرب ١٩ .

بهذه الصفة غيره»^(١).

وقد اعتمدت على نسخة وحيدة مجهولة المؤلف في مكتبة برلين، وهي ضمن مجموعة تحتوي على المصنفات التالية:-

١- المقصور والمدود، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٥٣٢١هـ)، ويبدأ من الورقة ١١ وينتهي بالورقة ١٧.

٢- شرح لامية العرب، مجهول المؤلف، وتبدأ من الورقة ٧ ب، وتنتهي بمنتصف الورقة ٢٠، وهو هذا الشرح الذي نقوم بتحقيقه.

٣- شرح بانة سعاد، لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، وتبدأ من منتصف الورقة ٢٠، وتنتهي بالورقة ٣٠ ب.

٤- قصيدة على قافية الشاء، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٥٣٢١هـ)، وتبدأ من الورقة ٣٠ ب، وتنتهي بالورقة ٣٧ ب.

إذن هذه النسخة تقع في ثلاث عشرة ورقة، وهي مجهولة المؤلف، وليس للكتاب صفحة خاصة بعنوانه، ومسطرتها ثلاثة عشر سطرًا، وفي كل سطر حوالي ثلاث عشرة كلمة، وخطها فيه بعض الشكل.

أما النسختان المطبوعتان فتختلفان اختلافًا كبيرًا عن النسخة المخطوطة، ولذلك لم أعتمد عليهما في التحقيق، وهما:

(١) نهاية الأرب ٤٥ .

أ - شرح لامية العرب، المنسوب للمبرد - طبع مطبعة الجوائب -
قسطنطينية بإستانبول - ١٣٠٠هـ .

ب - شرح لامية العرب، المنسوب للمبرد - طبع ضمن كتاب «بلوغ
الأرب في شرح لامية العرب»، وقد قام بطبعه محمد عبد الحكيم القاضي،
ومحمد عبد الرازق عرفان، بدون تحقيق .

العروة الأخيرة من مخطوطة "شرح لامية العرب"

بها يلبس

١١١

واعل انصفتنا بنوع من قوله سري من ثوبه يجره كالمعجزة
 كورد الازوي الضيف حركي كما عذرنا عليه من اللداء اللدليل
 تروند نهد في يوم لارا اذ ايدتية وهي من النسر البرق والشمس
 لك تعرف الى السواد ولرب السحج وقال لرب الامل تسير لرب قوتيه
 لما كرا صم الازفتا من كركنا لكره يربينا اثر نيتنا في ريبه يمتعه
 يا فتواك والسهم يتقاتل وهذا البعير نيتنا ليس بظلمة من الازفتيت
 احدهم لا يعرفهم الا كقوتنا كرا لاسمته والذين الطول بالدريل
 ويؤكد باننا صرحي كما في الجمع احمي بنيتي الكبر اعوان
 يركبنا يقتصر على الاصيل المشعل والجمع لعل وجمع الجمع لعل
 وانما في وطنه الطابوع ان يركبنا هو لعل الفرس لعل لانه قوتنا
 كرا لاسمته يتاثر في كرا لعل لعل وهو لعل الفرس لعل لانه قوتنا
 وهو الذي يوضع الحسم منه يمش يربط لعل لعل لعل لعل لعل لعل
 الذي يملقنا به ناهي صبره ولا نيتي من كرا لعل لعل لعل لعل لعل

لكم الضيف نرها نعتي كركها وتنتج نهاره الكعب والرخان حبي الجبل
 وانطق بالانسان لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل
 كانا يدان في الجبلات لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل
 ولينم فيه نيتهم ما هو حرك
 خبيد السبي لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل
 عهدهم اعدت في نيتي لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل
 شملع نيتي من نيتي لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل
 عهدهم نيتي لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل
 نيتهم لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل
 له نيتي لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل
 الذكور لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل
 نيتي لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل
 نانا مكتوب نيتهم لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل لعل

١٢

شرح لامية العرب للتبريزي بسم الله الرحمن الرحيم

٧/ قال الأزدي ثم الأوسي : لامية العرب :

١- أَيْمُوا نَبِيَّ أُمِّي صُدُورَ مَطِيئِكُمْ فَوَاتِي إِلَى أَهْلِ سِوَاكُمْ لِأَمِيلُ
ويروى : « بني لُبْنَى » . أي جِدُوا في أَمْرِكُمْ ، وانتبهوا من رَفَدْتِكُمْ .

قال أبو العباس ^(١) : الشَّنْفَرَى : البَعِيرُ الضَّخْمُ .

٢- فَقَدْ حَمَتِ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقِيمٌ وَشَدَّتْ لِيَطِيئَاتِي مَطَايَا وَأَرْحُلُ
حُمَتْ : قَدَّرَتْ . وقوله : وَاللَّيْلُ مُقِيمٌ أي قد وضع الأمر كما يكشف
القمر الخفاء . وَالطَّيْئَةُ : الْحَاجَةُ . مطايا جمع مَطَايَا . وَأَرْحُلُ : جَمْعُ رَحْلٍ .

٣- وَفِي الْأَرْضِ مَثَأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى وَفِيهَا لِيَنْ خَافَ الْقَلَى مُتَحَوَّلُ
مَثَأَى أي مذهب بعيد ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَا يَجْلِسُ عَلَى الْأَذَى ، بل يبعد في
الْأَرْضِ عَنْهُ وَيَذْهَبُ . وَالْقَلَى : الْبُغْضُ ، يُقَالُ : قَلَأَهُ أَيَّ بَغْضَهُ .

٤- لَعَمْرُكَ مَا بِالْأَرْضِ ضَيْقٌ عَلَى امْرِئٍ سَرَى رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا وَهُوَ يَغْفَلُ
أَيَّ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ لَهُ عَقْلٌ مَا تَضِيقُ عَلَيْهِ الْأَرْضُ رَاغِبًا كَانَ أَوْ رَاهِبًا .

(١) هو أبو العباس ثعلب ، إمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه . توفي سنة إحدى وتسعين
وماثلتين . انظر : نزهة الألباء ٢٢٨ ، وإنباه الرواة ١/ ١٧٣ ، وإشارة التعيين ٥١ ، والبلغة ٦٥ ، ٦٦ ،
وبغية الوعاة ١/ ٣٩٦ ، والخزانة ١١/ ٣٥٠ .

والشّرى : سَيَّرَ الليل . / أ ٨

٥- ولي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سَيِّدٌ عَمَلَسٌ وَأَزْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَزَفَاءُ جِيَالٌ
الأزْقَطُ : الذي فيه سَوَادٌ وَيَبَاضٌ . والسَيِّدُ : الذُّبُّ . [وَالْعَمَلَسُ] ^(١) : فيما
[ذكر لي] ^(٢) عن الأجل : السريع المَرَّ في سهولة ، وأنشدني لابن ميادة ^(٣) :
عَمَلَسٌ أَشْفَارٍ إِذَا اغْتَرَضَتْ لَهُ سُمُومٌ كَحَرَ النَّارِ لَمْ يَتَلَمَّ ^(٤)

وَالْعَمَلَسُ : من أوصاف الذُّبِّ ، فوصف هذا به رجلاً استعارة . والسَيِّدُ في
لغة هَذِيل ^(٥) : الأسد وإنما عني هنا الذُّبُّ ، ألا تراه قال : عَمَلَسٌ . والأزْقَطُ :
النَّير والحية ، والرَّقَطَةُ : كُلُّ لونين مختلفين . والزُّهْلُولُ : الخفيفُ ، ويقال :
التَّقِيبُ . وَالْعَزَفَاءُ : الضَّبِيعُ الطويلة العُزْفُ ، وليس هاهنا بنعت ، ولكنه في الأصل
نعت ، فقلب فصار بمنزلة الأسماء غير النعوت ، حتى أنه يقال : جاءتكم
العرفاء ، فيفهم من هذا القول : إنه الضبيع جاءت . يجري هذا مجرى : أجدل

(١) ما بين المعكوفتين زيادة من الجواثب ١٧ ، ليستقيم المعنى .

(٢) في المخطوطة : لابن مياد . تصحيف .

(٣) ينسب البيت لابن ميادة ، ولغيره في : شعر ابن ميادة ق ١٠٣/٣ ، ص ٢٥٥ ، وشرح حماسة
أبي تمام للأعلم ٩٣٩/٢ ، وحاشية على شرح بانت سعاد ٤٩٧/١/٢ ، وينسب البيت أيضاً لعدي
ابن الرقاع العاملي في ديوانه ٧٨ ، ولسان العرب (عملس) ٣١١٠/٤ ، وينسب البيت أيضاً لمليحة
الجرمي ، في : شرح ديوان حماسة أبي تمام المنسوب للمعري ١١٥٥/٢ ، وشرح كتاب الحماسة
للفارسي ٣/٣٣٤ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٧٤٩/٤ ، وشرح ديوان الحماسة للتريزي ٤/
٢٦٦ ، والبيت بلا نسبة في الصحاح (عملس) ٩٥٣/٣ ، وأعجب العجب ٤٧ ، وعنوان الأدب
٧ ب . ويروى : «استقبلت» بدل «اعترضت» ، في بعض المصادر .

(٥) انظر : عنوان الأدب ١٧ .

بمَعْنَى الصقر لا يُراد غيره. وهو في الأصل نعت؛ لأنه من الجدَل وهو شدة الخلق، يقال: غلامٌ مجدول إذا كان شديد العصب، وزمامٌ مجدول إذا كان مُحْكَم الخرز، وليس كل ما كان مجدولاً يسمى أجدل، فصار اسماً غالباً.

وَجَيْئَالٌ: من أسماء الضَّبَعِ. / ٨

٦- هُمُ الْأَهْلُ لَا مُشْتَوَذِعَ السَّرِّ ذَائِعَ لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي بِمَا جَزَّ يُخَذَلُ
جعل الوحوش أهلاً له يَتَعَذُّ بِهِمْ عَنْ أَهْلِهِ، وَزَعَمَ أَنَّهُمْ لَا يَذِيعُونَ سِرَّهُ وَلَا
يُخَذَلُونَ جَانِبًا لَدَيْهِمْ إِذَا جَزَّ جَرِيرَةٌ. وقال عليه السلام: «رحم الله من تكلم
فغنم، وسكت فسلم»^(١). والسَّرُّ عندهم مذاع، عَنَى بذلك أهله.

٧- وَكُلُّ أَبِيِّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنِّي إِذَا أَعْرَضْتُ أَوْلَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ
وَالْأَبْيُّ: الْحَيِيُّ الْأَنْفُ الَّذِي لَا يَقْرُ عَلَى الضَّمِيمِ. وَالْبَاسِلُ وَالْبَيْسِلُ:
الْكَرْيَةُ. ويروى^(٢): «عَرَضْتُ أَوْلَى الطَّرَائِدِ» أي بدت، ومن قال: «أَعْرَضْتُ»
يريد بدا عَرَضُهَا وهو ناحيتها قال: عمرو بن كلثوم^(٣):

(١) أورده السيوطي في «الدرر المنتشرة» ٨٩.

(٢) هذه الرواية في: أعجب العجب ٥١، وإعراب لامية الشنفرى ٦٥، وخزانة الأدب ٣/٣٤٠،
وعنوان الأدب ٩٦، وتفريغ الكرب ٣٠، ونهاية الأرب ٤٠.

(٣) اسمه عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن
عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل، وهو شاعر فارس جاهلي، أحد فُتَاك العرب، وهو الذي قُتِلَ
بعمرو بن هند ملك الحيرة، وكنيته أبو الأسود، وأخوه مَرَّة هو الذي قُتِلَ المُنْذِرُ بن النعمان، وأمه
أسماء بنت مهلهل بن ربيعة. انظر: الشعر والشعراء ١/٢٣٤، ومن اسمه عمرو بن الشعراء ٤٨-
٤٩، والمؤتلف والمختلف ١٥٥-١٥٦، وخزانة الأدب ٣/١٨٣.

وَأَغْرَضَتِ الْيَحَامَةَ وَاشْمَخَرَتْ^(١)

والطَّرَائِدُ جَمْعُ طَرِيدَةٍ، فقد يكون أراد^(٢) بالطريدة التي تُطْرَدُ، فإذا قال:
التي تطرد فلا نظر فيه .

يقول: إذا لقيني أوائل الخيل التي تريد طردي وقتلي امتعت لشجاعتني وإن
كانت التي تُطْرَدُ لم تطمع فيها من قبلي، والتي تطرد الخيل هذا الأخلق وإن
كانوا ربما قاتلوا على الإبل فخيرهم بالقتال على الخيل .

وَالْأَبْسَلُ: الْأَشْجَعُ . / ١٩

٨- وَإِنْ مَدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ
أراد به: لا يَمُدُّ يَدَهُ قَبْلَ أَيْدِيهِمْ إِلَى الطَّعَامِ . وَالْأَجْشَعُ^(٣): الْحَرِيصُ عَلَى
الطَّعَامِ .

(١) صدر بيت لعمر بن كلثوم في ديوانه ق ٣٤/٢٦، ص ٨١ وعجزه:

كَأَشْيَافٍ بِأَيْدِي مُضَلِّيْنَا

وفي معلقة عمرو بن كلثوم لأبي الحسن بن كيسان ٥٣، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ق
١٤/٥ ص ٣٨٣، وشرح القصائد المشهورات للنحاس ق ١٥/٧ ج ٢ ص ٩٥، وتهذيب اللغة
(صدره) ١/٤٦١، وشرح المعلقات السبع للزوزني ٢٩٩، وشرح القصائد العشر للتبريزي ق ٦/
١٦، ص ٣٢٩، ولسان العرب (عرض) ٤/٢٨٩٦، ونهاية الأرب ٤١. والبيت بلا نسبة في
الصحاح (عرض) ٣/١٠٨٤، وشرح أشعار الهذليين ٣/١١٩٤.

(٢) كلمة: «أراد» مكررة مرتين في المخطوطة .

(٣) في المخطوطة: «والأشجع» . وفيه تصحيف .

٩- وَإِنِّي كَفَانِي فَقَدْ مَنْ لَيْسَ جَازِيًا بِتُعْمَى^(١) وَلَا فِي قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ

جواب هذا البيت في البيت الذي يليه ، وهو «ثلاثة أصحاب» ، يعني أن هؤلاء الثلاثة كفؤه فقد من ليس جازيًا بتُعْمَى ، أي لا يفكر بفقده إذا وجد هذه الثلاثة .

١٠- ثَلَاثَةُ أَصْحَابٍ : فُوَادٌ مُشْتَيْعٌ ، وَأَيُّضُ إِضْلِيَّتٍ ، وَأَصْفَرُ^(٢) عَيْطَلُ

المُشْتَيْعُ : المقدم المجمع القلب ، كأنه في شيعته أي أصحابه . والإضليَّة : السيف الذي مجرَّد من غمده . والصفراء : قوس نبع^(٣) .

وعَيْطَلٌ : طويلة ، يقال : امرأة عَيْطَلٌ ، إذا كانت تامة القامة ، وعنق عَيْطَلٌ إذا كانت كذلك .

ولا أعلم أحدًا^(٤) وصف القوس بهذه الصفة غيره .

١١- هَتُوفٌ مِّنَ الْمَلْسِ الْمُتُونِ تَرِيئُهَا رَصَائِعُ قَدْ نِيَطَتْ عَلَيْهَا^(٥) مِحْمَلُ

(١) يروى : «يُحْسَنِي» بدل «بِتُعْمَى» ، في : أعجب العجب ٥٧ ، وإعراب لامية الشنفرى ٧١ ، وعنوان الأدب ١١ ب ، وتفريع الكرب ٣٢ ، ونهاية الأرب ٤٤ ، واختصار المنتخب ٨ ب .

(٢) يروى : «صفراء» بدل «أصفر» ، في : أعجب العجب ٦٠ ، وإعراب لامية الشنفرى ٧٢ ، وعنوان الأدب ١٢ ب ، وتفريع الكرب ٣٢ ، ونهاية الأرب ٤٥ ، وشرح لامية العرب لابن أبي لاجك ٤ أ ، واختصار المنتخب ٨ ب .

(٣) التَّبَعُ : شجرٌ تتخذُ منه القسي . انظر : الصحاح «نبع» ١٢٨٨/٣ .

(٤) في المخطوطة «أحد» . وهو غلط .

(٥) يروى : «إليها» بدل «عليها» ، في : أعجب العجب ٦١ ، وإعراب لامية الشنفرى ٧٣ ، ونهاية الأرب ٤٦ ، وشرح لامية العرب لابن أبي لاجك ٤ أ ، واختصار المنتخب ٩ أ .

هَتُوفٌ إِذَا أَتَبَضَّ فِيهَا سَمِعَتْ لَهَا صَوْتًا كَأَنَّهَا تَهْتِفُ ، أَي هِيَ مِنْ عَوْدٍ أَمْلَسَ لَمْ تَكْثُرَ أَغْصَانُهُ ، فَتَكْثُرُ فِيهِ الْعَقْدُ . وَالرِّصَائِعُ : حَزَزٌ نَيْطَتْ عَلَيْهَا ، / ٩ ب لئلا تصيبها العين . وَالْمِخْمَلُ : مَا يُحْمَلُ بِهِ ، كَمِخْمَلِ السِّيفِ وَغَيْرِهِ . وَنَيْطَتْ : عُلِّقَتْ .

١٢- إِذَا زَلَّ عَنْهَا السَّهْمُ حَتَّى كَانَتْهَا مُرْرَآةً تَكَلِّي تَرِنَ وَتُعْوِلُ زَلَّ عَنْهَا : خَرَجَ . وَحَيْنَيْتُهَا : صَوْتُ وَتَرَاهَا . وَالْمُرْرَآةُ : الْكَثِيرَةُ الزَّرَايَا ، فَهِيَ حَرِيَّةٌ بَأَنَّ تَرِنَ ، وَتُعْوِلُ مِمَّا بَهَا مِنَ الْحَزَنِ ، وَالتَّكَلَّى مِثْلُهَا . وَيُرْوَى : عَجَلَى ، وَعَجَلَى : مَسْرَعَةٌ ، يُقَالُ : أَرْنَتْ تَرِنًا ، وَرَنْتُ تَرِنًا .

١٣- وَلَسْتُ بِمِهْيَافٍ يُعَشَّى سَوَامَهُ مُجْدَعَةٌ سَقْبَاتُهَا وَهِيَ بُهَلُ الْمِهْيَافِ : الَّذِي يَبْعُدُ بِإِبْلِهِ طَلَبَ الْمَرْغَى عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ فَيَعْطِشُهَا وَيَمِشِي بِهَا . الْمَجْدَعَةُ : السَّيْئَةُ الْغِذَاءِ . وَالسَّقْبَانُ^(١) : جَمْعُ سَقْبٍ ، وَهُوَ وَلَدُ النَّاقَةِ الصَّغِيرِ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ^(٢) : أَوَّلُ مَا يُقَالُ لَوْلَدِ النَّاقَةِ لَمَّا يَسْقُطُ مِنْ بَطْنِهَا سَلِيلٌ ، وَهُوَ قَبْلَ أَنْ يُعْلَمَ ذَكَرٌ هُوَ أَمَّ أَنْثَى ، ثُمَّ يُسَمَّى بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا تَبَيَّنَ سَقْبًا وَحَوَارًا ، وَالْأَنْثَى سَقْبَةٌ ، وَالَّذِي قَرَأْنَا عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى^(٣) : سَقْبَاتُهَا وَلَا يَمْتَنَعُ^(٤) ، وَالْمَحْفُوظُ مَا بَدَأَتْ بِهِ .

(١) الصحاح (سقب) ١/١٤٨؛ (حيل) ٤/١٦٨٠.

(٢) انظر: الصحاح (سلل) ٥/١٧٣١، ونهاية الأرب ٤٨. والأصمعي هو عبد الملك بن قريب، ويكنى أبا سعيد، وكان صاحب النحو واللغة والغريب والأخبار والملح. توفي سنة ست عشرة ومائتين. انظر: طبقات النحويين واللغويين ١٦٧، ونزهة الألباء ١١٢، وإشارة التعمين ١٩٣.

(٣) أي أبو العباس أحمد بن يحيى، المعروف بثعلب، وهذا القول في خزنة الأدب ٩/١٩٩.

(٤) في المخطوطة: «ولا تمتنع». تصحيف.

والبهل^(١) : جمعُ باهلة وباهل، وهي الخلالة لا يتعهدا راعيها وبه سميت باهلة، ويقال: بهل الرجل إذا مضى لا قيم عليه، وأبهلته إذا تركته مَحَلَى، / ١٠ والباهلة أيضا التي لا صِرَارَ عليها لترضعها أولادها ذلك أسمن لها.

١٤- وَلَا جُبَاءَ أَكْهَى مُرِبٌ بِعِزِّهِ يُطَالِعُهَا فِي شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ
والجُبَاءُ: الجَبَانُ.

والأَكْهَى: الكَرِيهُ الأَخْلَاقِي الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ. قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ^(٢): الأَكْهَى البليد مثل الكَهَامِ والدَّدَانِ. والمُرِبُ: المقيم. يقال: لست أسيء الرعية، ولا أُجِبُّ، وَلَا أُقِيمُ مع النساءِ أَشَاوِرُهُنَّ فِي أُمُورِي. ولو نصب «جُبَاء» لعطفه على الموضع. والجُبَاءُ: مقصورٌ ومهموزٌ، الضعيفُ القَلْبِ.

١٥- وَلَا خَرِقِي هَيْتِي كَأَنَّ فُؤَادَهُ يَظَلُّ بِهِ الْمَكَاءُ يَغْلُو وَيَسْفُلُ

١٦- وَلَا خَالِيفِ دَارِيَةِ مُتَعَزِّلٍ يَزُوحُ وَيَعْدُو دَاهِنًا يَتَكَحَّلُ

الخَالِيفُ: الفاسدُ، يقال: خَلَفَ الأَدِيمُ إِذَا فَسَدَ، ويقال: المُتَخَلِّفُ عن الخير، وأكثر ما تقول العربُ: خَالِيفَةً، وهو مأخوذ من عمود البيت المتأخر؛ لأن ذلك يسمى خَالِيفَةً، وأصل الجميع أنه مأخوذ من الخلفة. والهاء الزائدة للمبالغة في الذم، كما يقال: راوِ وراويةً ونَسَابٌ ونَسَابَةٌ، وما أشبه ذلك.

وَالدَّارِيَةُ: الَّذِي لَا يَفَارِقُ الْبُيُوتَ، الْمَلَازِمُ الدَّارِ. وَمُتَعَزِّلٌ: (مُتَعَقِّلٌ)، من

الغَزَلِ مع النساءِ وَيَدَّهِنُ وَيَتَكَحَّلُ.

(١) انظر: الصحاح (بهل) ٤/١٦٤٢ - ١٦٤٣.

(٢) خزائن الأدب ٩/٢٠٠.

١٧- وَكُنْتُ بَعْلٌ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ أَلْفٌ إِذَا مَا رُغِمَتْهُ اهْتِاجٌ أَعْرَزُ

/ ١٠ ب العَلّ : الصغير الجسم ، الكبيرُ الجوفِ ، وأكثر ما يوصف به الكبيرُ، ويقال للقراد : عَلى للطاقته . وأنشد الأصمعي للمتخَلِّ الهذليّ^(١) :

لَيْسَ بِعَلٍّ كَبِيرٍ لَا شَبَابَ لَهُ لَكِنْ أُثَيْلَةٌ صَافِي الْوَجْهِ مُقْتَبِلٌ^(٢)

والألفُ : الذي لا يقوم بحرب ولا لضيّف ، إنما يلتف لينام . قالت امرأة من العرب لزوجها : « وَاللَّهِ إِنْ أَكَلَكْ لَاقْتِفَافٌ ، وَإِنْ شُرْبَكَ لَاشْتِفَافٌ ، وَإِنْ ضَجَعَتَكَ لَاإِتِفَافٌ »^(٣) .

الاقْتِفَافُ : كأنه يأخذ غذاءه كالسرقة لئلا يُشَارَكَ فيه ، وقيل أيضًا : إنه يستوعب آخر الغذاء لا يبقى منه شيئًا شَرَّهَا ، يقال : اقتف ما في الإناء إذا استوفاه .

والاشْتِفَافُ : أن يستوفي ما يشرب ، وهو مثل الاقتفاف . والأعْرَزُ : الذي لا رمح معه ولا سلاح . قال أبو عبيدة^(٤) : إن كان معه عصًا فليس بأعزل .

(١) اسمه مالك بن عويمر بن عثمان بن خنيس بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة ، أخو بني لحيان بن هذيل بن مدركة ، شاعر محسن من شعراء هذيل ، وهو صاحب القصيدة الطائية ، قال الأصمعي : هي أجود طائية قالتها العرب . والمتخَلِّ لقبه وهو شاعر جاهلي . انظر : المؤلف والمختلف ١٧٨ ، وخزانة الأدب ٤ / ١٥٠ .

(٢) البيت للمتخَلِّ الهذلي في شرح أشعار الهذليين ق ٩/٦ ج ٣ ص ١٢٨٢ ، والشعر والشعراء ٢ / ٦٦١ ، ولسان العرب (علل) ٤ / ٦٠٨٠ ، ونهاية الأرب ٥١ .

(٣) هذا القول في نهاية الأرب ٥٢ .

(٤) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري . من أعلم الناس باللغة وأخبار العرب وأنسابها . وله في ذلك مصنفات . ولد سنة عشرة ومائة ، وتوفي سنة عشرة ومائتين . انظر : مراتب النحويين ٧٧-٧٩ ونزهة الألباء ١٠٤-١١١ وإنباه الرواة ٣/٢٧٦-٢٧٨ ، والبلغة ٢٢٤ .

١٨- وَلَسْتُ بِمِخْيَارِ الظَّلَامِ إِذَا انْتَحْتُ هُدَى الهَوْجِلِ العِيسِفِ يَهْمَاءُ يَفْعَلُ
مِخْيَارٌ: مِفْعَالٌ مِنَ الحَيْرَةِ؛ لَأَنَّ مِفْعَالًا للتكثير كفَعَال ونحوه. وَنَحْتُ: قَصَدْتُ، هكذا كان في الأصل. وحفظي: إذا انتحت، أي اعترضت. وَالهَوْجَلُ: البليدُ الذي لا هداية له. والعِيسِفُ: الذي يسير على الأرض على غير هدى. واليَهْمَاءُ: التي لا عَلَمَ بها. والهَوْجَلُ من الأرض: الشديد / ١١١ أ البعيد المسلك المهول. يقول: أنا كثير الهداية في الأرض الذي لا يهتدى فيها. يقال: هذا هدى حسنة. مسموعة عند العرب، وتذكر أيضًا.

١٩- إِذَا الأَمْعَزُ الصَّوَانُ لَأَقَى مَنَاسِمِي تَطَايَرَ مِنْهُ قَادِحٌ وَمُقَلَّلٌ
الأَمْعَزُ^(١): المكان الذي فيه حصى، والبُقْعَةُ مَعْرَاءٌ.

والصَّوَانُ^(٢): الحِجَارَةُ المَلْسِ، الوَاحِدَةُ صَوَانَةٌ، وليس هو الصَّوَانُ في الحقيقة وإنما التقدير إذا الأَمْعَزُ ذو الصَّوَانِ، فحذف ذو لعلم السامع كما قال جل ذكره: ﴿وَأَسْأَلِ القَرْيَةَ﴾^(٣). وهو كثير، وإنما يريد مكانًا فيه حصى وهو الصَّوَانُ.

والمَنَاسِمُ: في الأصل أَخْقَافُ البِيعِيرِ، كالتنابك من الخيل، فاستعارها لِنَقْسِهِ. وَالقَادِحُ: ما يخرج معه النار من شدة وطئه. وَالْمُقَلَّلُ: المَكْسَرُ. يقول: إذا أصابت رجلي حجراً قدحْتُ منه نَارًا وانكسر^(٤) الحجَرُ.

(١) انظر: الصحاح (معز) ٨٩٧/٣.

(٢) انظر: الصحاح (صون) ٢١٥٣/٦.

(٣) سورة يوسف ٨٢/١٢.

(٤) في المخطوطة: «وانكسرت»، تصحيف.

٢٠- أَدِيمٌ مِطَالٌ الْجُوعِ حَتَّى أَمِيثُهُ وَأَضْرِبُ عَنْهُ الذَّكْرَ صَفْحًا فَأَذْهَلُ
يقول : أقوى على رد نفسي عما تهوى ، وأغلبها . وَأَذْهَلُ عن الجوع :
أنساه ، يقال : ذَهَلَ يَذْهَلُ ذَهولًا .

٢١- وَأَشْتَفُ تُرْبَ الْأَرْضِ كَيْلًا يَرَى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطَّلْوِلِ امْرُؤًا مُتَطَوَّلُ
٢٢- وَأَوْلَا اجْتِنَابَ الدَّامِ لَمْ يَلْفَ مَشْرَبٌ يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيْ وَمَا كَلُ / ١١ ب
٢٣- وَلَكِنَّ نَفْسًا حَرَّةً لَا تُقِيمُ بِي عَلَى الدَّمِ إِلَّا رَيْثَمًا أَتَّحَوَّلُ
يقال : دَمٌ وَدَامٌ وَذِيمٌ وَذِينٌ وَذَنْ وَذَانٌ .

٢٤- وَأَطْرَبِي عَلَى الْخَمْصِ الْحَوَايَا كَمَا انْطَوَتْ خُيُوطُهُ مَارِي تَغَارُ وَتُفْتَلُ
الْخَمْصُ : الضَّمْرُ .

والْحَوَايَا : جَمْعُ حَوِيَّةٍ ، كَنَيْبَةٍ وَثَنَايَا ، وَرَكِيبَةٍ وَرَكَايَا ، وهو ما تَحْوَى فِي
البطن إذا اجتمع واستدار ، وبعض العرب تقول : حَاوِيَةٌ كَرَاوِيَةٌ وَرَوَايَا .
وْخُيُوطَةٌ : الخُيُوطُ ، وَأَتَى بِالْهَاءِ لِلتَّأْنِيثِ إِذْ كَانَ يَعْنِي الْجَمَاعَةَ ، كَقَوْلِكَ :
الجوارية وما أشبه ذلك . وَالْمَارِي : الْقَاتِلُ .

وَتَغَارُ : يُحْكَمُ قَتْلُهَا ، يقال : مَارَتْ الشَّيْءَ إِذَا أَصْلَحَتْهُ . يَصِفُ : أَنَّهُ
مُحْكَمٌ كَهَذَا الْحَبْلِ .

وأخبرني اليزيدي^(١) عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي^(٢) ، أَنَّ الْأَصْمَعِي سَأَلَهُ

(١) الفضل بن محمد بن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي (٢٧٨) إنباه الرواة ٢٧/٣ ، وأعجب العجب ٣٦ .
(٢) هو إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلي أبو محمد ، ابن النديم ، من أشهر تدماء =

عن قول أَرْطَاةَ بنِ سُهَيْبَةَ المُرِّيِّ^(١) :

وَمُعَرِّسٍ لَعِبِ الكَلَالُ بِهِ رُودِ الشُّبَابِ كَأَنَّهُ حَبْلُ^(٢)

فقال : ما معنى حبل ؟

قلت : أراد الضعيف ، يقول : هو مُتَّئِنٌّ كهذا الحبل ، فأنكره علي .

قلت : ما معناه ؟

قال : مُمَّرٌّ .

٢٥- وَأَعْدُو عَلِيٍّ الرَّادِ الرَّهِيدِ كَمَا عَدَا أَزْلُ تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ أَطْحَلُ ١١٢

ويروى^(٣) : « عَلِيٌّ القُوتِ الرَّهِيدِ » . والرَّهِيدُ : القليل الذي يُزْهَدُ فيه .

= الخلفاء ، تفرد بصناعة الغناء . وكان عالماً باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام ، راويا للشعر حافظاً للأخبار شاعراً . فارسي الأصل ، مولده ووفاته ببغداد ، وعمي قبل موته بستين ، نادم الرشيد والمأمون والوائق من العباسيين . قال ثعلب : رأيت لإسحاق الموصلي ألف جزء من لغات العرب كلها سماعه . من تصانيفه أغانيه ، وأخبار عزة وأغاني معبد وأخبار حماد عجرد وأخبار ذي الرمة وغيرها من الكتب . توفي سنة مائتين وخمس وثلاثين . انظر : طبقات ابن المعتز ٣٥٩ ، والأغاني ٥/٢٧٨ ، ومعجم الأدباء ٥/٦ ، ووفيات الأعيان ١/٢٠٢ ، والأعلام ٢٩٢ .

(١) هو أَرْطَاةُ بنِ زفر بن عبد الله بن مالك الغطفاني المرِّي ، أبو الوليد ، ابن سُهَيْبَةَ وهي أمه بنت زامل وقيل : كانت أمه لضرار بن الأزور وصارت إلى زفر وهي حامل ، فجاءت بأرطاة ، شاعر من فرسان الجاهلية ، معمر ، عاش قريبا من نصف عمره في الإسلام ، وأدرك خلافة عبد الملك بن مروان ، ودخل عليه وعمره ١٣٠ سنة ، وأنشده من شعره ، وعمي قبيل وفاته ، توفي سنة خمس وستين . انظر : الشعر والشعراء ١/٥٢٢ ، والأغاني ١٣/٣٢ ، وكنى الشعراء ٢/٣١٢ ، والأعلام ١/٢٨٨ .

(٢) البيت في أعجب العجب في الشرح المنسوب للمبرد : ٣٦ .

(٣) هذه الرواية في : أعجب العجب ٨٥ ، وإعراب لامية الشنفرى ٩٢ ، واختصار المنتخب ، ١١٢ =

وَالْأَزْلُ : الْأَرْسُخُ ، وبه يوصف الذئب ، يقال : أَرْسَخَ وَأَرْصَعَ وَأَزَلَ بمعنى ، ومن أمثالهم^(١) : «لَا أُنْسَ فِي الذَّئْبِ الْأَزْلِ الْجَائِعِ» .

وقال بعضهم : قلت لأعرابي : ما الْأَرْسُخُ ؟ فقال : الذي لا اسْتٌ له .

ووصف رجل فارساً فقال : قَاتَلَهُ اللَّهُ أَقْبَلَ بِزُبَيْرَةَ^(٢) أَسَدٍ وَأَذْبَرَ بِعَجْزِ ذئْبٍ ، وذلك أنه يُخَمَدُ من الفارس أن يكون تَمْسُوحَ الاسْتِ كالذئب .

والتَّائِفُ : الْأَرْضُونَ الْقِفَارُ . وَالْأَطْحَلُ : الذي لونه كلون الطَّحَالِ .

يقول : أَقْتَعُ بِالْقَوْتِ الرَّهِيدِ ، وَأَعْدُو فِي طَلْبِهِ عَدُوَ الذَّئْبِ .

٢٦- غَدَا طَاوِيًا يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِيًا يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشَّعَابِ وَيَعْمِلُ

يقول : غَدَا طَاوِيًا ، وَطَوَاهُ من الجوع كأنه طَوَى أَمْعَاءَهُ عليه ، يقال : رجل طَاوٍ وَطِيَانٌ ، وَالْأَتْنَى طَاوِيَةٌ وَطِيَانٌ ، والمصدر الطَّوَى ، وهو حُمْصُ البَطْنِ مِنْ أَيْ شَيْءٍ كَانَ .

وَهَافِيًا : يَذْهَبُ يَمِينًا وَشِمَالًا مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ .

وَيَخُوتُ^(٣) : / ١٢ ب وَيَخْتَاتُ : يَخْتَطِفُ وَيَخْتَلِسُ ، يقال : خَاتَ الذَّئْبُ

الشَّاةَ وَاخْتَاتَهَا وَامْتَشَقَّهَا وَامْتَدَقَّهَا ، كل ذلك إذا اخْتَطَفَهَا .

= وشرح لامية العرب لابن أبي لاجك ٦ب ، وعنوان الأدب ٢٢ب ، وتفريغ الكرب ٤٣ ، ونهاية الأرب ٦٠ .

(١) هذا المثل في خزنة الأدب ٩/ ١٩٤ .

(٢) في لسان العرب (زير) ٣/ ١٨٠٥ : «الزبرة» : الشعر المجمع للفحل والأسد وغيرهما ، وقيل : زُبَيْرَةُ الأسد في الشعر على كاهله .

(٣) انظر : الصحاح (خوت) ١/ ٢٤٨ .

ويروى أن الفرزدق^(١) لقي جريراً^(٢) بالبصرة فقال له: مَا أَشْبَهَكَ بِي أَكَانَتْ
أُمَّكَ وَرَدَّتِ الْبَصْرَةَ؟

فقال: لا ولكن وردها أبي فأختات في نبي مجاشع.

وَالشَّعَابُ: مسایل صغار. وَيَقْسِلُ: إذا مرّ مرّاً سهلاً في استقامة، ومن
ذلك يقال للرمح: عَسَالٌ، إذا تتابع عند الهز ولم يكن كزاً.

٢٧- فَلَمَّا لَوَّاهُ الْقُوْثُ مِنْ حَيْثُ أُمَّهُ دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحُلُ
لَوَّاهُ: دَفَعَهُ، يقال: لَوَّيْتُ الرَّجُلَ عَنْ حَاجَتِهِ لِيَا وَلِيَانَا إِذَا صَرَفْتَهُ. وَأَمَّ:
قَصَدَ، يقال: أَمَّهُ وَأَمَّمَهُ وَتَيَّمَّمَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ.

وَالنَّظَائِرُ: جمعُ نَظِيرَةٍ، كَعَجَبِيَّةٍ وَعَجَابِيَّةٍ وَكَبَائِرٍ، وإنما يعني السُّلُوقَ
وهي إِنَاءُ الدَّنَابِ، الواحدةُ سِلْقَةٌ، فإذا أَرَادَ الذَّكُورَ يَجُزُّ عِنْدَنَا إِلا إِذَا اضْطَرَّ
الشاعر كما قال الفرزدق:

وَإِذَا الرَّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ حُضْعَ الرَّقَابِ نَوَاكِسِ الْأَبْصَارِ^(٣)

(١) هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية، ولقب بالفرزدق لغلظه وقصره، ويكنى أبا فراس،
عده ابن سلام في الطبقة الأولى من شعراء الإسلام، مات في سنة عشرة ومائة، وله إحدى وتسعون
سنة، ومات فيها جرير أيضاً. انظر: طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٩٨، والشعر والشعراء ١/ ٤٧١،
والمؤلف والمختلف ١٦٦، وخزانة الأدب ١/ ٢٢٢، ٢٧٧.

(٢) هو جرير بن عطية بن حذيفة، ولقب حذيفة بالخطفي، وهو من بني كليب بن يربوع، عمر
نيفاً وثمانين سنة، ومات باليمامة، ويكنى أبا خزرة، وكان من فحول شعراء الإسلام. انظر: الشعر
والشعراء ١/ ٤٦٤، ٤٦٥، والمؤلف والمختلف ٧١، وخزانة الأدب ١/ ٧٥، ٧٦.

(٣) البيت للفرزدق في ديوانه ق ١٥/٢٤٠ ج ١ ص ٤٩٦، والكتاب ٣/ ٦٣٣، والمقتضب، =

ويروى : « نَوَاكِيسِي الْأَبْصَارِ » ، ففَعَائِلٌ عِنْدَنَا مِنْ جَمْعِ الْمُؤنثِ ، وَإِنَّمَا جَاءَ الْمَذْكَرُ / ١٣ فِي غَيْرِ الضَّرُورَةِ فِي أَشْيَاءَ مَعْدُودَةٍ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ شَرْحِهَا .

وَنُحِّلَ : ضَوَامِرٌ ، يُقَالُ نَحَلَّ جِشْمُ فُلَانٍ ، وَمَنْ قَالَ : نَحَلَّ ، فَقَدْ غَلَطَ .

٢٨- أَوِ الْخَشْرَمُ الْمَبْعُوثُ حَخَّحَتْ دَبْرَهُ مَحَابِيضُ أَرْدَاهَنَّ سَامٍ مُعْتَسَلُ الْخَشْرَمُ : رَئِيسُ النَّحْلِ ، وَبِهِ سُمِّيَ الرَّجُلُ خَشْرَمًا .

وَحَخَّحَتْ : حَرَكٌ وَأَزْعَجٌ ، وَهُوَ بِمَعْنَى حَثَّ ، وَلَيْسَ بِمَبْنِيِّ عَلَيْهِ ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَقِيلَ : حَثَّ وَهُوَ كَقَوْلِهِمْ : لَالَ مِنَ اللَّوْلُو . وَالذَّبْرُ : النَّحْلُ : الْوَاحِدَةُ دَبْرَةٌ . وَمَحَابِيضُ : جَمْعُ مَحْبِضٍ وَهُوَ الْعُودُ يَكُونُ مَعَ مُشْتَارِ الْعَسَلِ يُشِيرُ بِهِ النَّحْلُ ، وَفِيهِ قَوْلَانُ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ اضْطَرَّ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ : « مَحَابِيضُ » ، فَأَشْبَعِ الْكِسْرَةَ فَصَارَتْ [يَاءٌ] ^(١) بِالضَّرُورَةِ .

= وَالْكَامِلُ ٢/٥٨ ، وَالْأَصُولُ ٣/١٧ ، وَشَرْحُ مَقْصُورَةِ ابْنِ دَرِيدٍ لِابْنِ خَالَوَيْهِ ٤٩٩ ، وَالْجَمَلُ ٣٧٧ ، وَالتَّبْيِيهَاتُ ١٣١ ، وَالْمَوْشِحُ ١٤٦ ، وَالْأَغَانِي ٢١/٣٤٨ ، وَشَرْحُ دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ ١/١٦ ، وَمَشْكَلُ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ ٢/٧٨٤ ، وَالْقَزَازِ الْقَيْرَوَانِي ١٥٤ ، وَالْكَشْفُ عَنِ وُجُوهِ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ ٢/٣٥٢ ، وَشَرْحُ آيَاتِ سَبِيْوَيْهِ لِابْنِ السِّيْرَانِي ٢/٣١٧ ، وَالْحَلَلُ ٣/٤٠٣ ، وَالْإِقْتَضَابُ ٢/١٠ ، وَاللَّخْمِي ١٦ ، وَوَشَى الْحَلَلُ ٢/٤٨٢ ، وَابْنُ جَهْرٍ ٦٠ ، وَالصَّنْهَاجِي ١٩٦ ، وَشَرْحُ أَدَبِ الْكَاتِبِ لِلْجَوَالِيْقِي ٢٦ ، وَشَرْحُ ابْنِ بَيْشٍ ٥/٥٦ ، وَالزَّهْرُ ٢/٧٤ ، وَشَرْحُ شَوَاهِدِ الْمَغْنِيِّ ٢/٧٥٥ ، وَشَرْحُ آيَاتِ الْمَغْنِيِّ ١/٢٣٢ ، وَشَرْحُ شَوَاهِدِ الشَّافِيَةِ ٤/١٤٢ ، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ١/٢٠٤ ، وَالْبَيْتُ بِلا نِسْبَةٍ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْأَخْفَشِ ٢/٦٣٤ ، وَعَيُونُ الْأَخْبَارِ ١/٤١١ ، وَشَرْحُ آيَاتِ الْجَمَلِ لِلْأَعْلَمِ ٢/١١٩ ، وَشَرْحُ مَلْحَةِ الْإِعْرَابِ ٢٣٦ ، وَشَرْحُ الْجَمَلِ لِابْنِ هِشَامٍ ٤٢٢ .

(١) مَا بَيْنَ الْمَعْكَوفَتَيْنِ زِيَادَةٌ ، لِيَسْتَقِيمَ الْمَعْنَى .

والآخر : يلزمه ضرورة ؛ لأنه بينه على مجتاض فيصير الجمع محايض كقولك : مِفْتَاحٌ وَمِفَاتِيحٌ ، والأصل مِفْتَحٌ .

وَرَاذَهْنَ وَأَرَاذَهْنَ مثل كَرَمْتَهُ وَأَكْرَمْتَهُ وَحَسَبَهُ وَأَحْسَبَهُ ، وما أشبه ذلك .

وإنما يرجع إلى النحل كأنه حَنَحَتْ ذَبْرَهُ التي أرادهن سَامَ مُعَسَّلٍ في المعنى ، ولم يضر التي ، هكذا قرأناه .

وَرُوَيْتَهُ من وجه آخر ^(١) : «أَرَاذَهْنَ» يعني العيدان إذا جاء بهن إلى / ١٣ ب الكُوَازَةَ ^(٢) ، وهو موضع النحل .

والسَامُ : الذي يسمو لطلب العسل ، ومن شأن النحل أن يَعْمِلَ في الموضع الممتنع الصعب .

٢٩- مُهَلَّلَةٌ شَيْبُ الْوُجُوهِ كَأَنَّهَا قِدَاحٌ بِكَفِّي يَأْسِرُ تَتَقَلَّقَلُ
المُهَلَّلَةُ : الدَّقِيقَةُ الخَلْقِي ، خلقت كأنها أهلة في الدقة ، والمهَلَّلَةُ في غير هذا
الموضع الذين يحدون عن الحرب ويجنبون ، يُقَالُ ^(٣) : هَلَّلَ الرَّجُلُ إِذَا جَبُنَ ؛
كما قال النكري ^(٤) .

(١) هذه الرواية في الشرح المنسوب للمبرد بهوامش أعجب العجب ١٠٣ ، وإعراب لامية الشنفرى ٩٧ ، وعنوان الأدب ٢٦ ب ، وتفريغ الكرب ٤٦ .

(٢) انظر : الصحاح (كور) ٨١٠ / ٢ .

(٣) انظر : لسان العرب (هلال) ٤٦٩١ / ٦ .

(٤) هو المفضل النكري ، واسمه عامر بن جَعْفَر بن أسحم بن عدي بن شيان بن سواد بن عذرة بن منبه بن لكيز بن أفضى بن عبد القيس بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، وسمي مفضلًا لقصيدته أنصف فيها عدوه ، وهو شاعر جاهلي . انظر : الأصمعيات ١٩٩ ، وطبقات فحول =

... إذا خام المَهْلَلَةُ البَرُوقُ^(١)

وَالْيَاسِرُ^(٢) وَالْيَسْرُ الَّذِي يَضْرِبُ بِالْقِدَاحِ ، فَيَسْرُ اسْمٌ لَهُ مَشْتَقٌّ ، وَيَاسِرٌ جَارٍ عَلَى الْفِعْلِ كَقَوْلِكَ : يَسْرُ يَسِيرُ فَهُوَ يَاسِرٌ كَضَرْبٍ يَضْرِبُ فَهُوَ ضَارِبٌ .

شبهها في إفلاسها ونحافتها وضمرها بالقداح .

٣- مَهْرَتَةٌ فَوْهٌ كَأَنَّ شُدُوقَهَا شُقُوقُ الْعِصِي كَالجَائِبِ وَتُسْتَلُّ الْمَهْرَتَةُ : الْمَشْقُوقَةُ الْغَمُّ شَقًّا وَاسْعًا . وَالْفَوْهُ : جَمْعُ أَفْوَةٍ ، وَهُوَ الْوَاسِعُ الْغَمِّ . وَشُدُوقٌ : جَمْعٌ شِذْقٍ إِذَا أُرِدَتْ الْجَمْعُ الْكَثِيرُ ، فَإِنْ أُرِدَتْ الْقَلِيلُ قَلَتْ : أَشْدَاقٌ . وَالجَيْتَلُ : الْكَرْيَهُةُ الْمَرَايُ ، يُقَالُ لِلرَّجُلِ الشَّجَاعِ : بَاسِلٌ مِنْ / ١٤ أ الْكِرَاهِيَةِ عِنْدَ الْقِتَالِ ، وَأَنْشَدَ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ^(٣) لِرَجُلٍ أَكَلَ حَنْظَلًا فَتَكَرَّهَهُ ، فَقَالَ :

شَرَّ الطَّعَامِ الْحَنْظَلُ الْمُبْتَلُّ

= الشعراء ١/ ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، والمعارف ٩٣ ، والاشتقاق ٣٣٠ ، وشرح شواهد المعنى ١/ ١٧١ ، وشرح أبيات مغني اللبيب ١/ ٣٤٩ .

(١) صدره : وَهُمْ عَلُوا الرِّمَاحَ وَأَتَهَلَّوْهَا .

(٢) انظر : الصحاح (يسر) ٢/ ٨٥٨ ، والبيت موجود في شرح المبرد بهامش أعجب العجب ٤٠ . وهو من قصيدته المعروفة بالنصفه ، وهي الأصمعية رقم ٦٩ ، ولكنه ليس فيها ، وانفرد كتاب المنتخب في محاسن أشعار العرب بإيراده ، انظر : ١/ ١٣٠ .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ، كان مولى لبني هاشم ، وكان من أكابر أئمة اللغة المشار إليهم في معرفتها ، أخذ عن الكسائي ، وأبي معاوية الضرير ، والمفضل الضبي ، وأخذ عنه ثعلب ، وكان إمامًا في النحو واللغة ، نسبة كثير السماع والرواية ، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين . انظر : مراتب النحويين ١٤٧ ، ونزهة الألباء ، وإشارة التميمين ٣١١ ، والبلغة ١٩٦ ، وبغية الوعاة ١/ ١٠٥ .

تَجِجُ مِنْهُ كَبِيدِي وَأَكْسَلُ^(١)

المُبْتَلُ: الكَرَهُ، وهذا البيت أخذه من علقمة بن عبدة^(٢) ووصف الظليم:
 قُوَّةٌ كَشَقِّ الْعَصَا أَيْضًا تَبَيُّهُ أَسْكَ مَا يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ مَضْلُومًا^(٣)
 ٣١- فَضَجَ وَضَجَّتْ بِالْبِرَاحِ كَأَنَّهَا وَإِيَاهُ نَوْحٌ فَوْقَ عَلِيَاءِ تُكَلُّ
 البِرَاحُ: الأرض الواسعة لا نبت فيها. والنَّوْحُ: جَمْعُ نَائِحَةٍ، وقد يكون
 مصدرًا نُعِتَ به؛ لأنك تقول: ناحت نوحًا، والتناوح في الأصل تقابل الشجر
 بعضها بعضًا بالأغصان. قال الأصمعي^(٤): سُمِّيَتِ النَّائِحَةُ؛ لأنها تقابل
 صاحبها. والعَلِيَاءُ: البقعة المشرفة.

يقول: استغواها فَعَوَتْ .

٣٢- فَأَغْضَ وَأَغْضَتْ وَأَتَسَى وَأَتَسَتْ بِهِ مَرَامِيلُ عَزَاها وَعَزَّتُهُ مُزْمِلُ
 ويروى^(٥): « وَأَتَسَى وَأَتَسَتْ بِهِ » .

(١) البيتان بلا نسبة في لسان العرب (بسل) ١/٢٨٥.

(٢) هو علقمة بن عبدة من بني تميم، شاعر جاهلي من أقران امرئ القيس، ويلقب بعلقمة الفحل،
 عده ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول شعراء الجاهلية. انظر: طبقات فحول الشعراء ١/١٣٩،
 والشعر والشعراء ١/٢١٨، والمؤتلف والمختلف ١٥٢، وخراتة الأدب ٣/٨٢، ٢٨٣.

(٣) البيت لعلقمة في ديوانه ق ١٩/٢ ص ٥٩.

(٤) انظر: نهاية الأرب ٦٨.

(٥) هذه الرواية في اختصار المنتخب ١٣ ب، و عنوان الأدب ٢٩، ونهاية الأرب ٦٩.

يقال : ائْتَسَأْتُ به وائْتَسَأْتُ به ، أي : ائْتَسَيْتُ . وَالْمَرَامِيلُ : جَمْعُ مَرْمَلَةٍ وهي التي لا قوت لها ، يقال : أَرَمَلَ الرَّجُلُ إذا لم يكن له زاد ، والجمع في الحقيقة مَرَامِيلُ ، ولكنه أشيع الكسرة لَمَّا / ٤ اب اضطر فصارت ياء . وأراد عَزَاها مَرْمِلٌ وَعَزَّتْهُ ، يريد أنه لم يئأس من الطعام .

أَغْضَى : لم يضح ، فكان إغضاؤه تعريتها عن فقد القوت .

٣٣- شَكَا وَشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدَ ارْعَوَتْ وَلَلصَّبِيرُ إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشُّكُوُ أَجْمَلُ
ويروى : « يَنْفَعُ الْوَجْدُ »^(١) .

يقول : شكا الذئب إلى الذئب ، ثم ارعوى بعد الشكوى ، فكف وصبر .

٣٤- وَفَاءٌ وَفَاءَتْ بِأَدْرَاتٍ وَكَلَّهَا عَلَى نَكَظٍ مِمَّا يُكَاتِمُ مُجْمِلُ
ويروى : « بادرات » رواجع . وَالتَّكَظُّ^(٢) : الشَّدَّةُ وهو الاسم ، والمصدر التَّكَظُّ ، يقال : نَكَظَهُ نَكْظًا إذا أصابه بِشْرٌ ، وهو هاهنا شدة الجوع ، وفي موضع آخر العَجَلَةُ .

٣٥- وَتَشْرَبُ أَسَارِي الْقَطَا الْكُذْرُ بَعْدَمَا سَرَتْ قَرِيبًا أَخْتَاؤُهَا تَتَّصَلُصَلُ
الْأَسَارُ : جَمْعُ سُورٍ ، وَالْأَسَارُ البقية ، يقال : أَسَارَتْ فِي الْإِنَاءِ إِسَارًا ، إذا أَبْقَيْتُ فِيهِ بَقِيَّةً . يقول : أَنَا أَرِدُ قَبْلَ الْقَطَا ، وهو أَسْرَعُ الطَّيْرِ وَزِدًا ، فيشرب القطا فضلاتي ، يقال^(٣) : سَرَيْتُ إِذَا سِرْتُ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ ، وَأَسْرَيْتُ إِذَا سِرْتُ فِي

(١) الوجد : الغضب .

(٢) انظر : لسان العرب (نكظ) ٤٥٤٢/٦ .

(٣) كلمة : « يقال » مكررة مرتين في المخطوطة .

آخره، وقيل: بل هما لغتان، وهو الذي أذهب/ ١٥٩ إليه.

وَالْقَرْبُ: الْوُزُودُ، يُقَالُ: قَرَبْتُ الْمَاءَ أَقْرَبُهُ قَرَبًا إِذَا وَرَدْتَهُ، وَ[لَيْلَةُ الْقَرْبِ] ^(١) لَيْلَةُ وُزُودِ الْمَاءِ. وَالْأَخْنَاءُ: الْجَوَانِبُ، الْوَاحِدَةُ حَيْثُ.

وروايتي ^(٢): «أحشاؤها»، وهو أجود عندي.

ويقال: لليابس سمعت له ضلصلة، أي صوتًا من يئسه، والصلصال الفخار إذا صوتت لئسه، فيقول: هذه تتصلصل أجوافها لئيسها، ويقال للحمار: مُصَلِّصٌ وَصَلِّصَالٌ، إذا صفا صوته؛ تشبيهاً بما ذكرت لك.

٣٦- هَمَمْتُ وَهَمْتُ وَابْتَدَرْنَا وَأَسْدَلْتُ وَشَمَّرَ مِنِّي فَارِطٌ مُتَمَهِّلٌ
أَسْدَلْتُ: كَفَّتْ مِنَ الْعَدُوِّ، وَهَكَذَا قَالَ، وَحِفْظِي «وَابْتَدَرْنَا وَقَصَّرْتُ». يريد أن القطا عجزت عن العدو، ولم يكَلِّ هو.

وَالْفَارِطُ: الْمُتَقَدِّمُ، وَفَارِطُ الْقَوْمِ فِي السَّفَرِ هُوَ الَّذِي يَتَقَدَّمُ لِيُضْلِحَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَقْصِدُونَهُ، وَالْجَمْعُ فُرَاتٌ، وَكُلُّ مُتَقَدِّمٍ فَارِطٌ. وَإِنَّمَا ضَرَبَ الْإِسْدَالَ مَثَلًا.

٣٧- قَوْلَيْتُ عَنْهَا وَهِيَ تَكْبُو لِعَقْرِهِ يُبَاشِرُهُ مِنْهَا دُقُونٌ وَحَوْصَلٌ
تَكْبُو: تَسْقَاطُ مِنَ الضَّعْفِ. وَالْعَقْرُ: مَقَامُ السَّاقِي مِنَ الْحَوْضِ. وَالذَّقُونُ: ١٥ / ب جَمْعُ دَقْنٍ فِي الْكَثْرَةِ، وَفِي الْقِلَّةِ الْأَذْقَانُ. وَحَوْصَلٌ: جَمْعُ حَوْصَلَةٍ كَجَنْدَلٍ وَجَنْدَلَةٍ.

(١) ما بين المعكوفين زيادة من نهاية الأرب ٧٢.

(٢) هذه الرواية في نهاية الأرب ٧٢.

فيقول : وردث وصدرت ، والقطا يَكْرَعُ بعدُ ولم يَضُدْ ، وكنت أسرع منها .

٣٨- كَأَنَّ وَغَاها وَوَعَاها وَوَحَاها واحداً ، وهو أصواتها . وَحَجْرَتَاهُ : نَاحِيَتَاهُ . وَأَصَايِمُ : جَمْعُ إِضْمَامَةٍ ، وهو القوم ينضم بعضهم إلى بعض في السفر ، والإضمامة في الأصل الإضبارة ، فاستعاره . والسفر : المسافرون .

ويروى ^(١) : « مِنْ سُفْلَى الْقَبَائِلِ » ، يريد مؤخرهم .

٣٩- تَوَافَيْنَ مِنْ شَتَى إِلَيْهِ فَضَمَّهَا كَمَا ضَمَّ أَدْوَادَ الْأَصَارِيمِ مَنَهْلُ وَيروى : مَنْزَلُ الشَّتَى : الطرق المختلفة ، وهو مأخوذ من التَّشْتُّ وهو التفرق . وَالْأَدْوَادُ : جَمْعُ ذَوْدٍ ، وَهُمْ مَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ ^(٢) إِلَى الْعَشْرَةِ مِنَ الْإِبِلِ . وَالْأَصَارِيمُ : جَمْعُ أَصْرَامٍ ، الْوَاحِدُ صِرْمٌ ، وَهُوَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالْمَنَهْلُ : الْمَاءُ .

شبه القطا بكثرة الناس في الورد . / ١١٦ أ

٤٠- فَعَبَّتْ غِشَاشًا ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا مَعَ الصَّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أَحَاظَةِ مُجِفَلُ عَبَّتْ : تَابَعَتِ الشَّرْبَ كَأَنَّهَا تَصَبُّهُ فِي أَجْوَانِهَا . وَالغِشَاشُ : الشَّيْءُ الْقَلِيلُ ، يريد أنها وإن تابعت الشرب فذلك منها قليل .

(١) هذه الرواية في : اختصار المنتخب ١٤ ، ونهاية الأرب ٧٤ .

(٢) في المخطوطة : « سلفي » ، تصحيف . انظر : اختصار المنتخب ١٤ / ١ ، ونهاية الأرب ٧٤ .

(٣) في المخطوطة : « الثلاث » ، وهو تصحيف .

وأحاطةً، فيما ذكر أحمد بن يحيى^(١) : قبيلة من الأزدي. وقال لي غيره : هي قبيلة من اليمن، ولم يعرفها أبو العباس محمد^(٢) بن يزيد^(٣) ، ولم أسمع باسمها إلا في هذا الشعر.

والمَجْفَلُ : المَشْرِعُ . وَالرَّكْبُ : ركبَانُ الإِبِلِ خاصةً دُونَ غَيْرِهَا . وقال بعضهم : غَشَّاشًا عَلَى عَجَلَةٍ . وَالعَبْ : المَجْوَعُ .

يقول : وردت على عجلة ، ثم صدرت في بقايا من الظلمة قبل في الفجر .

٤١- وَأَلْفٌ وَجَهَ الْأَرْضِ عِنْدَ أَفْرَاشِهَا بِأَهْدَأُ تُنْبِيهِ سَنَائِسُنُ قُحْلُ بِأَهْدَأُ : يريد بمنكب ، أهدأ ، يريد : فيه جنأ ، وقيل : الأهدأ الشديد الثبات في المكان ، يعني جنبه .

وتُنْبِيهِ : تُجْفِيهِ وَتَرْفَعُهُ عَنِ الْأَرْضِ . وَيُرَى^(٤) : «تُنْبِيهِ» أي تكفه عن لزوم الأرض . وَالسَّنَائِسُنُ^(٥) : مَفَارِزِ الْأَضْلَاحِ فِي الصَّلْبِ ، واحدا سَنَائِسُنٌ .

٤٢- وَأَعْغِيلٌ مَنحُوضًا كَأَنَّ فُصُوصَهُ كِعَابٌ دَخَاهَا لَاعِبٌ فَهَيَّ مُثَلُّ المَنحُوضُ : القليل اللحم . يقول : أَعْغِيلُ ذِرَاعًا مَنحُوضًا أَي قَلِيلًا لَحْمَهُ ،

(١) أي أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب .

(٢) في المخطوطة : «أحمد» ، وهو خطأ .

(٣) أي المبرد .

(٤) هذه الرواية في : إعراب لامية الشنفرى ١١٢ ، واحتصار المنتخب ١٤ ب ، وشرح لامية العرب

لابن أبي لاجك ١٠ ب ، ونهاية الأرب ٧٧ .

(٥) انظر : الصحاح (سنن) ٢١٤١/٥ .

فَأَتَوَسَّدَهُ . وَفُضُوصَةٌ : / ١٦ ب فَوَاصِلُ عِظَامِهِ ، الْوَاحِدُ فَصٌّ . وَدَحَاهَا : بَسَطَهَا .

شبهها في قِلَّةِ لحمها وظهورها بكعاب ضُرِبَ فَمَثَلَتْ أَي انْتَصَبَتْ ، وإنما يريد بهذا كله أنه قليل خفيف مَعْضُوبٌ له عِظَامٌ شديدة القَصْبِ .

٤٣- فَإِنْ تَبَيَّنَ بِالشَّنْفَرَى أَمْ قَسَطَلٍ لَمَّا اغْتَبَطَتْ بِالشَّنْفَرَى قَبْلُ أَطْوَلُ القَسَطَلُ : العَبَّازُ ، وإنما يريد بأَمْ قَسَطَلٍ : الحَرْبُ . وَقُحْلٌ ^(١) : جَمْعُ قَاحِلٍ ، وهو اليايُسُ ، ويقال : قَحِلَ جِلْدُهُ إِذَا جَفَ . وَتَبَيَّنَ : تَلَقَّ بُؤْسًا من فراقِهِ .

٤٤- طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تَيَاسَرُونَ لِحْمَهُ عَقِيرُهُ لِأَيِّهَا حُمٌّ أَوَّلُ وتروى : جرح تَيَاسَرُونَ : اقْتَسَمَنَ لِحْمَهُ كَأَنَّهُنَّ ضَرَبْنَ عَلَيْهَا بِالمَيْسِرِ ، وهي القِدَاحُ ، وَاليَاسِرُ وَاليَسْرُ : الضَّارِبُ بالقِدَاحِ . وَعَقِيرَتُهُ : نَفْسُهُ وَجُسَّتُهُ اللُّتَانِ يُفْقِرَانِ ، متى ظَفَرَ بِهِ .

٤٥- تَنَامٌ إِذَا مَا نَامَ يَقْظَى عُيُونُهَا حَنَاتًا إِلَى مَكْرُوهِهِ تَتَغَلَّغَلُ تَنَامٌ : يَعْنِي الجِنَايَاتُ ، هي في نَوْمِهَا يَقْظَى عُيُونُهَا .

يقول : إِذَا قَصَرَ الطَّالِبُونَ عَنِي بِالْأوتَارِ لَمْ تَقْصُرِ الجِنَايَاتُ ، أَوْ تَبْغِي لِي طَالِيَا أَحْذَرَهُ . وَحَنَاتًا سِرَاعًا .

٤٦- وَإِلْفٌ هُمُومٍ مَا تَزَالُ تَعُودُهُ عِيَادًا كَحَمَى الرِّبْعِ أَوْ هِيَ أَثْقَلُ الحَمِيَّ : المَحْمُومُ .

(١) انظر : الصحاح (قحل) ١٧٩٩/٥ .

يقول : يعتادني الهم كما يعتاد حتمي الربيع المحموم . / ١١٧ أ

٤٧- إِذَا وَرَدَتْ أَصْدَرُئُهَا ثُمَّ إِنَّهَا تَثُوبُ فَتَأْتِي مِنْ تَحِيَّتِ وَمِنْ عِلِّ

٤٨- فَإِنَّمَا تَرْتَضِي كَأَبْنَةِ الرَّمْلِ ضَاحِيًا عَلَى رِقَّةٍ أَحْفَى وَلَا أَتَنَعُلُ

ابنة الرمل : البقرة الوحشية . ضاحيًا : بارزًا للقر والحز كهذه الوحشية .

ورقة : يريد : رقة حال وهزال . وبنات الرمل : الحيات وما أشبهها من ساكني

الرمل . ويؤوى ^(١) : أتسزل .

٤٩- فَإِنِّي لَمَوْلَى الصَّبْرِ أَجْتَابُ بَرَّهُ عَلَى مِثْلِ قَلْبِ السَّمْعِ وَالْحَزْمِ أَفَعُلُ

ويروى ^(٢) : أتعل . مولى الصبر : وليه . وأجتاب : أقطع . وهذا مثلاً ضربه .

والسمع : ولد الذئب من الصبيح .

٥٠- وَأَعْدِمُ أَحْيَانًا وَأَغْنِي وَإِنَّمَا يَنَالُ الْغِنَى ذُو الْبُعْدَةِ الْمُتَبَدِّلُ

يقال : عديم الرجل يعدم وأعدم يُعديم ، بمعنى . وأغنى : استغنى . والبعد :

يريد البعد في الهمة . يقول : مَنْ كَانَ يَبْعِدُ الْهَمَّةَ نَالَ مَا طَلَبَ . ويروى ^(٣) :

« البعد » بكسر الباء . وضمها .

٥١- فَلَا جِرْعَ مِنْ خَلَّةٍ مُتَكَشَّفٍ وَلَا مَرِيحَ تَحْتِ الْغِنَى أَتَحْيِلُ

المتكشف : الذي تكشف فقره للناس . والمتحيل : المحتال بغناه .

٥٢- وَلَا تَزْدَهِي الْأَجْهَالُ حُلْمِي وَلَا أَرَى سَأُولًا بِأَعْقَابِ الْأَقَاوِيلِ أَمَلُ

(١) هذه الرواية في : اختصار المنتخب ١١٥ ، ونهاية الأرب ٨٤ .

(٢) هذه الرواية في : أعجب العجب ١٢١ .

(٣) هذه الرواية في : أعجب العجب ١٢٢ ، وإعراب لامية الشنفرى ١٢٣ ، ونهاية الأرب ٨٦ .

تَزْدَهِي : تَسْتَخِفُّ . وَالْأَجْهَالُ^(١) : جَمْعُ جَهْلٍ ، لَفَةٌ شَاذَةٌ ، بَلْ جَمْعُ
جَهْلٍ : جُهُولٌ ، وَهِيَ الْمُسْتَعْمَلَةُ : / ١٧ ب . بِأَعْقَابِ بَأَخِيرِ .

أَعْمَلُ^(٢) : أَمَّمٌ ، يُقَالُ : رَجُلٌ مِمْلٌ إِذَا كَانَ تَمَامًا .

٥٣- وَلَيْلَةٌ نَحْسٍ يَضْطَلِي الْقَوْمَ رُبُّهَا وَأَقْطَعَهُ اللَّابِي بِهَا يَتَبَيَّلُ
التَّحْسُ : هَامِنَا الْبِرْؤُ ، وَإِذَا اصْطَلَى الْأَعْرَابِي قَوْسَهُ فَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ فِي
الشَّدَةِ شَيْءٌ .

وَالْأَقْطَعُ^(٣) : جَمْعُ قِطْعٍ ، وَهُوَ السَّهْمُ الْقَصِيرُ التَّضَلُّ .

وَيَتَبَيَّلُ : يَخْتَارُ لِرَمِيهِ ، وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ لِذِي الْإِصْبَعِ^(٤) :

قَوْمٌ أَفْوَأَقَهَا وَتَرَضَّهَا أَنْبُلُ عَدْوَانَ كُلَّهَا صَنَعًا^(٥)

٥٤- دَعَسْتُ عَلَى غَطِّشٍ وَيَغْشِي وَصُحْبِي سَعَارٌ وَإِزْبِزُّ وَوَجْرٌ وَأَفْكَلُ

دَعَسْتُ : دَفَعْتُ . يَقُولُ : سَرَيْتُ عَلَى هَذَا الْحَالِ .

(١) انظر : القاموس المحيط (جهل) ٣ / ٣٤٢ .

(٢) انظر : الصحاح (عمل) ٥ / ١٨٣٦ .

(٣) انظر : الصحاح (قطع) ٣ / ١٢٦٧ .

(٤) هو ذو الإصْبَعِ العَدْوَانِي ، واسمه محرثان بن محرث ، من عَدْوَانَ بن عمرو بن قيس عيلان ، شاعر معمر من شعراء الجاهلية ، عاش ثلاثمائة سنة ، وسمي ذو الإصْبَعِ ؛ لأن حية نهشته في إصبعه فقطمها ، وهو أحد الحكماء ، انظر : المعمرين من العرب ١٢٣ ، والشعر والشعراء ٧٠٨ / ٢ ، والمؤتلف والمختلف ١١٨ ، وخرزاة الأدب ٥ / ٢٨٤ .

(٥) البيت بلا نسبة في : الصحاح (نبل) ٥ / ١٨٢٣ ، ولسان العرب (نبل) ٦ / ٤٣٣١ .

وَالْعَطَشُ : الظَّلْمَةُ ، من قوله تعالى : ﴿ أَغْطِشْ لَيْلَهَا ﴾^(١) . قال الأعشى^(٢) :
 وَيَهْمَاءُ بِاللَّيْلِ غَطَشَى الْفَلَاحُ يُؤْرِقُنِي صَوْتُ فَيَادِمَا^(٣)
 وَالبَغْشُ : المطرُ الخفيفُ ، يقال : أَرْضٌ مَبْغُوشَةٌ ، أي تَمْطُورَةٌ . وَالْفَيَادُ : ذَكَرَ
 الجُوم . وَالتَّمَازُ : حَرَ يَجِدُهُ الْإِنْسَانُ فِي جَوْفِهِ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ وَالْبَرْدِ . وَإِزْرِيذُ :
 (إِفْعِيلٌ)^(٤) مِنْ شَيْئَيْنِ : مِنَ الْإِرْتِزَازِ أَيْ الثَّبُوتِ ، يَرِيدُ أَنَّهُ يَجْمَدُ فِي مَكَانِهِ مِنْ
 شِدَّةِ الْبَرْدِ ، أَوْ يَكُونُ مِنَ الرَّزْزِ وَهُوَ صَوْتُ أَحْشَائِهِ مِنْ الشِدَّةِ . وَالْوَجْرُ : مِنَ
 الْخَوْفِ ، وَمِنْ ذَلِكَ يُقَالُ : أَنَا أَوْجِرُ وَوَجِرُ مِنْ ذَلِكَ أَيْ أَخَافُ . وَالْأَفْكَالُ :
 الرَّعْدَةُ . / ١١٨

٥٥- فَأَيْمْتُ نِسْوَانًا وَأَيْتَمْتُ إِذْدَةً وَعَدْتُ كَمَا أَبْدَأْتُ وَاللَّيْلُ أَلِيلُ
 أَيْمْتُ^(٥) : جَعَلْتُهُنَّ بِلَا أَزْوَاجٍ ، وَالْأَيْمُ الَّتِي لَا زَوْجَ لَهَا ، يُقَالُ : فُلَانَةٌ بَيْتَةٌ
 الْأَيْمَةُ وَالْأَيُّومُ . وَالْيَيْمُ فِي النَّاسِ مِنْ قَيْلِ الْآبَاءِ ، وَفِي الْبَهَائِمِ مِنْ قَيْلِ الْأُمَهَاتِ ،
 هَذَا قَوْلُ الْأَصْمَعِيِّ .

ويقالُ : وِلْدَةٌ وَإِلْدَةٌ لَمَّا انْكَسَرَتْ ، كَمَا قَالُوا فِي وُجُوهِ أَسْجُودِهِ ، وَأَقْتَتْ فِي

(١) سورة النازعات ٧٩/٢٩ .

(٢) الأعشى : هو ميمون بن قيس بن سعد بن ضبيعة بن قيس ، وكان أعمى ، ويكنى أبا بصير ، من
 فحول شعراء الجاهلية ، أدرك الإسلام في آخر عمره ولم يسلم . انظر : طبقات ابن سلام ٤١ ،
 والشعر والشعراء ١/٢٥٧ ، والمؤتلف والمختلف ١٢ ، وخرزانه الأدب ١/١٧٥-١٧٨ .

(٣) البيت للأعشى في ديوانه ق ٤٠/٨ ص ١٢٣ . ويروى : «يؤيشني» بدل «يؤرقني» .

(٤) في المخطوطة : «تفعل» ، تصحيف . انظر : خزانة الأدب ١٠/٣٩ .

(٥) انظر : الصحاح (أيم) ٥/١٨٦٨ .

وَقَتَّتْ، وكذلك يُفَعَّل بهذا إذا انكسرت أو انضمت من غير إعراب فهذا مطرّد .

وَأَبْدَأْتُ : ابْتَدَأْتُ ، يقال : من أين أَبْدَأُ الرَّكْبَ ، وَوَضَحَ وَأَوْضَحَ ، وَطَرَأَ ، وَدَرَا ، أي : من أين ابْتَدَأُ أو طلع .

أَلِيلٌ : ثابت الظلمة مُسْتَحْكِمُهَا ، يقال : نَهَارَ أَنَّهُرٌ ، وَشَهْرٌ أَشْهُرٌ ، وَدَهْرٌ أَدْهَرٌ إِذَا كَمَلَ .

٥٦- وَأَصْبَحَ عَنِّي بِالْعُمَيْصَاءِ جَالِسًا فَرِيقَانِ مَسْئُولٍ وَأَخْرَجُ يَسْأَلُ الْعُمَيْصَاءَ : مَوْضِعٌ . وَجَالِسٌ : أَتَى الْجَلْسَ ، وَهِيَ نَجْدٌ ، يقال : جَلَسَ إِذَا أَتَى الْجَلْسَ أَي نَجْدًا ، وَأَنشَدَ الْأَصْمَعِيُّ :

إِذَا أَمَّ سِيرِيحٍ أَتَتْ فِي ظَعَانِيْنَ جَوَالِسٍ نَجْدًا ظَلَّتِ الْعَيْنُ تَذْمَعُ^(١)
٥٧- فَقَالُوا لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيْلٍ كِلَابُنَا فَقُلْنَا أَيْذُبُ عَسَ أَمْ عَسَ فُرْعُلُ عَسَ^(٢) : طَافَ وَدَارَ ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْعَشْعَسُ عَشْعَسًا . وَالْفُرْعُلُ : وَالدُّ الصَّبْعُ ، وَالْأُنثَى / ١٨ ب فُرْعَلَةٌ ، وَجَمَعَهَا فُرَاعِلُ .

يقول : دَعَسْتُ فَنَبِحْتُ كِلَابُهُمْ فَتَوَهَّمُوا ذُبَابًا .

(١) انظر : لسان العرب (جلس) ٦٥٨ - ٦٥٩ .

(٢) البيت للزجاج بن زرعة ، وهو في : الأزهية ٢٦٩ ، ولسان العرب (سرح) ٤٨٢/٢ ، ويروى :

إِذَا أَمَّ سِيرِيحٍ عَدَّتْ فِي ظَعَانِيْنَ جَوَالِسٍ نَجْدًا فَأَضَبَتِ الْعَيْنُ تَذْمَعُ

(٣) انظر : الصحاح (عس) ٩٤٩/٣ .

٥٨- فَلَمْ يَكْ إِلَّا نَبَاةٌ ثُمَّ هَوَمَتْ فَقُلْنَا قَطَاةٌ رِيْعٌ أَمْ رِيْعٌ أَجْدَلُ
 نَبَاةٌ: صَوْتٌ. هَوَمَتْ: يعني الكلابُ نَامَتْ بَعْدَ النَّبَاحِ. وَالْأَجْدَلُ:
 الصَّغْرُ. وَإِنَّمَا أَرَادَ أَقْطَاةٌ رِيْعٌ أَمْ رِيْعٌ أَجْدَلُ، فَدَلَّتْ أَمْ عَلَى الْأَلْفِ. وَيُرْوَى: «أَوْ
 رِيْعٌ». وَرِيْعٌ: أَفْرِعٌ.

٥٩- فَإِنْ يَكُ مِنْ جَنْ لِأَبْرَحَ^(١) طَارِقًا وَإِنْ يَكُ إِسْنَا مَاكَهَا الْإِنْسُ تَفْعَلُ
 لِأَبْرَحَ: أَي أَتَى بِالْبُرُوحِ [وَهِيَ] ^(٢) الشَّدَّةُ. قَالَ جَرِيرٌ:

مَا كُنْتُ أَوْلَ مُشْتَقِي أَصْرَ بِهِ بَرُوحِ النَّوَى وَعَذَابِ غَيْرِ تَفْتِيرِ^(٣)

وَالكَافُ فِي قَوْلِهِ: «كَمَا» كَافُ التَّشْبِيهِ، وَالْهَاءُ وَالْأَلْفُ رَاجِعَتَانِ إِلَى
 فِعْلَتِهِ، وَهَذَا كَقَوْلِ الْعَرَبِ: «مَنْ عَقَّ أَبَاهُ لَا يَفْلَحُ بَعْدَهَا». يَرِيدُونَ بَعْدَ الْعَقَّةِ
 وَالْفِعْلَةَ.

٦٠- وَيَوْمَ مِنَ الشَّعْرَى يَذُوبُ لَوَائِبُهُ أَقَاعِيهِ فِي رَمْضَائِهِ تَتَمَلَّلُ
 لَوَائِبُهُ: وَلَعَابُهُ وَاحِدٌ، وَهُوَ لَعَابُ الشَّمْسِ الَّذِي يُزِي فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، وَهُوَ
 كَالخَيْوِطِ يَعْضُ فِي الْعَيْنِ.

٦١- نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَلَكِنَّ دُونَهُ وَلَا يَسْتَرُ إِلَّا الْأَتْخَمِي الْمُرْغَبِلُ

(١) يروى: «لأبرح» في: مختارات ابن الشجري ١٠٢، وأعجب العجب ١٣١، وإعراب لامية
 الشنفرى ١٣٦، وتفريج الكرب ٦٧، ونهاية الأرب ٩٦.

(٢) ما بين المعكوفتين زيادة ليستقيم المعنى. انظر: نهاية الأرب ٩٧.

(٣) البيت في ديوانه ق ٩/١٣، ج ١، ص ١٤٥، والكمال ٣٠٦/٢، ونهاية الأرب ٩٧. ويروى:
 «محزون» و«مشعوف» بدل «مشتاق». ويروى: «الهُوى» بدل «النوى».

الأَمْحِي: ضَرَبَ مِنَ الْبُرُودِ. وَالْمُرْعَبَلُ: الْمَقْطَعُ الرَّقِيقُ، يُقَالُ: رَعِبْتُهِ إِذَا قَطَعْتَهُ وَرَقَقْتَهُ. / ١١٩

٦٢- وَضَافٍ إِذَا هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ طَيَّرَتْ لِبَائِدَ عَنِّ أَعْطَافِهِ مَا تُرَجَّلُ الصَّافِي: السَّابِغُ. وَإِنَّمَا عَنَى شَعْرَهُ، يَقُولُ: لَيْسَ يَسْتَرِنِي فِي هَذَا الْحَرْبِ إِلَّا الْبُرُودُ وَالشَّعْرُ. وَاللِّبَائِدُ: جَمْعُ لَبِيدَةٍ، وَهُوَ مَا تَلْبَدُ مِنْ شَعْرِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُرَجَّلُهُ وَلَا يَدَهْنُهُ. وَيُرَجَّلُ: يُسْرَخُ.

٦٣- بَيِّدٌ بِمَسِّ الدُّهْنِ وَالْقَلْبِيِّ عَهْدُهُ لَهُ عَبَسٌ^(١) عَافٍ مِنَ الْغِشْلِ مُخَوَّلٌ أَصْلُ الْعَبَسِ: مَا تَعَلَّقَ بِأَذْنَابِ الْإِبِلِ وَالشَّاءِ وَالْيَاتَهَا مِنَ الْأَوْضَارِ. وَعَافٍ: كَثِيرٌ، يُقَالُ: عَافَا شَعْرُهُ إِذَا كَثُرَ. وَالْغِشْلُ: مَا يُغْسَلُ بِهِ الرَّأْسَ. وَمُخَوَّلٌ: أَتَى عَلَيْهِ الْحَوْلُ. يَقُولُ: لَهُ مِنَ التَّرَابِ وَالْأَوْسَاحِ مَا يَقُومُ لَهُ مَقَامُ الْغِشْلِ، وَلَمْ يُتَّقِ رَأْسَهُ حِينَ غَسَلَهُ وَفِيهِ عَبَسٌ مِنْهُ.

٦٤- وَخَرَقٍ كَظْهِرِ التَّرْسِ قَفَرٍ قَطَعْتُهُ بِعَامِلَتَيْنِ ظَهْرُهُ لَيْسَ يُعْمَلُ الْخَرَقُ: الْبَلْدُ الْوَاسِعُ الَّذِي تَنْخَرِقُ فِيهِ الرِّيحُ. كَظْهِرِ التَّرْسِ: مِنْ اسْتَوَاتِهِ. وَعَامِلَتَيْنِ: يَعْنِي رَجُلَيْهِ. غَيْرُ مُعْمَلٍ: غَيْرُ مَسْلُوكٍ بَطْنُ هَذَا الْخَرَقِ.

٦٥- فَأَلْحَقْتُ أَوْلَاهُ بِأَخْرَافِهِ مُوفِيَا عَلَى قُنَّةٍ أَقْبَعِي مِرَارًا وَأَمْسَلُ أَي قَطَعْتَهُ كُلَّهُ عَدْوًا. مُوفِيَا: مُشْرِفًا عَلَى قُنَّةٍ جَبَلٍ. وَالْقُنَّةُ: أَعْلَى

(١) بروى: «عبس» في: مختارات ابن الشجري ١٤، وأعجب العجب ١٣٥، وإعراب لامية الشنفرى ١٤٢، واختصار المنتخب ١٨، وشرح لامية العرب لابن أبي لاجك ١١٧، وتفريج الكرب ٧١، ونهاية الأرب ٩٩.

الجليل . والإقعاء : القعود على الركبتين وباطن الفخذين كقعدة الكلب والسبع .
وأمثل^(١) : / ١٩ ب أنتصب .

وإنما يُقعى ويمثل ؛ لأنه مُرتَبِي مُرتَقِب ليرى شيئاً يطلع له فيغير عليه .

٦٦- تَرُوذُ الْأَرَاوِي الصُّخْمُ^(٢) حَوْلِي كَأَنَّهَا عَدَارَى عَلَيَهِنَّ الْمَلَأُ الْمَذْبَلُ

تَرُوذُ : تذهب وتجيء . وواحد الأراوى : أروية وهي أنثى الثيس البري .
والصُّخْمُ^(٣) : الحُمُرُ التي تضرب إلى السواد ، وليست الصُّخْمُ ، وقال بعض
الملاص لنفسه أو رفيقه :

إِتَاكَ وَالْأَصْحَمُ أَنْ تَغْتَارَهُ

بِكَذِبِكَ مَنْ أَبْصَرَ يَوْمًا نَارَهُ

يعتاره : يريد تعثره بأخذه . والنار : السمة ، يقال : ما نأر هذا البعير فيقال :
ميسم بني فلان . يقول : إن أحببت أخذ هذا البعير ، علم أنك غير مالك له
لسيمته . والمذبل : طويل الذيل .

٦٧- وَيَرُكُّدَنَّ بِالْأَصَالِ حَوْلِي كَأَنِّي مِنْ الْعُضْمِ أَدْفَى يَبْتَجِي الكَيْخُ^(٤) أَعْقَلُ

(١) كلمة : «وأمثل» مكررة .

(٢) في المخطوطة : «الصُّخْمُ» . تصحيف .

(٣) يروى : «ببتجي الكيخ» في : مختارات ابن الشجري ١٠٦ ، وأعجب المعجب ١٣٩ ، وإعراب
لامية الشنفرى ١٤٧ ، واختصار المنتخب ١٩ ب ، وشرح لامية العرب لابن أبي لاجك ١٧ ب ،
وتفريغ الكرب ٧٥ ، ونهاية الأرب ١٠٣ .

يَزُكْدَنَ : يَقْفَرَنَ حَوْلِي . وَالْأَصِيلُ : الْعَيْشِيُّ ، وَالْجَمْعُ أَصْلٌ ، وَالْجَمْعُ الْجَمْعُ
أَصَالٌ ، كَعُنْتِي وَأَعْنَابِي وَطُئِبٍ وَأَطْنَابٍ . وَإِنَّمَا يَزُكْدَنُ حَوْلَهُ لَطَوْلُ الْعَهْدِ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ
قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنْهُنَّ فِيمَا يَزْعَمُ ، كَمَا يَأْلَفُنَ الْأَعْصَمَ ، وَهُوَ الذَّكَرُ مِنَ الْوَعْلِ .
وَالْعُضْمُ : جَمْعُ أَعْصَمٍ وَهُوَ الَّذِي فِي مَوْضِعِ الْمِغْصَمِ مِنْهُ بِيَاضٍ ، يَرِيدُ الْوَعْلَ وَهُوَ
الْمَوْقِفَةُ أَيْضًا . وَالْأَدْفَى : الَّذِي يَمِيلُ قَرْنَاهُ نَاحِيَتِي ظَهْرِهِ ، وَالْأُنْثَى دَفْوَاءٌ ، قَالَ أَبُو
زَيْدٍ ^(١) : يُقَالُ : نَمَتْ دَفْوَاءٌ / ٢٠٠ إِذَا انْصَبَّ قَرْنَاهَا نَحْوَ عِلْبَاوَيْهَا . وَتَنْتَجِي :
تَعْتَمِدُ . وَالْكَئِخُ : وَالْكَأَخُ نَاحِيَةُ الْجَبَلِ . وَأَعْقَلُ : يَحِلُّ أَعْقَلُ الْجِبَالِ لِيَعْتَصِمَ بِهَا ،
يُقَالُ : وَعَلَّ أَعْقَلُ ، وَأَزْوِيَّةٌ عَقْلِي ، إِذَا كَانَا قَدْ عَقَلَا فِي الْجَبَلِ ، وَالْعَقْلُ الْحِصْنُ ،
وَإِنَّمَا سُمِّيَ مَعْقِلًا ؛ لِأَنَّهُ يَغْقَلُ فِيهِ وَيُحَلُّ وَيُقِيمُ فِيهِ .

تمت بحمد الله وعونه

(١) انظر : لسان العرب (دفا) ١٣٩٩/٢ .

وهو أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري ، كان عالماً بالنحو واللغة ، توفي سنة خمس عشرة
وماثتين . انظر : طبقات النحويين واللغويين ١٦٥ ، ونزهة الألباء ١٢٥ ، وتاريخ العلماء النحويين
٢٢٤ .

فهرس المصادر

- ١- اختصار المنتخب في شرح لامية العرب، لمجهول المؤلف - مخطوطة مصورة عن مكتبة كوبرليي رقم ١٠٨٠ بإستانبول - ولدي مصورة عنها.
- ٢- الأزهية في علم الحروف، لعلي بن محمد الهروي (ت ٤١٥ هـ) - تحقيق عبد المعين الملوحى - مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- ٣- إشارة التعمين في تراجم النحاة واللغويين، لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (ت ٧٤٣ هـ) - تحقيق الدكتور عبد المجيد دهاب - شركة الطباعة العربية السعودية - الطبعة الأولى - الرياض ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ٤- الاشتقاق، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١ هـ) - تحقيق وشرح عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي - الطبعة الثالثة - القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٥٨ م.
- ٥- الأصمعيات، لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) - تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف - الطبعة الخامسة - القاهرة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٦- الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج البغدادي (ت ٣١٦ هـ) - تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٧- أعجب العجب في شرح لامية العرب، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الرمخشري (ت ٥٣٨ هـ) - تحقيق الدكتور محمد إبراهيم حور - مطبعة سعد الدين - الطبعة الأولى - دمشق ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٨- إعراب لامية الشنفرى، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦ هـ) - تحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران - المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ٩- الأعلام، لخير الدين الزركلى - دار العلم للملايين - الطبعة الثامنة - بيروت ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٤ م.
- ١٠- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) - تحقيق عبد علي مهنا وآخرين - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

- ١١- الانتضاب في شرح أدب الكتاب ، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطلبوسي (ت ٥٢١هـ) - تحقيق مصطفى السقا والدكتور حامد عبد المجيد - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- ١٢- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٢٤هـ) - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي - القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- ١٣- بنية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر - الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ١٤- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) - تحقيق محمد المصري - منشورات مركز المخطوطات والتراث - الطبعة الأولى - الكويت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ١٥- بلوغ الأرب في شرح لامية العرب ، جمع وتحقيق محمد عبد الكريم القاضي ومحمد عبد الرازق عرفان - دار الحديث - القاهرة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
- ١٦- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم ، لأبي المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (ت ٤٤٢هـ) - تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو - طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- ١٧- تفريج الكرب عن قلوب أهل الأرب في معرفة لامية العرب ، لأبي عبد الله محمد بن القاسم بن زاكور القاسمي (ت ١١٢١هـ) - دراسة وتحقيق الدكتور محمود محمد العامودي - مطبعة المقداد - الطبعة الأولى - غزة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- ١٨- التبيهات ، لأبي القاسم علي بن حمزة البصري التميمي (ت ٣٧٥هـ) - تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي - دار المعارف - القاهرة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
- ١٩- تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ) - تحقيق عبد السلام هارون وآخرين - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر - القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- ٢٠- الجمل في النحو ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) - حققه وقدم له الدكتور علي توفيق الحمد - مؤسسة الرسالة ودار الأمل - الطبعة الثانية - بيروت

- ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ٢١- حاشية على شرح بانت سعاد، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) - تحقيق نظيف محرم خواجة - دار صادر - الطبعة الأولى - بيروت ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- ٢٢- الحلال في شرح أبيات الجمل، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ) - دراسة وتحقيق الدكتور مصطفى إمام - مكتبة المنتبي - الطبعة الأولى - القاهرة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ٢٣- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣م) - تحقيق وشرح عبد السلام هارون - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ٢٤- الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) - دار الاعتصام - القاهرة .
- ٢٥- ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق الدكتور محمد حسين - دار النهضة العربية - بيروت ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
- ٢٦- ديوان جرير، شرح أبي جعفر بن حبيب (ت ٢٤٥هـ) - تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه - دار المعارف - الطبعة الثالثة - القاهرة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- ٢٧- ديوان عدي بن الرقاع العاملي - جمع وتحقيق ودراسة الدكتور عبد الله الحسيني البركاتي - المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .
- ٢٨- ديوان علقمة الفحل، شرح أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى، المعروف بالأعلم الشتمري (ت ٤٧٦هـ) - حققه لظفي الصقال ودرية الخطيب، وراجعه الدكتور فخر الدين قباوة - دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى - حلب ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .
- ٢٩- ديوان عمرو بن كلثوم، صنعة الدكتور علي أبو زيد - دار سعد الدين - الطبعة الأولى - دمشق ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
- ٣٠- ديوان الفرزدق، شرح إيليا الحاوي - منشورات دار الكتاب اللبناني - الطبعة الأولى - بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ٣١- شرح أبيات الجمل، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى، المعروف بالأعلم الشتمري (ت ٤٧٦هـ) - تحقيق الدكتور محمد محمود شعبان - مخطوط رسالة دكتوراة بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

- ٣٢- شرح أبيات الجمل ، لأبي القاسم عيسى بن إبراهيم بن عبد ربه بن جهور القيسي - مخطوطة مصورة عن خزانة جامع القرويين رقم ٦٥/٨٠ (١) بالرباط - ولدي نسخة مصورة عنها .
- ٣٣- شرح أبيات الجمل ، لمحمد بن عبد الرحمن الصنهاجي - مخطوطة مصورة عن مكتبة برلين ، تحت رقم ١٠٠٨ هـ - ولدي نسخة مصورة عنها .
- ٣٤- شرح أبيات سيويه ، لأبي محمد يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي (ت ٣٨٥هـ) - تحقيق محمد علي الربيع هاشم - مكتبة الكليات الأزهرية ودار الفكر - القاهرة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- ٣٥- شرح أبيات مغني اللبيب ، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) - تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق - دار المأمون للتراث - الطبعة الأولى - دمشق ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
- ٣٦- شرح أدب الكاتب ، لأبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (ت ٥٤٠هـ) - دار الكتاب العربي - بيروت .
- ٣٧- شرح أشعار الهذليين ، لأبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (ت ٢٧٥هـ) - حققه عبد الستار أحمد فراج ، وراجعه محمود محمد شاكر - دار التراث - القاهرة .
- ٣٨- شرح جمل الزجاجي ، لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) - دراسة وتحقيق الدكتور علي محسن عيسى مال الله - عالم الكتب - الطبعة الأولى - بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ٣٩- شرح حماسة أبي تمام ، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى ، المعروف بالأعلم الششمري (ت ٤٧٦هـ) - تحقيق وتعليق الدكتور علي المفضل حتودان - دار الفكر المعاصر - بيروت ، ودار الفكر - دمشق - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ٤٠- شرح ديوان الحماسة ، لأبي زكرياء يحيى بن علي ، المعروف بالخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ) - عالم الكتب - بيروت .
- ٤١- شرح ديوان الحماسة ، لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت ٤٣١هـ) - نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون - دار الجيل - الطبعة الأولى - بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- ٤٢- شرح ديوان حماسة أبي تمام ، المنسوب ، لأبي العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ) - دراسة وتحقيق الدكتور حسين محمد نقشة - دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

شرح لامية العرب للتبريزي

- ٤٣- شرح شواهد شرح شافية ابن الحاجب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) - تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفراف ومحمد محيي الدين عبد الحميد - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ٤٤- شرح شواهد المغني، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) - تحقيق أحمد ظافر كوجان - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
- ٤٥- شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر محمد بن القاسم الأتباري (ت ٣٢٨هـ) - تحقيق وتعليق عبد السلام هارون - دار المعارف - الطبعة الخامسة - القاهرة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٤٦- شرح القوائد العشر، لأبي زكرياء يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ) - تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة - دار الآفاق الجديدة - الطبعة الرابعة - القاهرة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٤٧- شرح القوائد المشهورات، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ) - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٤٨- شرح كتاب الحماسة، لأبي القاسم زيد بن علي الفارسي (ت ٤٦٧هـ) - دراسة وتحقيق الدكتور محمد عثمان علي - دار الأوزاعي - الطبعة الأولى - الدوحة.
- ٤٩- شرح لامية العرب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) - طبع مطبعة الجوائب - قسطنطينية - الطبعة الأولى - استانبول ١٣٠٠هـ.
- ٥٠- شرح لامية العرب، لمجهول المؤلف - مخطوطة بمكتبة برلين، وعندي نسخة مصورة عنها.
- ٥١- شرح لامية العرب، لمحمد بن الحسين بن أبي لاجك التركي - مخطوطة بمكتبة برلين - وعندي مصورة عنها.
- ٥٢- شرح المعلقات السبع، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني (ت ٤٨٦هـ) - تحقيق ودراسة محمد عبد القادر أحمد - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الأولى - القاهرة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٥٣- شرح المفصل، لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ) - مكتبة المتنبّي - القاهرة.
- ٥٤- شرح مقصورة ابن دريد، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ) - دراسة وتحقيق محمود جاسم محمد - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - بيروت ١٤٠٧هـ -

- ١٩٨٦ م .
- ٥٥- شرح ملحّة الإعراب، لأبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري (ت ٥١٦هـ) - حققه الدكتور أحمد محمد قاسم - مطبعة عيبر للكتاب - الطبعة الأولى - القاهرة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢ م .
- ٥٦- شعر ابن ميادة، جمع وتحقيق الدكتور حنا جميل حداد - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م .
- ٥٧- الشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) - تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر - دار المعارف - القاهرة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م .
- ٥٨- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨هـ) - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين - الطبعة الثالثة - بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م .
- ٥٩- ضرائر الشعر، لأبي عبد الله محمد بن جعفر التميمي القزاز القيرواني (ت ٤١٢هـ) - تحقيق وشرح ودراسة الدكتور محمد زغلول سلام، والدكتور محمد مصطفى هدارة - منشأة المعارف - الإسكندرية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م .
- ٦٠- طبقات الشعراء، لعبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ) - تحقيق عبد الستار أحمد فراج - دار المعارف - الطبعة الرابعة - القاهرة ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م .
- ٦١- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ) - شرح محمود محمد شاكر - مطبعة المدني - القاهرة .
- ٦٢- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (ت ٣٧٩هـ) - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف - الطبعة الثانية - القاهرة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م .
- ٦٣- عنوان الأدب بشرح لامية العرب، لأبي الإخلاص جاد الله الغنيمي الفيومي المصري (ت ١١٠١هـ) - مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٩٥ أدب، وعندي نسخة مصورة عنها .
- ٦٤- عيون الأخبار، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) - شرح وضبط وتعليق وتقديم الدكتور يوسف علي طويل - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م .
- ٦٥- الفصول والجمال في شرح أبيات الجمل، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم ابن خلف اللخمي (ت ٥٧٧هـ) - مخطوطة بالزاوية الحمراء بالمغرب - وعندي نسخة

مصورة عنها .

٦٦- القاموس المحيط ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي (ت ٨١٧هـ) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

٦٧- الكامل ، لأبي العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ) - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي - القاهرة .

٦٨- الكتاب ، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، سيبويه (ت ١٨٠هـ) - تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

٦٩- الكشف عن وجوه القراءات السبع ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) - تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان - مؤسسة الرسالة - الطبعة الرابعة - بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٧٠- كنى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه ، لأبي جعفر محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ) ، ضمن نواذر المخطوطات - تحقيق عبد السلام هارون - دار الجيل - الطبعة الأولى - بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

٧١- لسان العرب ، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ) - دار المعارف - القاهرة .

٧٢- مختارات شعراء العرب ، لهبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسيني العلوي (ت ٥٤٢هـ) - تحقيق علي محمد البجاوي - دار نهضة مصر - القاهرة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

٧٣- مراتب النحويين ، لأبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ) - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي - الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

٧٤- المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) - شرحه وضبطه محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي - دار التراث - القاهرة .

٧٥- مشكل إعراب القرآن ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) - تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية - بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م .

٧٦- المعارف ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) - حققه وقدم له

- الدكتور ثروت عكاشة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة السادسة - القاهرة
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- ٧٧- معاني القرآن ، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة ، المعروف بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ) -
تحقيق الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد - عالم الكتب - الطبعة الأولى - بيروت
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ٧٨- معجم الأدباء ، لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت
٦٢٦هـ) - دار الفكر - الطبعة الثالثة - بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- ٧٩- معجم البلدان ، لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت
٦٢٦هـ) - دار صادر - بيروت .
- ٨٠- معجم ما استمع من أسماء البلاد والمواضع ، لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت
٤٨٧هـ) - تحقيق مصطفى السقا - عالم الكتب - الطبعة الثالثة - بيروت ١٤٠٣هـ -
١٩٨٣م .
- ٨١- معلقة عمرو بن كلثوم ، بشرح أبي الحسن محمد بن أحمد بن كيسان (ت ٢٩٩هـ) -
دراسة وتحقيق الدكتور محمد إبراهيم البنا - دار الاعتصام - الطبعة الأولى - القاهرة ١٤٠٠
هـ - ١٩٨٠م .
- ٨٢- المعمرين من العرب ، لأبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني البصري (ت
٢٥٣هـ) - تحقيق وتعليق محمد إبراهيم سليم - دار الطلائع - القاهرة - ١٤١٣هـ -
١٩٩٣م .
- ٨٣- المقتضب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) - تحقيق محمد عبد الخالق
عزيمة - مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - القاهرة - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ٨٤- من اسمه عمرو من الشعراء ، لأبي عبد الله بن داود بن الجراح (ت ٢٩٦هـ) - تحقيق
الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع - مكتبة الخانجي - الطبعة الأولى - القاهرة ١٤١٢هـ -
١٩٩١م .
- ٨٥- المؤلف والمختلف ، لأبي القاسم الحسن بن بشر الأمدي (ت ٣٧٠هـ) - تصحيح وتعليق
الدكتور ف . كرتكو - دار الكتب العلمية - الطبعة الثانية - بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- ٨٦- الموشح ، لأبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت ٣٨٤هـ) - تحقيق علي
محمد البجاوي - دار الفكر العربي - القاهرة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .

شرح لامية العرب للتبريزي

- ٨٧- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧هـ) - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار نهضة مصر - القاهرة .
- ٨٨- نهاية الأرب في شرح لامية العرب، لعطاء الله بن أحمد بن عطاء الله بن أحمد المصري الأزهري (ت ١١٨٦هـ) - دراسة وتحقيق الدكتور محمود محمد العامودي - دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى - غزة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
- ٨٩- وشي الخلل في شرح أبيات الجمل، لأبي العباس أحمد بن يوسف اللبلي (ت ٦٩١هـ) - تحقيق ودراسة الدكتور أحمد الطيب محمد الفاتح قريب الله - رسالة دكتوراة في كلية الآداب جامعة أديرة بيرطانيا ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- ٩٠- وقفيات الأعيان وإنباء أنباء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ) - تحقيق الدكتور إحسان عباس - دار صادر - بيروت .

* * *

تمثل اصطلاحات الصوفية ثروة
أدبية كبيرة ؛ إذ إن لهم معجمهم
الخاص وتعابيرهم الخاصة ، وطرقهم
الخاصة . وهذه التعابير تمثل مذهبهم
في الأدب .

وقد رأى غيرهم أن ذلك من
قبيل « الرمز » ، لكن الحقيقة تجانب
ذلك ؛ فهم يقصدون إلى الإغراب
قصداً ، ولذلك لجأوا إلى استخدام
ألفاظ معقدة ومعانٍ مغلقة ؛ فهم لم
يكونوا يكتبون للعامة ، بل للخاصة
العارفين ، ولقد صدقوا في تجربتهم ،
فإن من ذاق عرف .

اصطلاحات الصوفية :

أبعاد جديدة

في التطور الدلالي

د . يحيى عبد الرؤوف جبر *

* رئيس مجمع اللغة العربية الفلسطينية (سابقاً) ، وأستاذ العلوم اللغوية في جامعة النجاح الوطنية
بنابلس .

نحاول في هذا البحث أن نفحص في بحر التصوف لمعرفة العلاقة بين اصطلاحات المتصوفة ودلالاتها، ولما كانت هذه الألفاظ من المعجم اللغوي، وكانت تستخدم لغير دلالاتها الأصلية لعلاقات غير مجازية، بل لا مجال فيها للنظر العقلي، فإن البحث فيها عسير، ورصد أوجه التطور الدلالي يكاد يكون كذلك، غير أننا تمكنا من الإشارة إلى بعض الحقائق التي من شأنها أن تمهد الطريق لبحث أعمق، حينما لو يتم على يد رجل من المتصوفة، نظرًا للخصوصية التي يمتاز بها عالم التصوف عن عالم الإدراك الحسي والعقلي .

مصادر الألفاظ الصوفية

يقف المطالع في ألفاظ المتصوفة واصطلاحاتهم على أنها مستمدة من عدة مصادر، ثم صرفت لدلالات جديدة خاصة بهم، ويصعب فهمها فهمًا دقيقًا من قبل غيرهم، ذلك لأنها تعتمد على التجربة والمعرفة الذوقية، وهما أمران لا سبيل إلى «تأطيرهما» وفقًا لمعايير وأقيسة علمية منطقية .

ونستطيع ردُّ جل اصطلاحات الصوفية إلى الفقه والتوحيد من علوم الديانة الإسلامية، وأكثرها مستمدٌ من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فلو تأملنا في اصطلاحات البدايات ومقاماتها من عناصر ودعامات المنازل العشرة عند الهروي^(١): اليقظة، التوبة، المحاسبة، الإنابة، التفكير، التذكر،

(١) دراسات في الفلسفة الدينية والصوفية والعلمية، د . عبد القادر محمود . دار الفكر العربي،

والاعتصام، والفرار والرياضة والسماع - لوجدنا أنها مما ورد في القرآن الكريم بلفظه أو بفعله عدا الرياضة، ونظير ذلك في الأبواب: الحزن، الخوف، الإشفاق، والخشوع، والإحبات، والزهد، والورع، والتبتل، والرجاء، والرغبة، إذ إن معظم هذه الألفاظ قرآنية لمعانيها، لولا أن القوم أضفوا عليها أبعادًا اختصوا بها دون غيرهم. وقد يطول بنا الحديث في استعراض الاصطلاحات التي استمدها المتصوفة من القرآن الكريم والحديث الشريف، وقد يكون خير مثال يوضح مذهب القوم في التصرف في الألفاظ وتوليدها ما يعرف في اصطلاحاتهم باسم «العلم اللدني»، من كلمة «لدن» الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنَ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾^(١)، وهو العلم الذي يفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج.

ومن مصادر ألفاظ الصوفية المعجم الشيعي، لا سيما أن كثيرًا من الباحثين والمتصوفة يرتدون بأصل المذهب إلى الإمام علي (مصباح التوحيد ومفتاح التفريد)، على ما لقبه العز بن عبد السلام^(٢)، ونجد كثيرًا من المفردات مستمدة مما عرف بفقهاء الباطن مقارنة بفقهاء الظاهر، ومن ذلك اصطلاحات كالقطب والولاية والأبدال.

وجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أن «نظرية الحلول» التي قال بها بعض الشيعة (الفاطمية والدروز منهم) هي نفسها التي كان يقول بها الحلّاج وبعض المتصوفة. ومن يطالع أشعار تميم بن المعز لدين الله الفاطمي وأشعار العز بن عبد

(١) الكهف ٦٥ .

(٢) زبدة خلاصة التصوف المسمى بحل الرموز، العز بن عبد السلام. المطبعة البوسنية بطنطا، ص

السلام يجد تشابهاً كبيراً في الألفاظ لدلالاتها .

كما يستخدم المتصوفة اصطلاحات مستمدة من معجم اللغة العام، كالحرية والحزن^(١)، ولكنها لا تستخدم للدلالة على المعنى المألوف، فالحرية والعبودية عندهم لعلاقة بالشهوات والنفس والشیطان، فمن تولاها فهو عبد لها . ومن أفلت من سطوتها فهو الحر . والحزن عند عامة الناس إنما يكون على الدنيا وما فيها، ونادراً ما يكون على شيء آخر، بينما شرطه عندهم ألا يكون على الدنيا وما فيها . والحزن هو زاد الصوفي وراحته، والقلب الطروب في نظرهم قلب فارغ خرب، والقلب الحزين قلب مملوء بالإيمان والحشية والرجاء^(٢) .

بإجمال، فإن التصوف العلاقة بالنفس وأحوالها، وبالمعرفة وسبيلها، وهو عندهم القلب والذوق، ومن هنا كانت اصطلاحاتهم مستمدة من معجم النفس وأكثر ذلك من القرآن الكريم، كتاب النفس ودليلها الذي وضعه صانعها - عز وجل - وهو أدري بها . وقد ذهب القوم بعيداً في التحليل، وتعمقوا فوصلوا آفاقاً لم يصل إليها سواهم، فعرفوا من الحقائق ما لم يعرفه غيرهم، وبالتالي فإنهم وإن استخدموا ألفاظنا إلا أنهم يُخلِّقون بمعانيها في أجواء أرحب من أجواء معانينا، وأكثر إشراقاً، فلا عجب إن نحن نحْمُنَا حول معانيهم دون أن ندركها مثل ما يدركونها هم .

وكي تتمكن من سبر العلاقة بين ألفاظ المتصوفة ودلالاتها، فإنه لا بد لنا

(١) التصوف الإسلامي، د . حسن عاصي . مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٤ .

ص ١٤٠، ١٤١ .

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٢ .

بداية من استعراض نظرية المعرفة عندهم ، وسيلهم إلى تحقيقها وإدراكها ، وهل هم سواء وغيرهم في ذلك ، أم أنهم مختلفون ، وهل يخضع الاختلاف إلى أقيسة ومعايير تمكنا من التحقق مما يعرض لنا ويتكشف منه ؟ وتوجيه ذلك كله أن نظرية المعرفة تضبط العلاقة بين المدركات والإنسان ، وتوجهها ، وتحكم في مسار دلالة الألفاظ والاصطلاحات في رحلة التطور ، وتمكنا من رصد الأبعاد الجديدة التي بلغتها رموز الصوفية ألفاظاً ومعاني .

نظرية المعرفة عند المتصوفة

تناول ابن خلدون في الفصل الثاني من كتابه «شفاء السائل لتهذيب المسائل»^(١) النظرية المفسرة لإمكان الكشف الصوفي ، وفسره بنظريتي النفس والمعرفة وتستند نظرية النفس عنده إلى فكرتين تتعلق أولاهما بالنظرية الثنائية ، قال : « اعلم أن الله خلق هذا الإنسان مركباً من جثمان طاهر وهيكل محسوس وهو الجسد ، ومن لطيفة ربانية وأركبها مطية بدنه ، وهذه اللطيفة مع البدن بمنزلة الفارس مع الفرس ، والسلطان مع الرعية»^(٢) .

وتتعلق الثانية بشروط اكتمال النفس ، وهي شروط متناقضة كما سنرى ، فالنفس بحاجة إلى البدن لاكتساب المعرفة ، ولكن البدن عائق دونها ، والمعرفة المباشرة لما هو من طبيعتها ، وما تكتسبه النفس من العلوم والأخلاق بواسطة البدن بعضها يرفعه نحو الكمال ، وبعضه يحطها .

(١) شفاء السائل مع دراسة تحليلية للعلاقة بين السلطان الروحي والسلطان السياسي ، د . أبو العزب المرزوقي . الدار العربية للكتاب ، بيروت ، ١٩٩١ ، ص ١٥٣ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق ص ٧٧ ب .

ولم يتعرض ابن خلدون إلى نظرية العقل عند الإنسان ، لأن هذه النظرية تقتضي الوصول إلى إدراك العالم الروحاني بتوسط المعرفة الكسبية في معناها الفلسفي القائم على المعرفة الحسية المنطقية ، التي يعدها ابن خلدون عوائق أمام المعرفة الذوقية والوجدان ؛ « فالنفس الروحانية إذا شعرت بإدراكها الذي لها من ذاتها بغير واسطة وحصل لها ابتهاج ولذة لا يعبر عنهما ، وهذا الإدراك لا يحصل بنظر ولا علم ، وإنما يحصل بكشف حجاب الحس ونسيان المدارك الجسمانية بالجملة ... » .

فأما قولهم - يعني الفلاسفة - : إن البراهين والأدلة العقلية محصلة لهذا النوع من الإدراك والابتهاج عنه ، فباطلٌ كما رأيته ، إذ البراهين والأدلة من جملة المدارك الجسمانية لأنها بالقوى الدماغية من الخيال والفكر والذكر ، ونحن نقول : إن أول شيء نعني به في تحصيل هذا الإدراك (هو) إماتة هذه القوى الدماغية كلها ، لأنها منازعة له ، قاذحة فيه ^(١) .

كما ناقش ابن خلدون ، عقب ذلك ، شرط تحقق المعرفة الكشفية وأنها لا تكون بتوسط البدن ، بل بالقطع معه وإماتته حتى لا يحول دون النفس وعالمها الذي منه ذاتها .

والسبيل الأولى المؤدية إلى المعرفة الكسبية منهجها المنطق . والسبيل الثانية المؤدية إلى المعرفة الكشفية منهجها الطريقة الصوفية « الرافعة للعوائق البدنية والملاحية للصفات البشرية » ^(٢) .

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص ٩٩٨ ، ٩٩٩ .

(٢) شفاء السائل ، ص ٨١ أ (عن المرزوقي ص ١٥٥) .

ويمكن أن نوجز نظرية ابن خلدون في هذا المجال بأن الله - سبحانه وتعالى - لما فطر اللطيفة الربانية (الروح) المودعة في الإنسان على الاستكمال بالمعرفة والعلم بحقائق الموجودات وصفات موجدتها، جعل لها جانبين:

- جانب تجاه الوجود الحسي يعتمد العقل .

- وجانب تجاه ما كتب في اللوح المحفوظ، فإذا ارتفع الحجاب بالتصفية والتخليص من الإكدار وقع الإدراك بالجانب الآخر، لا بالحس ولا بالفكر ولا بالخيال، ولكن باللطيفة الربانية، إذ تنطبع الصور في ذاتها لأن لها من ذاتها، وتحصيل مالها من ذاتها بذاتها أوثق من تحصيله بغيرها .

ومن هنا لم ير أفلاطون في العلم الكسبي برهانًا قطعياً على العالم الروحاني، ويرى نسبة الكسبي إلى الإلهامي كنسبة الظن إلى العلم، وهكذا فالمعرفة الكشفية ممكنة، وشروط وجودها موجودة في النفس وقابلة للتحقيق، بفضل السلوك الصوفي المزيل للعوائق البدنية .

ويفرق ابن خلدون أيضًا بين هذين النوعين من العلم وبين العلم الروحاني^(١) فيجمل رأيه فيها على النحو التالي:

١- العلم الكسبي: وجهته الحياة الدنيا والعالم الأسفل، يكتسب منها العلوم والمعارف بيسط الحواس الظاهرة على المدركات بانتزاع صورها من الخيال، ثم تجريد المعاني المعقولة منها، ثم تصرف الفكر فيها بالتركيب والتحليل ونظم الأقيسة حتى يحصل مطلوبها الذي تتوجه إليه، وهذا العلم ظاهر بالحس .

(١) المصدر السابق، ص ٨١ أ .

٢- العلم الإلهامي : وهو الوحي ينزل على النفس الصافية حلقة وجبلية بالعصمة ، وهذا معلوم من الدين ضرورة .

٣- العلم الروحاني : وهو ما كان نتيجة للتصفية والتخليص بالمجاهدة من غير عصمة ، وإنما بالاكتساب والتكلف ، والعلم المستفاد هنا لا نشعر بسببه ولا بمورده ، وإنما يكون نفثاً في الروح ، وهو ذوق العلم ، والعلم اللدني من قوله تعالى : ﴿ وآتينا من لدنا علماً ﴾ ، وهو العلم الذي يفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج . وهذا ما يعرف عند بعضهم بعقل الاختصاص أو العقل الحادث أو الذوق الباصر الكاشف ... سبيل المتصوفة إلى المعرفة الذوقية أو الوجدانية التي هي أعلى درجات المعرفة الصحيحة ، ولا يمكن الإفصاح عنها بأية وسيلة من وسائل التعبير الإنساني ، ولا يمكن بالضرورة نقلها أو توصيلها للآخرين إلا بوصولهم أنفسهم إليها^(١) .

وهذا يعني أننا بصدد معارف خاصة ، لا يدرك دلالاتها إلا من ذاقها ، ولكن حاجة القوم إلى التعبير عنها ووصفها تضطرهم إلى استخدام لغة « العامة » ، فجاءت عباراتهم رموزاً مستغلقة إلى حد ما . وقد يصح أن نترجم ذلك بقصور اللغة عن التعبير عن معانيهم ، ليس لقصور طبعي فيها ، وإنما لأن معاني المتصوفة تقع خارج إطار معاني اللغة ، ويتم التوصل إليها بغير الأساليب التي يتم التوصل بها إلى معانيها ، ولا يعرف الشوق إلا من يكابده ... والمكابدة درجات ، وأنى للغة أن تُعبّر عن ذلك كله ، بل أنى لامرئ أن يقدر على التعبير لآخر عن شيء يجده بألفاظ يستخدمها الآخر للتعبير عن شيء مختلف يجده .

(١) دراسات في الفلسفة الدينية ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

قصور اللغة

يرى ابن عربي أن العلم الروحاني، أو ما أسماه بالعلوم الإلهية الذوقية، تختلف عن سائر العلوم، وذلك في أنها لا تخضع لمعايير، ولا تعترف بالعقل « فلا يقدر عاقل على أن يَحُدَّها ولا يُقيِّم على معرفتها دليلا، كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع والعشق والوجد والشوق، وما شاكل هذا النوع من العلوم، فهذه علوم من المحال أن يعلمها أحد إلا بأن يتصف بها ويذوقها، وبالذوق تتميز الأشياء عند العارفين، والكلام على الأحوال لا يحتمل البسط، وتكفي فيه الإشارة إلى المقصود، ومهما بسطت القول فيه أفسدته، فعلوم الأذواق لا تنقال ولا تنحكي ولا يعرفها إلا من ذاقها، وليس في الإمكان أن يبلغها من ذاقها إلى من لم يذوقها وبينهم في ذلك تفاضل لا يعرف^(١) .

إذا فنحن بصدد معان تتحصّل في النفس وتعجز اللغة عن التعبير عنها، لأن اللغة إنما تستخدم في مجال التعبير عن شيء مألوف عند كل من الملقى والملتقى، أو عند أحدهما، فهذا يحاول بسطه للآخر بألفاظ من لغتهما، أما ألفاظ المتصوفة فهي من ألفاظ اللغة من حيث هي أصوات، ولكنها من حيث المعنى تختلف عن سائر ألفاظ اللغة، لأن معانيها ليست متداولة بين عامة الناس، ليس لجِدَّتِها، فهي لم تستقر لها بعد في معاجمهم وعقولهم، ولكن لطبيعتها وللطريقة التي تدرك بها، إذ هي متفاوتة من متصوف لآخر، ونادرًا ما يستطيع

(١) شرح فصوص الحكم من كلام محيي الدين بن عربي، تحقيق محمود العزاب، مصر ١٩٨٥،

غير المتصوفة إدراكها وإن اجتهدوا في ذلك ، ولأنها لا تخضع في تحصيلها لمعايير مصطلح عليها ومعايير متفق عليها ، بل تتحصّل في النفس عن طريق الحلول دون كيف تحدده الألفاظ .

يقول ابن خلدون في هذا الصدد ^(١) : « إن التعبير عن تلك المدارك والمعاني المنكشفة من علم الملكوت متعذرة ، لا بل مفقودة ، لأن ألفاظ التخاطب في كل لغة من اللغات إنما وضعت لمعان متعارفة من محسوس أو متخيل أو معقول تعرفه الكافة ، إذ اللغات تواضع واصطلاح ، فلا توضع إلا للمعروف المتعاهد ، فأما ما يتفرد بإدراكه الواحد في الأعصار والأجيال فلم توضع له ، ولا يصح التجوز بهذه الألفاظ على طريق المجاز ، إذ التجوز إنما يكون بعد مراعاة معنى مشترك أو نسبة ، ولا نسبة بوجه بين عالم الملكوت وعالم الملك ، بل هي متعذرة أو مفقودة ، فكيف يتكلم بما لا يفهم فضلا عن أن يودع الكتب ؟ وإن صاروا إلى ضرب الأمثال والقنوع بالإجمال فسييل مبهم » .

ومن هنا لجأ المتصوفة مضطرين إلى الإشارة والتلميح ، فالسامع من غيرهم يحوم حول معانيهم دون أن يكون قادرًا على الوقوع عليها ، ولذلك رأيناهم يفرقون بين معرفة العقل ومعرفة القلب ، وتجعل استحالة التعبير الحقيقي والمجازي عن هذه المعاني المنكشفة أمام مفارقة تتمثل في كيف نوفق بين هذا وبين ما يقال من تحقيق علم المكاشفة أو علم الباطن « إن القلب عند تطهيره وتركيبته من الصفات المذمومة ، ثم إخماد القوى البشرية ، ومحاذاة جانب الحق ... يرتفع عنه الحجاب ويتجلى فيه النور الإلهي ، فتتكشف له بذلك أسرار الوجود ؛ علوه

(١) شفاء السائل ، ص ٣٥ أ .

وسفله، وملكوت السماوات والأرض، فتضح له معاني العلوم والصنائع، وتنحل جميع الشكوك والشبه، ويطلع على ضمائر القلوب وأسرار الوجود، وتنكشف له معاني التشابهات الواردة في الشرع حتى تحصل له المعرفة بحقائق الوجود كلها على ما هي عليه^(١) .

وكما ذكرنا قبل قليل، وإزاء عجز اللغة عن التعبير عن الحقائق التي يدركها المتصوفة في تجلياتهم، فقد وجدوا في الإشارة والتلميح سبيلا يمكنهم من تقريب تلك المكاشفات بعضهم إلى بعض، وإلى من يدرس آدابهم محاولاً فهمها، ونذكر في هذا المجال ما قاله بعض المتكلمين لأبي العباس ابن عطاء: ما بالكم أيها المتصوفة قد اشتقتم ألفاظاً أغربتم بها على السامعين وخرجت عن اللسان المعتاد، هل هذا إلا طلباً للتمويه أو سترًا لعوار المذهب؟ فقال أبو العباس: ما فعلنا ذلك إلا لغيرتنا عليه لعزته علينا، كيلا يشربها غير طائفتنا، ثم اندفع يقول:

أحسن ما أظهره ونظيره	بادئ حق للقلوب نشعره
يخبرني عنه وعنه أخبره	أكسوه من رونقه ما يستره
عن جاهل لا يستطيع ينشره	يفسد معناه إذ ما يعبره
فلا يطبق اللفظ بل لا يعشره	ثم يوافي غيره فيخبره

ثم قال وأنشدونا أيضًا:

(١) المصدر السابق، ص ٣٢ ب .

إذا أهل العبارة ساءلونا أجنبناهم بإعلام الإشارة
نشير بها فنجعلها غموضاً تقصر عنه ترجمة العبارة
ترى الأقوال في الأفعال أسرى كأسر العارفين ذوي الخسارة^(١)

وفي هذه الحكاية ما يقفنا على حقيقة العلاقة بين اصطلاحات الصوفية ومعانيها، فالمتكلمة يركبون مطية المنطق والألفاظ المتداولة، أما هؤلاء فإن لهم سبيلاً آخر، فعلمهم غير العلوم، إنها «علوم الخواطر، علوم المشاهدات والمكاشفات، وهي التي تختص بعلم الإشارة، وهو العلم الذي تفردت به الصوفية...، وإنما قيل: علم الإشارة؛ لأن مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق...»^(٢). ولذلك فإن علومهم مستورة عن عامة الناس، مفتوحة لهذه الطائفة دون غيرهم.

وتوجيه ذلك أن هذه الطائفة اصطلحت على ألفاظ في علومها تعارفوها بينهم ورمزوا بها، فأدركها صاحبهم، وخفيت على غيره. ومن هنا خف عدد كبير من المصنفين قديماً وحديثاً إلى وضع معاجم لشرح اصطلاحات الصوفية وتقريبها من الأفهام، كالكاشاني والكاشاني وابن عربي وغيرهم.

جاء في مقدمة اصطلاحات الصوفية لابن عربي، المطبوع في هامش كتاب التعريفات للجزجاني^(٣): «أما بعد، فإنك أشرت إلينا بشرح الألفاظ التي تداولها الصوفية المحققون من أهل اللّه بينهم، لما رأيت كثيراً من علماء الرسوم

(١) التصوف الإسلامي، ص ٢٢٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٨.

(٣) بيروت ١٩٧٨.

وقد سألونا في مطالعة مصنفاتنا، ومصنفات أهل طريقتنا مع عدم معرفتهم بما توطأنا عليه من الألفاظ التي يفهم بها بعضنا عن بعض، كما جرت عادة أهل كل فن من العلوم ...» .

وتعد اصطلاحات الصوفية ثروة أدبية كبيرة، ذلك بما تمثله من الحياة الروحية العميقة التي يحياها المتصوفة . «ونكاد نقول : إن لهم معجمهم الخاص، وتعبيرهم الخاص وطرقهم الخاصة، وهذه التعابير تمثل مذهبهم في الأدب والرمز، المذهب الذي عيب عليهم سلوكه، حتى إن الثعالبي حين أخذ على المتنبّي قال : «أمثال ألفاظ المتصوفة واستعمال كلماتهم المعقدة ومعانيهم المغلقة». وأعتقد أن الصوفية أرادوا هذا الغموض والرمز، وعمدوا إليه باختيارهم، لأنهم لا يقولون الشعر أو النثر لعامة الناس، وإنما يقولون لفئة خاصة من أصحاب القلوب وذوي الأبصار»^(١) .

ومن هنا كان «كل ما نعرفه حتى يومنا هذا عن الصوفية ضئيلاً ومحدوداً بالمقارنة بما ذكره علماء وفقهاء الصوفية في كتبهم، وحتى هذا الجزء الضئيل من المعرفة الصوفية غير معروف إلا لفئة قليلة متخصصة في جامعاتنا، ويرجع ذلك إلى عدم الإلمام بمعاني الألفاظ الصوفية لدى الكثير من المتعلمين والمثقفين»^(٢) .

ونستطلع شيئاً من طبيعة معاني المتصوفة يؤكد أقطابهم في آثارهم . فهذا هو العز بن عبد السلام يقول في قصيدة تدور حول فكرة أن الكون نسخة من الإنسان :

(١) في التصوف الإسلامي، قمر كيلاني، دار مجلة شعر، بيروت ١٩٦٢، ص ٧٨، ٩٢ .

(٢) المذاهب الصوفية ومدارسها، عبد الحكيم عبد الغني محمد قاسم، مكتبة مديولي، القاهرة،

١٩٨٩، ص ٧ .

إذا كنت تقرأ علم الحروف فشخصك لوح به أسطر
وتمثال ذلك أنموذج لكل الوجود لمن يبصر
حروف معانيك لا تنقري لذي الجهل كلا ولا تظهر^(١)

فإنسان لوح عليه سطور، وسطور معانيه لا تنقري لذي الجهل، يقصد غير العارف بالله، من غير المتصوفة، لأنه حتى من ادعى المعرفة بالله قد لا يكون كذلك :

يا أيها المدعي لله عرفانا وقد تفوه بالتوحيد إعلانا
وتطلب الحق بالعقل الضعيف وبالقياس والرأي تحقيقاً وتبياناً^(٢)

فالعقل ضعيف، وكل أدواته من قياس ورأي وغيرهما لا تستطيع اختراق الحجب، وإنما السبيل إلى ذلك بالمجاهدات والذوق وعلم القلوب .

دلالات الاصطلاحات الصوفية

تتراوح أبعاد التطور الدلالي المرصودة في جل اللغات ما بين المادي والمعنوي استجابة لما تقتضيه العلاقات المجازية والعلل التوليدية في ضوء ما ينعكس من تباين وتواصل بين الحواس والعقل، اللذين يمثلان السبيل الرئيس لمعرفة الإنسان لما يقع خارجه . وقد كان اعتماد الإنسان على حواسه أكثر من اعتماده على

(١) زبدة خلاصة التصوف، ص ٣٩ .

(٢) المصدر السابق، ص ٤٨ .

عقله بادئ الأمر، ثم راح ينظم معارفه الحسية ويحللها ويعلمها على نحو ما ينشط به العقل، وبرهن على ذلك بما تعكسه مفردات اللغة التي تطلق على « الشهر » في جل لغات العالم، إذ نجد لها مشتقة من اللفظ الذي يطلق على الهلال والقمر^(١)، ذلك أن الإنسان علم بدورة القمر - وهي مما يدرك بحاسة البصر - على حدود الزمان، بينما نجد أن التقويم الشمسي قد تأخر، ذلك لأنه يعتمد على الحساب، وهو عقلي لا حسي .

ومن ذلك أيضًا سبب الألفاظ التي يعبر بها عن المشرق والمغرب، تلك التي يعبر بها عن الشمال والجنوب، ذلك أن الأولين يعلم عليهما بشروق الشمس وغروبها، وهما مما يدرك بالحس، بينما لا يعلم على الآخرين بمثل ذلك، بل يعرفان بالعقل .

ويقف المطالع في معجم العربية على حقيقة تتمثل في أن جلّ الألفاظ إنما كانت ابتداء - وما تزال - تستخدم لدلالات تنصرف لمعان مادية، ثم تطورت دلالاتها لتقع على معان معنوية أو مجردة . فالعطف والحنان والحنو - من المعاني الإنسانية - هي في الأصل معان مادية تختص بالناقة وابنها، وهذا موضوع واسع يطول فيه الحديث، ولكن لا يعدو أن يكون في إطار ما يتراوح بين المحسوس والمعنوي، أو بين ما تدركه الحواس وما يدرك بالعقل .

وينقلنا الصوفيون إلى أبعاد جديدة في معارفهم، ذلك أنهم يتجاوزون دائرتي المحسوس والمعقول إلى دائرة المدوق، ويجعلون الذوق كالحس والعقل،

(١) نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة، د. يحيى جبر، ط. نابلس، د. ت. «الصين بين العلم واللغة»، ص ٢٧ وما بعدها .

بوابة للمعرفة على نحو ما يتجلى في قولهم : « من ذاق عرف ، ومن لم يذق لم يعرف » . ذلك أن الذين لم يعرفوا طعم الوجد والشوق الصوفي لا يعرفون ماهية الوجد والشوق الحقيقي^(١) . وتحرير ذلك أن التصوف تجربة ذوقية ، وليس علمًا يدرس ، وهو تجربة روحية بعيدة من المادة ، مما يعني أنه لا شأن للعلم الحديث بالتصوف لأن العلم مجاله المادة ، والتصوف روحاني ولا يدرك حقيقته إلا من مارسه وعاشه . ومن هنا فإنه إذا دخل شخص عادي أحد مجالس الصوفية صعب عليه فهم ألفاظهم وإشاراتهم ، أما إذا دخل صوفي مجلسًا من مجالسهم فإنه يندمج بينهم ويفهم أقوالهم وكأنه يعرفهم من زمن بعيد ، ويعتبر هذا بالنسبة له جزءًا عاديًا وطبيعيًا ومألوفًا^(٢) .

واصطلاحات الصوفية ليست كغيرها من الاصطلاحات ؛ تخضع لمنطق العقل والنظر ، ولكنها « تفهم عن طريق الذوق والكشف . ولا يتأتى ذلك إلا لسالك يداوم على مخالفة الأهواء وتجنب الآثام والبعد عن الشهوات وإخلاص العبادات والسير في طريق الله بالرياضات والمجاهدات في الطاعات ، حتي تنكشف لهذا المرید الصادق غوامضها وتتجلى له معانيها ، فيتحلى بها كالجواهر الفريدة لا ينازعه في فهمها إلا من وصل إلى درجته أو تجاوزها من أقرانه وأساتذته في الطريق »^(٣) .

وهذا يعني أن المتصوفة في رياضاتهم ومجاهداتهم يتجاوزون حدي الحس

(١) ألفاظ الصوفية ومعانيها ، د . حسن الشرقاوي . ط ٢ . دار المعرفة الجامعية ، ص ٨ .
(٢) التعرف لمذاهب أهل التصوف ، أبو بكر محمد الكلاباذي ، ص ٨٨ . الرسالة القشيرية في علم التصوف ، أبو القاسم عبد الكريم القشيري ، تحقيق معروف زريق ، وعلي بلطجي . دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ٢٥/١ .

(٣) ألفاظ الصوفية ومعانيها ، ص ٥ .

والعقل ويبلغون حد الفناء الذي يمثل الوجه الآخر للاتحاد ، ويستقلون عن سائر العباد بعالم فريد ، يختلف عن عالم الناس العاديين في معالمة وأبعاده ، « ويعتبرون السبيل إليه أن يفنى الإنسان عن ما يدرك بالحس ، وعن ما يخطر بالعقل ، وعن كل فعل وكل شعور ، وأن يكون في حالة تأمل تصل به إلى حد تعطيل الحياة العقلية الواعية »^(١) . ويترتب على ذلك أن تكون معاني المفردات التي يعبرون بها عن مشاهداتهم ومعانيهم - وإن كانت هذه المفردات مما يتداوله عامة الناس - مختلفة عن معاني العامة ، ولا تخضع لمعايير العقل والمنطق ، في أبعادها وتطورها والعلاقات التي تربط بينهما ، والعلل التي توجهها .

إن الأبعاد الجديدة في التطور الدلالي التي تعكسها اصطلاحات الصوفية تتجلى في منهجهم في الكشف واكتساب المعرفة ، على نحو ما يوضحه الإمام الغزالي من ذلك إذ يقول : « علمت أن طريقهم تتم بعلم وعمل ، وكان حاصل علومهم قطع عقبات النفس ، والتتره عن أخلاقها المذمومة ، وصفاتها الخبيثة ، حتى يتوصل إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى ، وتحليته بذكر الله ... وكان العلم أيسر علي من العمل ... فظهر لي أن أخص خواصهم ما لا يمكن الوصول إليه بالتعليم ، بل بالذوق والحال تبدل الصفات . وكم من الفرق بين أن تعلم حد الصحة وحد الشيع وأسبابهما وشروطها ، وبين أن تكون صحيحًا وشبعان ، فعلمت يقينًا أنهم أرباب أحوال لا أصحاب أقوال »^(٢) .

فالفرق بين معرفة الصوفي ومعرفة العالم والمتكلم أن هذين يقفان عند

(١) التصوف : منشؤه ومصطلحاته ، د . أسعد السحمراني . ط ١ ، دار النفائس . بيروت ،

١٤٠٧ - ١٩٨٧ ، ص ٥٨ .

(٢) المنقذ من الضلال ، أبو حامد الغزالي ، تقديم فريد جبر ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٣٥ .

الحدود والتعريفات والمنطق والقياس ، بينما يعيش الصوفي حقيقة ما يقاس وما يعرف . « فحقيقة التصوف أن تغني حالك عن مقالك ... والمتصوفة هم الذين لا يشهد سوى الله أسرارهم ^(١) ... ولهم استعداد سام وإحساس مرهف ولهم وراء الاستعداد والإحساس عقل راجح ، ومن وراء العقل بصيرة نفاذة ، وعزم قوي وهداية موهوبة ، وإلهام لديني ^(٢) . ويجد المتصوفة في الآيات المتشابهة منهلاً يسعفهم في توليد اصطلاحاتهم ويفرهم بالتوسع في مدلولاتها إلى حد بعيد إذ نجد ألفاظاً في القرآن الكريم قد صرفت لمعان « باطنية » لا يصح بحال أن تُفسر بالمعنى الظاهري ، فما معنى وجه الله في قوله تعالى « فأينما تولوا فثم وجه الله » ؟ وما معنى الجوارح الواردة في الحديث القدسي : « ولا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها ... » . وجدير بالذكر أن الصوفية وجدوا في هذا الحديث مجالاً رحباً لمعاني الفناء ، فناء المخلوق في الخالق والمحبة في المحبوب ^(٣) ، فالسمع والبصر واللسان واليد وأفعالها هي مما يدرك بالحواس والعقل في حال نسبتها للإنسان ، أما إسنادها إلى الله عز وجل فذلك شأو بعيد ، تكلم في إدراكه الأفهام ، وتضمن في بلوغه الأجسام ، فهو القريب البعيد ، والمألوف الغريب ، كالسهل الممتنع من الأساليب .

إن الشفافية الصوفية ورقة الحجب التي تفصل ما بين الصوفي والحقيقة

(١) المدخل إلى التصوف ، السيد محمود أبو الفيض المتوفى ، الدار القومية ، القاهرة ، د . ت ، ص

٣٠ ، ٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) في التصوف الإسلامي ، ص ١٨ .

الكبرى تغنيانه عن حسه وعقله في إدراك ما حوله ، ذلك أن الإنسان يكون في حاجة إليهما لإدراك ما خفي من الأمور ، واستشعار ما وراء الحجب ، أما إذا لم يكن بينه وبين حقائق الأشياء حجاب ، أو كان هذا الحجاب غلالة تشف عما وراءها فإنه يستغني عن العقل والحس .

وقد تقرب الصورة أكثر ، ولكن دون تكافؤ ، فنشبه المسألة بمن عرف الغابة درسًا في كتاب أو حديثًا ألقى إليه ، ومن عرفها مشاهدة على شاشة الإذاعة المرئية ، ومن شاهدها عيانًا وتجوّل في أرجائها . فالأول استخدم اللفظ مقروءًا أو مسموعًا لإدراك المعنى ، والثاني أدركه ألوانًا متحركة ، أما الثالث فقد اتصل به دون وسيط من رمز أو تمثيل .

وكلما اعتلى الصوفي مقامًا توسعت إدراكاته ، وتفهم الأشياء بطريقة أشمل وأهم ، حتى إن تصرفاته لتبدو للشخص العادي شاذة وغريبة عما هو مأروف لنا جميعًا وعما اعتدنا عليه ، وربما ننسب ذلك إلى الهذيان والجنون^(١) .

ومن هنا نستطيع أن نقول : إن أبعاد التطور الدلالي التي تعكسها اصطلاحات الصوفية هي نمط جديد من الرمزية ما أشبهها بالسريالية التي لا يفهمها إلا صاحبها ولا يدرك حقيقتها إلا من تجرّد من حسه ، وتجاوز عقله إلى مراق أعلى وأسمى ، تتصل فيها النفس عبر شفافية الروح بحقائق الكون تاركة وراءها إدراك واقعه ومحسوسه إلى عقل العلماء وإحساس العامة ، وهذا يعني أننا لا نستطيع أن نفلسف اصطلاحاتهم ، ولا أن نخضعها لمقاييس التطور اللغوي

(١) ألفاظ الصوفية ومعانيها ، ص ٧ .

المعروفة بل تقتضي أن نبحث لها في جمعتنا عن مواصفات ومقاييس جديدة ، وذلك لأنها ليست نتاج عقل وحس ، بقدر ما هي حصاد روح وتجليات نفس مشرقة .

ونستعرض في ما يلي طائفة من الاصطلاحات لمعانيها في عرف المتصوفة وعند عامة الناس (المعنى اللغوي) ، لنعرف مدى الفرق بينهما ، فالسهر في اللغة هو عدم النوم ، ولكن عندهم عدم الغفلة ، أي أنه يكون في كل وقت ، بينما لا يكون السهر إلا ليلاً ، والمقصود بالغفلة أن تكون عن ذكر الله . والصمت في اللغة : ترك الكلام ، أما المعنى الصوفي فهو صمت الضمير عن جميع التفاصيل ^(١) .

والذهاب هو ما نعرفه ، بمعنى الانطلاق إلى جهة ما ، أو الموت على نحو ما نجده في قول أبي فراس عندما حضرته الوفاة : « كل الأنام إلى ذهاب » . ولكنه عند المتصوفة بمعنى المحبة الخالصة لله تعالى ، والفناء في ذاته نتيجة الانشغال ، وهو ثمرة من ثمرات العشق الإلهي ، وتحرر من المدركات الحسية ^(٢) . والحزن عند الصوفية حافز ييسر انتقال المرید الحزين من مقام إلى مقام أثناء رحلة المجاهدات والرياضات أسرع من المرید الذي فقد حزنه ، ويقال : إن ما يقطعه الحزين في شهر يقطعه غير الحزين في سنة ^(٣) . وهو أنين من القلب يمنع النفس من طلب السرور والطرب ، فهو إذن هم يجعل الصوفي دائم التفكير في حاله ... لا من أجل طلب من طلبات الدنيا ابتغاه ولم يتحقق ، ولا بسبب ابتلاء أو

(١) الرسالة القشيرية ، تحقيق د . عبد الحليم محمود ، ٢/ ٢٩٩ .

(٢) ألفاظ الصوفية ومعانيها ، ص ١٦٩ .

(٣) اللمع ، للسراج الطوسي ، ص ٣٧٢ .

مصيبة دنيوية أو لفقد مال أو أهل أو جاه^(١) ، كما هي الحال عند عامة الناس وعلى نحو ما تجده في المعاجم اللغوية .

ونقف على جانب عريض من المفارقات الدلالية - وهي تشبه الألفاظ - في أشعار المتصوفة ، فتبدو وكأنها تلاعب بالألفاظ ، وما هي بذلك ، ولكن للقوم معاني يفهمونها ، ويدرك مراميها العارفون .

والذكر عند الهروي هو : التخلص من الغفلة والنسيان . وهذا مخالف للتعريف المعجمي وللمعنى الاصطلاحي في الفقه الظاهري ، ولكن الهروي عبّر عن الذكر بزوال ضده ، ولم يذكر حقيقته^(٢) وما نراه فعل ذلك إلا لأنه يرى أن حدّ الذكر أوسع بكثير من أن يعبر عنه بتعريف جامع مانع يبين حده ، فذهب إلى التعريف السلبي بنفي النقيض .

واليقين في اللغة : العلم ، ونقيض الشك والجهل . ولكنه عند المتصوفة لمعان شتى ؛ فهو العلم المستودع في القلوب ، وهو قلة الاهتمام بالغد ، وهو شعبة من شعب الإيمان ، وهو تحقق الأسرار بأحكام المغيبات^(٣) .

وختامًا لهذا البحث ، نستطيع أن نستخلص النتائج والحقائق التالية .

١- اصطلاحات الصوفية مستمدة من المعجم اللغوي العام ، ولكن لدلالات ومعان غير التي يتداولها أهل العلوم الأخرى وعامة الناس .

٢- ومعظم تلك الاصطلاحات قرآني في أصله ، سواء كان بلفظه أم بمشتق

(١) ألفاظ الصوفية ومعانيها ، ص ١٤٢ .

(٢) دراسات في الفلسفة الدينية ، ص ٢٧٧ .

(٣) الرسالة القشيرية ، ص ١٧٩ .

منه ، وقد عمل المتصوفون على توليد الألفاظ على مذهب الفلاسفة والمتكلمة والفقهاء ، فهناك المصادر الاصطناعية كالخرية ، والعبودية ، والمصادر المطلقة كالحلول والفتاء والحزن ، والإشراق والكشف ، وهناك النسبة كالعلم اللدني ، ونحو ذلك .

٣- فهم اصطلاحات الصوفية رهين بفهم نظرية المعرفة عندهم ، وهو محال إدراكه إلا لمن حلق في أجوائهم ، وأخذ نفسه بالرياضة والمجاهدة ، وتجرد من طينه وعقله وحسه ، وذاق بقلبه ، وهذا يعني أن معانيهم لا تدرك بالعقل ولا بالحس ، ولكن بالقلب .

٤- المعروف أن التطور الذي يطرأ على دلالات بعض الألفاظ والاصطلاحات إنما يكون لعلاقات تربط بين الدلالة السابقة والدلالة اللاحقة ، مما يدرك بالعقل والحواس ، ولكننا - فيما يتعلق بألفاظ المتصوفة - نقف إزاء علاقات مختلفة لا تدرك بالعقل ولا بالحس ، وقد نشبه ذلك بخيط الجاذبية يربط بين الجاذب والمجذوب ، وبحبل من ليف يربط بين جسمين ... الأول مثال اللفظ ومعناه عند المتصوفة ، والثاني مثال ذلك عند أهل العقل والحس .

٥ - من هنا نستطيع أن نقرر أن اصطلاحاتهم ليست كسائر الاصطلاحات ، فهذه تفهم بالنظر العقلي والدرس ، أما تلك فلا سبيل إلى فهمها دون ممارسة التجربة الصوفية .

٦ - وأخيراً ، إن المعاني التي يصرف لها المتصوفة ألفاظهم تتضمن المعاني اللغوية الأصلية دون أن تكون مقصودة بتلك الألفاظ ، ما لم يكن الحديث موجهاً لعامة الناس ، وهذا يعني أن الصوفي يستخدم الألفاظ بمستويين

مختلفين : مستوى الخاصة من المتصوفة ، ومستوى العامة ، عامة الناس .

٧ - وأخرًا ، إن الأبعاد الدلالية الجديدة التي بلغتها اصطلاحات الصوفية تذهب في عكس الجهة التي يجتهد اللغويون في توجيه ألفاظ العربية صوبها ، فاللغويين ، وأهل العلوم يميلون إلى « ريشنة » اللغة ما كان ذلك ممكنًا ، وإلى أن تكون اللغة دقيقة في توصيل المعارف والعلوم على نحو متكافئ عند عامة الناس ، أما الصوفيون ، فإن مذهبهم في استخدام الألفاظ يعمل على إبهام معانيها ، لكن ليس عن قصد ، وإنما هي مقتضيات المعرفة الذوقية وذلك شأو بعيد ، لا يتأتى إلا لعارف بالله ؛ إنه مستوى من المعرفة مختلف جدًا ، ولا يخضع لنواميس العقل والحس ، ومن هنا كان النظر فيه مستحيلًا ، والتقاء العامة عليه أكثر استحالة ، وهذا يعني أن على الباحث في اصطلاحاتهم وتطورها الدلالي أن يكون متصوفًا ، يكتب للمتصوفين .

* * *

الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي

(الاجتماع الثاني)

الفهرس

المشاركون في الاجتماع

الافتاح :

- كلمة معالي أ . محمد المليي المدير العام للمنظمة ٢٢٣ - ٢٢٥
كلمة معالي د . عبد الله يوسف الغنيم
٢٢٧ ، ٢٢٨ وزير التربية والتعليم العالي - الكويت
كلمة د . محسن زهران مدير الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ٢٢٩ ، ٢٣٠

أوراق العمل :

الورقة الأولى : إنقاذ المخطوطات : المواقع والمسئوليات والوسائل

- ٢٣٣ - ٢٣٨ أ . فيصل عبد السلام الحفيان
الورقة الثانية : مشكلة الفهرسة : البحث عن حل
٢٣٩ - ٢٤٤ أ . عصام محمد الشنطي
الورقة الثالثة : إعداد الأجيال : المهمة الصعبة
٢٤٥ - ٢٤٨ د . أحمد فؤاد باشا
الورقة الرابعة : النشر : واقعه وأولوياته وتنظيم حركته
٢٤٩ - ٢٥٥ د . محمود محمد الطناحي

التقارير :

مخطوطات دار الكتب الوطنية بـ « أبو ظبي »

٢٥٩ - ٢٦١

أ . جمعة عبد الله القبيسي

مخطوطات دار الكتب الوطنية بتونس

٢٦٣ - ٢٩٠

د . جمعة شيخة

مكتبة القيروان العتيقة وسبل صيانتها

٢٩١ - ٣١٢

د . مراد الرماح

مجموعات المخطوطات بالجامعات السعودية

٣١٣ - ٣٢٠

علي علوي بافقيه

مخطوطات مكتبة الأسد الوطنية (دمشق)

٣٢١ - ٣٢٣

د . غسان اللحام

مخطوطات فلسطين

٣٢٥ - ٣٢٩

د . حمد أحمد عبد الله يوسف

المخطوطات في دار الكتب المصرية

٣٣١ - ٣٤١

د . محمود فهمي حجازي

مخطوطات الإسكندرية

٣٤٤ ، ٣٤٣

د . يوسف زيدان

نقائس خزانة القرويين بقاس

٣٤٩ - ٣٤٥

أ . محمد بن عبد العزيز الدباغ

المخطوطات في الجزائر

٣٧٤ - ٣٥١

د . عبد الكريم عوفي

مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت : جهوده ومخطوطاته

٣٧٨ - ٣٧٥

أ . محمد بن إبراهيم الشيباني

مركز بحوث ودراسات التراث في العلوم الطبيعية

٣٨١ - ٣٧٩

د . حامد عبد الرحيم عيد

٤٢٣ - ٣٨٣

تعقيبات ومناقشات

٤٣٤ - ٤٢٧

التوصيات

٤٣٨ ، ٤٣٧

كلمة الوفود ، د . جمعة شيخة

٤٤٦ - ٤٣٩

كلمة الختام ، د . أحمد يوسف أحمد محمد

٤٥٢ - ٤٤٧

اتجاهات الاجتماع ، أ . عصام محمد الشنطي

* * *

المشاركون في الاجتماع

الافتتاح :

- معالي الأستاذ محمد المليبي المدير العام للمنظمة .
- معالي الدكتور عبد الله يوسف الغنيم .
- د . محسن زهران مدير الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية .

أوراق العمل * :

- أ . فيصل عبد السلام الحفيان .
- أ . عصام محمد الشنطي .
- د . أحمد فؤاد باشا .
- د . محمود محمد الطناحي .

أعضاء الهيئة :

* الأردن :

- د . نوفان رجا ابنيه السوارية (القائم بأعمال مركز الوثائق والمخطوطات -
الجامعة الأردنية - عمان) .

• الأسماء رتبت على وفق دورها في نشاطات الاجتماع .

* الإمارات :

أ . جمعة عبد الله القبيسي (مدير دار الكتب الوطنية بالمجمع الثقافي - أبو ظبي) .

* تونس :

د . جمعة شيخة (مدير دار الكتب الوطنية - تونس) .

د . مراد الرماح (مدير الخبر الوطني لصيانة المخطوطات وترميمها بالقيروان) .

* السعودية :

د . عباس بن صالح طاشكندي (عميد شؤون المكتبات بجامعة الملك عبد العزيز - جدة) .

* سورية :

د . غسان اللحام (مدير عام مكتبة الأسد الوطنية - دمشق) .

* فلسطين :

د . حمد أحمد عبد الله يوسف (رئيس قسم إحياء التراث الإسلامي - بيت المقدس) .

* الكويت :

د . عبد الله يوسف الغنيم (وزير التربية والتعليم العالي) .

* مصر :

د . محمود فهمي حجازي (رئيس الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية) .

د محسن زهران (مدير الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية) .

*** المغرب :**

أ . محمد عبد العزيز الدباغ (محافظ خزانة القرويين - فاس) .

الأعضاء المراقبون :

د . أحمد نظيف (نائب رئيس اللجنة الاستشارية لرئاسة مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار - رئاسة مجلس الوزراء المصري) .

د . حامد عبد الرحيم عيد (مدير مركز بحوث ودراسات التراث في العلوم الطبيعية - كلية العلوم - جامعة القاهرة) .

د . عبد الكريم عوفي (معهد اللغة العربية وآدابها بجامعة باتنة - الجزائر) .

د . علي عبد المعطي محمد (مدير مركز التراث القومي والمخطوطات بجامعة الإسكندرية) .

أ . محمد بن إبراهيم الشيباني (رئيس مركز المخطوطات والتراث والوثائق - الكويت) .

د . محمد عبد الرحمن الربيع (وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لشؤون البحث العلمي - الرياض) .

د . هادي شريقي (أمين عام مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - لندن) .

أعضاء الهيئة الاستشارية :

أ . إبراهيم التريزي (أمين عام مجمع اللغة العربية بالقاهرة) .

د . أحمد فؤاد باشا (وكيل كلية العلوم لشؤون البيئة وخدمة المجتمع -

جامعة القاهرة) .

د . أيمن فؤاد سيد (مستشار الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية -
مصر) .

د . حسن الشافعي (عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ووكيل كلية دار
العلوم - جامعة القاهرة) .

د . عبد الستار الحلوجي (وكيل كلية الآداب - جامعة القاهرة) .

أ . عصام محمد الشنطي (مدير المعهد الثاني ، سابقاً) .

د . كمال البتانوني (الأستاذ بكلية العلوم - جامعة القاهرة) .

د . محمود علي مكي (عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والأستاذ بكلية
الأداب - جامعة القاهرة) .

د . محمود فهمي حجازي (رئيس الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق
القومية - مصر) .

د . محمود محمد الطناحي (رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب -
جامعة حلوان) .

د . يوسف زيدان (مستشار التراث والمخطوطات بالهيئة العامة لمكتبة
الإسكندرية) .

المعتذرون :

اعتذر عن عدم المشاركة في الاجتماع ، نظراً لارتباطات سابقة ، عدد من
المدعوين ، سواء من أعضاء الهيئة نفسها ، أو من الأعضاء المراقبين ، وهم :

-
- المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - عضو مراقب .
- د . أحمد شوقي بنين (محافظ الخزانة الحسنية - الرباط) - عضو الهيئة .
- د . خالد ماغوط (مدير معهد التراث العلمي العربي - جامعة حلب) -
عضو الهيئة .
- د . عبد الرحمن فرفور (نائب رئيس مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
بديبي) - عضو مراقب .
- د . عجلان العجلان (عميد شؤون المكتبات بجامعة الإمام محمد بن
سعود الإسلامية - الرياض) - عضو مراقب .

المعقبون وأصحاب المداخلات :

- د . عباس صالح طاشكندي .
- د . جمعة شيخة .
- أ . محمد عبد العزيز الدباغ .
- د . عبد الله يوسف الغنيم .
- أ . فيصل عبد السلام الحفيان .
- د . كمال البتانوني .
- د . محمد الزبيح .
- أ . عصام محمد الشنطي .
- د . نوفان رجا ابنيه السوارية .

* رتبت الأسماء على وفق ترتيب تعقيباتهم ومدخلاتهم في الاجتماع .

-
- د . هادي شريقي .
 - د . عبد الستار الحلوجي .
 - د . محمود محمد الطناحي .
 - د . غسان اللحام .
 - د . أيمن فؤاد سيد .
 - د . أحمد فؤاد باشا .
 - د . أحمد نظيف .
 - أ . محمد بن إبراهيم الشيباني .
 - د . عبد الكريم عوفي .
 - د . أحمد يوسف أحمد محمد .
 - د . يوسف زيدان .
 - د . محمود علي مكّي .
 - د . حامد عيد .

أمانة الاجتماع :

- أ . فيصل عبد السلام الحفيان .

* * *

الافتتاح

كلمة

أ . محمد المليبي المدير العام للمنظمة

لا أظنني في حاجة إلى أن أعرض لمسألة أهمية التراث ، وأنا أجلس بين صفوة من العلماء المعنيين بالمخطوطات ، ونخبة من المشتغلين بالتراث ، والمسؤولين عن مراكز المخطوطات في البلاد العربية ، بل إن مثل هذا الكلام سيكون من قبيل الفضول الذي لا فائدة فيه .

وفي المقابل فإني أجد في نفسي ميلاً قوياً إلى أن ألمس بسرعة مسألة هامة للغاية ، هي : علاقة التراث بالثقافة . ولا أشك - بداية - أنكم تتفقون معي في أن هذه العلاقة متينة للغاية ، وهي علاقة الجزء الأساسي بالكل ، وبخاصة في حالة تراثنا ، الذي يتسم بالموسوعية والغنى : الغنى في الكم ، والغنى في النوع والتنوع . إن ثمرة عقول أمة أعطت واجتهدت وأبدعت على مدى خمسة عشر قرناً أو تزيد ، لا بد أن تكون في حسابنا ونحن نبني ثقافة حاضرة فاعلة ، في عالم يمور بالحركة والجهد والعطاء ، ولا مكان فيه إلا لأمة تتحرك باستمرار ، وتبذل وتعطي ، في إيقاع سريع ، لا وقت فيه لالتقاط الأنفاس .

حضرات السادة :

بهذا المفهوم ، وبهذه الرؤية نظرت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى التراث ، وأفسحت له ضمن المحور الثاني من محاورها الرئيسية الأربعة في خطة عملها الحالية ، برنامجاً خاصاً تحت عنوان «إحياء التراث العربي الإسلامي ،

وصيانة معاملة التاريخية وعيونه . « وقد تنوعت هذه النشاطات ، لتشمل المؤتمرات والندوات ، والدراسات ، والتعريف به ، ونشر عيون منه ، بالإضافة إلى الدورات التدريبية والتأهيل ، والجوائز . وتقديم العون المادي والفني ... الخ .

وهذه الهيئة .. الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي ، ثمرة جديدة من ثمار اهتمام المنظمة بالتراث ، في أحد أشكاله ، شكل التراث المخطوط .

أيها السادة :

إذا كان التعاون والتنسيق في أي عمل ضرورة لا بد منه ، فإنه في مجال التراث عموماً ، والتراث المخطوط خصوصاً ، أكثر إلحاحاً ، وذلك لأسباب عدة ، منها :
- أن تراثنا المخطوط مبعثر في مناطق شتى داخل وطننا العربي ، مما يجعل مهمة خدمته مهمة صعبة ، ينوء بها العمل القطري . ولا تستطيع المراكز كلاً على حدة أن تؤدي واجبها كما ينبغي تجاهه .

- ومنها أن هذا التراث خرج أو أُخرج من وطنه ، وشرق وغرب ، فهو الآن يعيش في جزء كبير منه غريباً ، بعيداً عن متناول أيدي أبنائه . وإذا كان بعضهم يرى في ذلك خيراً ، ذلك أنهم حافظوا عليه ، ولم نحافظ عليه ، وصانوه ، ولم نصنّه ، فإن الأمر ليس بهذه البساطة ، لأن حياة التراث الحقيقية هي في حياته بيننا : درساً وإفادة وتأملاً وتوظيفاً في خدمة قضاياها وتأصيلاً لها .

أصحاب المعالي ، والسعادة ، الأساتذة العلماء ، رؤساء مراكز المخطوطات العربية :

إن الأمل كبير في هذه «الهيئة» التي جمعت بينكم ، والتي نهد معهد المخطوطات العربية ، الجهاز المتخصص الذي ندبته المنظمة العربية للتربية والثقافة

والعلوم لخدمة التراث العربي المخطوط إلى تشكيلها. والأمل كبير أيضاً في أن تكون نقطة بداية جديدة لعمل جاد مشمر، فمما لا شك فيه أنكم توافقونني على أن التعاون والتنسيق بين مراكز المخطوطات العربية غائبان، وهذا الغياب مؤشر خطير على خلل في العمل التراثي. ونحن بهذه الهيئة نحاول سدّ هذا الخلل، وملء الفراغ الكبير الموجود على الساحة التراثية.

لقد اطلعتُ على جدول الأعمال الذي أعدّه معهد المخطوطات العربية، وهو في رأبي جدول يثير مجموعة من القضايا الخطرة والخطيرة لتراثنا العربي المخطوط، وأظن أن آراءكم واقتراحاتكم ومداولاتكم التي ستم على مدى هذا اليوم واليوم التالي سوف تثري وتغني هذا الجدول، ولكنني أود أن أتوقف عند نقطة هامة، أرجو أن تحظى باهتمامكم، وهي أن لا تكون هذه المداولات هي آخر ما يربط بينكم من جهة، وبينكم وبين معهد المخطوطات العربية من جهة أخرى، لا بد أن يتواصل العمل، ويستمر الاتصال والتنسيق والتعاون حتى تؤدي التوصيات التي ستخرجون بها أكلها المأمولة. وإني على ثقة من صدق نواياكم وحماسكم وغيرتكم على القضية التي تؤلف بينكم.. قضية التراث.

واسمحوا لي أن أختتم كلمتي الموجزة هذه بما بدأت به، فأقول: إن ثقافتنا الحالية ينبغي أن تقوم على أساس مكين من التراث، وبدون هذا التراث تكون ثقافة هشة، لا ملامح لها، ولا خصوصية.

أرحب بكم أجمل ترحيب، وأتمنى لكم كل توفيق ونجاح، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

The first part of the paper is devoted to a general discussion of the problem. It is shown that the problem is well-posed in the sense of Hadamard. The second part is devoted to the construction of the solution. The third part is devoted to the study of the properties of the solution.

In the first part of the paper, we consider the problem of finding a function $u(x, y, z)$ which satisfies the Laplace equation $\Delta u = 0$ in the region V bounded by the surface S . The boundary conditions are given by $u = 0$ on S . The problem is well-posed in the sense of Hadamard.

In the second part of the paper, we construct the solution of the problem. We use the method of images. The third part of the paper is devoted to the study of the properties of the solution. We show that the solution is unique and that it depends continuously on the data.

In the fourth part of the paper, we study the properties of the solution. We show that the solution is unique and that it depends continuously on the data.

In the fifth part of the paper, we study the properties of the solution. We show that the solution is unique and that it depends continuously on the data.

كلمة

د . الغنيم وزير التربية والتعليم العالي (الكويت)

نجتمع اليوم من أجل التراث ، هذا الجزء الهام من ثقافتنا . الذي يدخل في صلب تكويننا وشخصيتنا الحضارية ، سواء في الماضي ، أو في الحاضر . وبه لا بد أن ندلف إلى المستقبل ، وبدونه تنطمس ملامحنا ، وتضيع هويتنا ، ونفقد وجوهنا وألستنا .

نجتمع اليوم بدعوة كريمة من معهد المخطوطات العربية ، هذا المعهد الذي شرفت بإدارته فترة من الزمن ، ولمست عن قرب خطر الدور ، الذي يقوم به ، في خدمة تراث الأمة ولغتها وتاريخها . واني لأعتقد جازماً أن هذا الجهاز القومي المنبثق عن المؤسسة القومية الأم (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) يقوم بعمل طيب ، ويتحمل مسؤولية كبرى ، في مختلف حقول العمل التراثي العربي ، ولا أظن أن بالإمكان الاستغناء عن هذا الدور ، أو التفريط فيه . وما هذه الهيئة التي تجتمع اليوم إلا ثمرة من ثمار الجهود التي يبذلها المعهد ، وتُحسب له ، فيثقل بها ميزانه ، ويتأكد بها أهميته .

إننا نؤمن إيماناً عميقاً بأهمية التراث العربي المخطوط ، ونؤمن بضرورته وحميته من أجل تحقيق نهضة عربية شاملة على الأصعدة المختلفة . ولكن ما نعلقه عليه من آمال ، وما نطمح إليه من غايات ، سيظل مجرد أحلام إذا لم نعمل معاً يدًا واحدة ، ولم نسر في اتجاه واحد . وهذا هو الهدف

الرئيس من هذا الاجتماع .

إن الوصول إلى الغايات ، وتحقيق الأهداف السامية التي نعمل من أجلها ، زهقٌ بما قلت ، ولاشك أننا في سباق مع الزمن ، في هذا العالم المحموم الذي لا يأبه إلا بالعاملين ، ولن يكون لنا مكان في هذا السباق أصلاً إلا بـ «التعاون» و «التنسيق» ، فدعونا نختصر الزمن ، ونركب وسائل العصر .

أيها السادة

الأمانة صعبة ، والمسؤولية ثقيلة ، وقد رضينا بتحملها ، فهل تؤدي هذه الأمانة حَقَّها ؟ إن المخطوطات العربية منتشرة في مختلف أنحاء العالم ، والأخطار التي تتهددها كثيرة ومتنوعة . وإن المواجهة تحتاج إلى إيمان بخطر التراث أولاً ، وإلى صبر وجلد ثانياً ، وإلى إمكانيات علمية ومادية ثالثاً ، وفقدان واحد من هذه العناصر يعني خللاً في العمل ، وعرقلة في الجهود ، وتأجيلاً لتحقيق الأحلام .

وأختتم كلمتي الموجزة هذه بالتأكيد على أن جزءاً لا بأس به من هذه المسؤولية ملقى على عاتق المعهد الذي جمعنا ، وبالتأكيد أيضاً على أننا شركاؤه في هذه الأمانة ، وأول واجبات هذه الشراكة الخيرة ، أن نقدم له العون مادياً ومعنوياً ، ونتعاون معه ، وفيما بيننا ، حتى يصبح العمل من أجل التراث سلسلة متصلة ، تأخذ حلقاتها بعضها ببعض ، في قوة .

لقد اطلعت على جدول أعمال الاجتماع ، فرأيت جدولاً حافلاً ، وعملاً كثيراً ، ولكن الأهم هو ما بعد الاجتماع ، فنحن نود أن نكون بعد الاجتماع أكثر اتصالاً . وأقوى تنسيقاً ، وأشد تعاوناً وارتباطاً .

وفقكم الله ، وسدد على طريق الخير خطاكم ، والسلام عليكم ورحمة الله .

* * *

كلمة

د . محسن زهران مدير « مكتبة الإسكندرية »*

تحية إليكم من مكتبة الإسكندرية التي تخطو اليوم خطواتها العملاقة خارجة من تحت ركام السنين ، كطائر الفينيق العملاق ، يُبعث من تحت الرماد .

وقد جعلت مكتبة الإسكندرية - وهي تعود للوجود مرة أخرى - سمات المكتبة القديمة ، نصب العين . لذا نهتم اليوم اهتماماً بالغاً بالتراث وتاريخ العلوم ، كما اهتم بهما القدماء . فتنهض المكتبة حالياً بعدة مشروعات تراثية للعناية بالمخطوطات : فهرسة وتصنيفاً وترميمياً ، على أن يتبع ذلك مرحلة « التحقيق » فيما بعد .

لقد بدأت ثمار مشروعاتنا التراثية تظهر للنور ، بالإضافة إلى كتاب (نواذر المخطوطات بمكتبة بلدية الإسكندرية) الذي أصدرته مكتبة الإسكندرية قبل عام ونصف عام ، تصدر عن المكتبة خلال أيام قليلة الأعمال الآتية :

- فهرس المخطوطات العلمية بمكتبة بلدية الإسكندرية .

- فهرس مخطوطات التصوف بمكتبة أبي العباس المرسي .

- بدائع المخطوطات القرآنية بالإسكندرية .

ولسوف نحرض أن تصلكم نسخ من هذه الأعمال فور صدورها ، وذلك

• اعتذر عن عدم الحضور .

في إطار ما نتمناه من التعاون المثمر بين مكتبة الإسكندرية ومكباتكم .
وتتمنى المكتبة لهذا الملتقى الراقى ، بين هذه النخبة الممتازة ، أن يحقق
الأهداف المرجوة منه ، وينجح في التنسيق بين المكتبات الكبرى في العالم ،
خاصةً في ميدان التراث والمخطوطات ، الذي يحتاج بالفعل لمثل هذا التنسيق ،
برعاية معهد المخطوطات العربية الذي يسعى دوماً لهذه المهمة الكبرى ، وهي
التنسيق بين الجهات العاملة في حقل التراث .

ولا يفوتني هنا أن أنوّه بالجهد الكبير الذي بذله معهد المخطوطات العربية ،
طيلة العقود الماضية ، وهو التعاون المثمر بين المعهد والمكتبة ، الذي نتمنى أن يمتد
دوماً .

وأخيراً ، نرجو أن تتحقق أمنية المكتبة ، وهي أن تتواصل القنوات بينها وبين
مكباتكم ، في كافة المجالات : تبادل الخبرات والمطبوعات ، التنسيق ، اللقاءات
الفكرية ، وغير ذلك من ميادين التعاون المثمر .

مرةً أخرى ، أرجو للقائكم هذا أن يؤتي ثماره .
والله ولي التوفيق .

* * *

أوراق العمل

إنقاذ المخطوطات :

المواقع والمسئوليات والوسائل

أ . فيصل عبد السلام الحفيان *

إنقاذ تراثنا المخطوط قضية « ساخنة » حقاً، إذا جاز التعبير، « ساخنة » لأن هذا التراث يعيش أوضاعاً سيئة، في مناطق كثيرة داخل وطننا العربي وخارجه، بل إن جزءاً كبيراً منه يلفظ أنفاسه مختنقاً بهموم السياسة ونيران الحروب واسباب الإهمال والنسيان .

والحقّ أنني أتناول هذه القضية، ليس في صورة بحث، أو تشخيص لمشكلاتها وهمومها، فلست لهذا أهلاً، وليس هذا هو هدف الورقة المتواضعة هذه، بل إنني أعرض القضية في صورة أسئلة أو تساؤلات تهدف إلى إثارة النقاش، وطرح الرؤى المختلفة والمتباينة، وصولاً إلى تصورٍ مشترك، يجمع بين مراكز المخطوطات العربية، ويوحد خطتها، وينسّق عملها، إسراراً في الاتجاه نحو الغاية، واختصاراً للوقت والجهد والمال .

وهذه مناسبة لأؤكد أن المعهد قد شكّل هذه « الهيئة » الموقرة، ليتسمع منها، أكثر مما يُسمعها، ولذلك فإنه عندما فكّر في طرح أوراق عمل ضمن جلسات الهيئة، لم يكن القصد أن يطرح رؤى أو تصورات، بقدر ما كان

* تخصصي بالمعهد .

القصد أن يُذكي النقاش ، حتى تكون ما تُسفر عنه اجتماعات هذه الهيئة ، هو نتاج آرائكم واقتراحاتكم وأفكاركم . ولهذا جاء عنوان الورقة : المواقع والمسئوليات والوسائل . وبلغة التساؤلات : « أين » ، « من » ، « وكيف » : أين هي المواقع ، ومن يتحمل المسؤولية ، وكيف يتم الإنقاذ ؟

وبداية فإن المقصود بـ« الإنقاذ » هنا هو الإنقاذ المادي ، بمعنى إنقاذ المخطوطات المبعثرة في كل مكان داخل بلادنا العربية ، وخارجها ، من الأوضاع السيئة التي تعاني منها ، والتي هي نتاج لظروف مختلفة ، ليس هذا موطن الدخول في تفصيلاتها . الواقع الذي لايراء فيه أن التراث المخطوط في عدد لا بأس به من البلاد العربية يوضع في أماكن ، وضمن ظروف تخزينية غير سليمة ، مما يؤثر فيه ، ويسرع في إتلافه . وهذا الواقع موجودٌ أيضاً في بلدان غير عربية ، بسبب ظروف خاصة تعيشها ، فكأنَّ هذا التراث « المسكين » يعيش بين مطرقة أبنائه ، وسندان غربته .

المواقع :

بعد هذا أقول : تُرى هل نملك نحن أو أتمم خريطة واضحة المعالم لتراثنا المخطوط ؛ لمواقعهم عموماً ، ولمواقعهم التي تحتاج إلى إنقاذ سريع خصوصاً ؟ هذا مع العلم أن تضاريس هذا التراث متباينة تبايناً شديداً ، وأوضاعه مختلفة اختلافاً بيننا ومثل هذه الخريطة ضرورة لا بد منها ، وخطوة أولى للتحرك الجاد باتجاه « الإنقاذ » .

هل توافقونني - حضراتكم - على أن الخريطة المطلوبة ينبغي أن تتضمن

الإشارة إلى عدد من مجموعات المناطق « الساخنة » التي ينبغي أن تحظى باهتمام سريع وعاجل .. وما رأيكم في القول بأن هذه المناطق يمكن تصنيفها إلى مجموعات على النحو التالي :

- مناطق أكثر حاجة ، وتلك هي التي لا تجدها اهتماماً ، بسبب عدم توفر الإمكانيات المادية ، وأظن أن منها : اليمن ، وموريتانيا .

- ومناطق أكثر غنى : كماً ونوعاً وتنوعاً ، مثل : تركيا ، والهند ، واليمن أيضاً .

- ومناطق أخرى ، ذات ظروف خاصة ؛ سياسية ، واقتصادية ، سواء داخل الدائرة العربية أو خارجها . ومنها : فلسطين ، والبوسنة والهرسك ، والجمهوريات الإسلامية التي استقلت مؤخراً عن الاتحاد السوفيتي .

- ومناطق مجهولة . وهذه لا تزال بدون أبعديات ، فهناك مناطق ، هي في إطار المعرفة الحالية ، معدودة مناطق فقيرة في المخطوطات ، وقد تكشف الخريطة المطلوبة أنها ليست كذلك .

المسئوليات :

بعد ذلك تعالوا - حضراتكم - ننتقل إلى المسئوليات : من يحمل الأمانة ؟ وعلى من تقع المسئولية ؟ وما هو نصيب كل طرف من هذه المسئولية ؟
لنتفق - إن رأيتم - على أن حجم المسئولية كبير ، وأن كلاً منا منفرداً لن يقوم به ..

ولنتفق - إن شئتم - على أن المساحة التي يشغلها هذا التراث واسعة ، كما سلف القول .

وبناء على هذا الاتفاق ، فإنني أظن أن المسؤولية ينبغي أن تتحرك في ثلاث دوائر :

- الدائرة القطرية .

- الدائرة القومية .

- الدائرة العالمية .

أما الدائرة الأولى ، فالمسؤولية فيها أساساً على الجهات المعنية في البلاد العربية ، والمعهد على استعداد للإسهام فيها ، في إطار الإمكانيات الممنوحة له .
وأما الدائرة الثانية ، فالمسؤولية فيها أساساً على المعهد ، بوصفه الجهاز القومي المتخصص الذي ندبته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ليكون مسئولاً عن خدمة التراث القومي ، وفي هذه الدائرة يكون التعاون مطلوباً من مراكز المخطوطات العربية ، التي تملك الإمكانيات ، سواء المادية ، أو المعنوية .
وما قيل عن هذه الدائرة ، ينطبق على الدائرة الثالثة .

وليس من قبيل الاستطراد هنا أن أشير إلى أن المعهد قد تَبَيَّن في دورته الحالية (٩٦/٩٥) مشروعاً تحت اسم «إنقاذ المكتبات العربية المعرضة للتلف» .
ومما يؤسف له حقاً أن هذا المشروع هو المشروع الوحيد الذي لم يتمكن المعهد من تنفيذه ! لا لشيء سوى أن الجهات المعنية في البلاد العربية ، لم تستجب للمراسلات التي قام بها المعهد ، ولم ترشح أي مكتبة للإنقاذ ، والجهة أو الجهتان

اللتان رشحتا ، تراجعنا ، فهل مكتبات المخطوطات في بلادنا العربية جميعاً في أحسن حال؟!

الوسائل :

وأخيراً : ماذا عن الوسائل ؟

أظن بدءاً أنه لا بد من الانطلاق من الجزء إلى الكل ، فلتبدأ كل بلد عربية بمخطوطاتها ، وليبدأ كل مركز بما لديه .

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن ساحة التراث المخطوط خالية أو تكاد من التشريعات والقوانين ، ونعيد إلى الذاكرة في هذا المجال « القانون النموذجي لحماية المخطوطات في البلاد العربية » الذي صاغه المعهد ، وأقره وزراء الثقافة العرب في مؤتمرهم السادس ، عام ١٩٨٧ . ويبقى السؤال : هل عمل بهذا القانون في كل الدول العربية ، أم أن المخطوطة مازالت نوعاً من الأثر ، يتم التعامل معه من خلال قوانين الآثار ، دون وضع خصوصية المخطوطة في الحسبان ؟

والتشريعات وسيلة أو خط ، لا بد أن ترافقه خطوط أخرى ، منها :

- تصوير مخطوطاتنا ، في أي وعاء من أوعية التصوير الحديثة ، وبهذا الوعاء الجديد نتيحها للباحثين ، وبذلك نتخلص من مشكلة الحفظ والإتاحة : الحفظ يبعد المخطوطة عن الأيدي ، و« العلم » ينبغي أن يكون مبدولاً ، حتى تتحقق الاستفادة منه .

- فتح أبواب خزائن المخطوطات أمام المعهد، فمكتبة المعهد، هي مكتبة كل البلاد العربية، والمعهد هو - كما سلف - الجهاز القومي، المنوط به، الحفاظ على التراث المخطوط. وهنا أود أن أشير بكل أسف إلى أن المعهد قد فشل في إيفاد بعثة تصوير منذ عودته إلى القاهرة، واستثناؤه عمله فيها، مع بدايات عام ١٩٩١! علماً بأنه لا يوجد سبب مفهوم لذلك.

- تبادل المصورات بين مراكز المخطوطات وبعضها من ناحية، وبينها وبين المعهد من ناحية أخرى، فلا بد أن يكون هناك خط مفتوح، يتم من خلاله تبادل المصورات. إننا بذلك نحفظ مخطوطاتنا، ونسهّل عمل المحققين والدارسين.

- تنظيم الدورات التدريبية الفنية على ترميم المخطوطات وصيانتها وحفظها. وقد نجح المعهد في تنظيم دورتين على مدى السنتين: الحالية والسابقة، بالتعاون مع مكتبة الأسد الوطنية، في دمشق، بالجمهورية العربية السورية.

إن تنظيم مثل هذه الدورات يجب أن يكون سمة عامة من سمات عمل مراكز المخطوطات، وبخاصة المراكز الكبيرة، التي تتمتع بالإمكانات، فنحن الآن في أمس الحاجة إلى إعداد أجيال من المرمرين.

تلك إشارات ومضات خاطفة، نختمها بالقول: إن المعهد متفائل بكم، ومتفائل بهذه «الهيئة»، وكله أمل أن يكون هذا اللقاء بداية لوضع استراتيجية متكاملة لإنقاذ التراث العربي المخطوط: تحدد المواقع، وتستنفر الهمم، وتغني الوسائل، في سبيل خدمة قضيتنا المشتركة: قضية التراث.

* * *

مشكلة الفهرسة :

البحث عن حل

أ. عصام محمد الشَّنْطِي*

للمخطوط العربية المبعثرة في أنحاء شتى من العالم مسائل عديدة ، أصبحت - بازاء عدم مواجهتها المواجهة المطلوبة ، معضلات مستعصية تحتاج إلى اهتمام أكثر ، ورعاية أكرم .

وأول هذه المسائل صيانة هذه المخطوطات في كل مكان ، بمعالجتها وحمايتها من التلف ، وترميم ما تلف منها . ويسير مع هذا العبء الضخم عبء مثله ، وهو التعجيل بتصوير هذه المخطوطات للاحتفاظ بما فيها من علم وفكر ، لأن المخطوطة مهددة باليلى والفناء في كل حين .

ويؤازري هذين الخطين ، خط ثالث ، وهو التعريف بالمخطوطات ، بفهرستها والكشف عنها ووصفها توصيفاً أساسياً يُعين العلماء والباحثين على اختيار ما ينفعهم ، وعلى النسخ المتميزة منها ، لتحقيقها ودارستها والإفادة مما فيها من علم ، وتحديد دور العرب الحضاري من بين الحضارات الإنسانية جمعاء .

ولا نتصور فداحة هذه المسألة ، إلا إذا علمنا أن ما فُهرس من المخطوطات

* مدير المعهد الثاني ، سابقاً .

العربية، المقدرة بوضع ملايين، لا يزيد على ثلثها.

ويكفي أن أذكر أن المعهد الذي يمتلك نحو ثلاثين ألف مخطوطة مصورة، جناها في نصف قرن، لم يُصدر من الفهارس المطبوعة إلا ما يصف ثلث هذا القدر. وأنه ليس في ميزانيته السنوية أكثر من إصدار جزء واحد من الفهارس. ولم يُصدر إلا تسعة عشر جزءاً. وإني أتساءل: متى يمكن لهذا المعهد أن يكشف عن محصولة بالتوصيف الكافي في فهارس مطبوعة، ليعين العلماء والباحثين في الحصول على طلبتهم؟

والحق أن المعهد يُعين على إصدار فهارس مخطوطات أصلية لم تفهرس من قبل، بمنح المفهرس مكافأة مناسبة، ويتولى المعهد طباعة هذه الأجزاء. وقد أصدر من هذا الباب عشرة فهارس، تكشف عن محتويات بعض مكنتات في إيطاليا وفرنسا وتركيا والمغرب والعراق والسعودية وسورية ومصر. ولديه في ميزانيته ما يُخرج في العام جزءاً واحداً.

لقد ضربتُ المعهد مثلاً على عمق هذه المسألة وفداحتها. وإني لا أنكر أن بعض المؤسسات أخذت في السنين الأخيرة تُعين على إصدار الفهارس، ولو أحصيناها لوجدناها لا تتجاوز جهد المقلّ بإزاء هذه الملايين في المكنتات العامة والخاصة.

إني أضع هذه المسألة أمام المسئولين عن المخطوطات في الوطن العربي، ليتدارسوا الأمر ويتحاوروا وينتهوا إلى وضع خطة قومية، يُسهم فيها كلُّ بنصيب. ولتكن هذه الخطة واضحة، وأزمانها محددة، وتفصيلاتها ظاهرة للعيان.

لقد قلت ويقول غيري : إنَّ الحلَّ في خِطَّة قومية شاملة مُحكَّمة . والاقترح سهل ، وأوعر منه التنفيذ ، ولا بد أن يبيِّن ما معنى هذه الخِطَّة ، وما تفصيلاتها ، وكم نفقاتها ، ومَن تمويلها ، ومَن يتولَّها . كلُّ هذه تساؤلات مطروحة أمام هيئتكم الموقرة للبحث والدرس ، والانتهاء إلى حلِّ ناجع .

ثم ما شأن المخطوطات العربية في غير الأوطان العربية ، الإسلامية منها ، والأجنبية ؟ وحجذا بهذه المناسبة - لو تطوَّرت فكرة هذه الهيئة لتسع إلى بعض المسئولين عن المراكز الإسلامية والأجنبية مَن لديهم كثيرٌ منها ، لم يَنْظِمها فهارسٌ وصفية منشورة .

والمسألة الثانية أنه ينبغي أن نكشف عن السبب الرئيسي الذي أدى إلى النقص في فهرسة معظم المخطوطات العربية ، على النحو الذي عرضناه بإيجاز قبل قليل . ذلك أن فهرسة المخطوطات مهنةٌ صعبة ، تحتاج إلى شباب يَنظرون أنفسهم لهذا العمل ، ويصبرون عليه ، ويؤدِّونه بعزم وجلْد ، يلحقهما التدريب والخبرة ، وسعة الثقافة التراثية .

إنَّ الطائفة التي نشترها بأثمانٍ باهظة ، أنفسٌ منها وأكثرُ كلفة تدريب الطَّيَّار الذي يُحسنُ قيادتها . وهذا الحال هو حال المخطوطة ، نفسيةٌ هي دون شك ، ولكن لا يقلُّ عن نفاستها إعدادُ المفهرس الممتاز .

لقد اهتم المعهد بعقد دورات تدريبية على الفهرسة وما يتصل بالتراث من مسائل أخرى كالتحقيق وغيره ، عددها سبعُ دورات ، على مدى أعوام عدَّة ، تكلفت ألاف الدولارات ، ونجح المعهد في تدريب بعضهم ، ولم يستفد بعضهم من هذا التدريب ؛ لأنَّ دَوْلَهُمْ لم توجِّههم إلى فهرسة المخطوطات التي لديها ، ولم تنتفع بما حصلوا من علمٍ وخبرة .

ولا أزعم إلا حقاً، حين أقول: إن الوطن العربي لا يتمتع بقدر كافٍ من مفهرسي المخطوطات الأكفاء، وإن هذه الدورات وغيرها لم توفر جيلاً، أو أجيالاً كافية للقيام بما ينتظرهم من عبء على نحو ما ذكرنا. ولا أذيع سراً أن المعهد نفسه لم يستطع أن يكون رعيلاً من المفهرسين يخدم مخطوطاته المصوّرة، ويطوف بالمكتبات والمراكز في العواصم ليدرّب على الفهرسة.

وهكذا يتضح أن الاعتماد على دورة تدريبية واحدة يعقدها المعهد في كل عام، أو عامين، كما تقضي ميزانيته لا تفي بالحاجة. ولعل تدارسكم ومناقشاتكم تؤدي إلى تعاون بئاء، من شأنه أن يرّبي أجيالاً من المفهرسين. ولعله من المفيد أيضاً أن أقترح أسلوباً جديداً للتدريب، ليس بديلاً عن الدورات، وهو أن يتدب المعهد خبيراً في الفهرسة يُرسله إلى مركز من مراكز المخطوطات ليدرّب على الفهرسة أبناءً يتمون إلى المركز، لا يقلّون عن خمسة، لمدة لا تقلّ عن شهرين، يتعلّمون فيها الفهرسة على المخطوطات، واستخدام أدواتها ومصادرها ومطائنها، وتوسيع معارفهم بالمحاضرة في تراث العرب عامة، مما يعينهم على هذا العمل. على أن تتكرر مثل هذه التجربة. ولا أزعم أن في هذا - مع الدورات - حلاً شافياً، ولكنه بالتأكيد أكثر فائدة، وأقلّ نفقات، وأسرّع نتائج، وأضمنُ حصيلّة.

وثالثة الأثافي متعلقة بالمنهج الذي يُتبّع في الفهرسة. فكلنا نعلم أن منهج الفهرسة لا يخرج عن طرق ثلاثة. الأول الذي يأخذ شكل القوائم، تُنجز - في الغالب - على عجل، يضعها غير ذي خبرة، فتخرج ناقصة المعلومات، نادرة الأوصاف، لا تُبرز تميز نسخة عن أخرى، فضلاً عن كثرة الأخطاء في تسمية المخطوطة، أو في نسبتها إلى مصنفها. وأجترئ من الأمثلة بما عاناه العلماء

والباحثون من سجلات وقوائم مخطوطات مكتبات استانبول بتركيا، ومن معلوماتها المتبصرة والمضلة في آن واحد .

وفي الطرف الثاني الفهرسة التحليلية التي يصاحب وصفها للمخطوطة تفصيلاً في مادتها مما تحويه أبوابها وفصولها، وذكر عناصر هذه المادة، عنصراً عنصراً، وبيان موقع كل عنصر من أوراقها وصفحاتها . ويحتاج هذا المنهج، لكل مخطوطة إلى صفحات طوال، والمجموعة من المخطوطات إلى مجلدات . ولا شك في أن الكشف عن مادة المخطوطات بهذه التفصيلات مفيداً للغاية، ولكن بإزاء تكدس المخطوطات غير المفهرسة بالألوف، وما تحتاجه من جهد كبير، مع نقص في المفهرسين، ونفقات عالية في طباعة هذه المجلدات، كل هذا لا يشجّع على اتباع هذه الطريقة، في هذه المرحلة بالذات .

يقتى الوسط بين الطرفين، وهي الطريقة الوصفية المعتدلة التي توفر المعلومات الأساسية عن المخطوطة بعد تمحيص وتوثيق، وشيئاً من التوصيف المفيد الذي يكشف عمّا يُميّز هذه النسخة عن تلك، دون إيجاز مُخلّ ولا تطويل مُملّ .

إن هذه المدارس في الفهرسة، ليست من الخيال، بل موجودة على ظهر الواقع، وصدر في كل لون منها أجزاء عن مراكز ومؤسسات متخصصة، وهي بالتالي توضح إيجابياتها وسلبياتها .

وأترك للهيئة الموقرة بعد المناقشة والمداولة اتخاذ توصية مناسبة بهذا الشأن، مع الاهتمام بوضع بطاقة نموذجية موحدة يعتمدها المعهد ويوزعها على كل مكتبة ومركز ومفهرس للأخذ بها واتباع نظامها وعناصرها، وبهذا ينتهي ما نحن فيه من فوضى واضطراب، من جزاء التراجع بين منهج ومنهج .

وأحسب أنه من المشروعات المساعدة للفهرسة، وضع استبيان يُعمَّم في جميع أنحاء العالم، ومتابعته وملاحقته، تمهيداً لوضع كتاب متجدد يُطبع كلُّ بضع سنين، يبيِّن أماكن المخطوطات العربية، بذكر اسم المكتبة (أو المركز)، عامة وخاصة، وعنوانها، وعدد ما لديها من مخطوطات عربية، أو مصورات منها، وعدد أجزاء فهرسها المطبوعة، والمنهج المتَّبَع فيها، وعدد ما تصفه هذه الفهارس، وغير ذلك من المعلومات التي تدور حول نفائسها؛ وبهذا يُعين هذا الإحصاء على إنجاز فهرسة المخطوطات. إنني أضع هذا الأمر أمام هيئتك الموقرة للتدارس والتباحث، والوصول إلى توصية مناسبة.

وختاماً، فإنني لا أُغفل أهمية جهاز الكمبيوتر (الحاسوب) في الفهرسة، وما يمكن أن يُقدِّمه هذا الجهاز من فوائد في هذا المجال. وأنا لستُ ضده، بل من دُعائه. ولكنَّ يَنسى كثيرون أن هذه الآلة الصَّماء لا تنطق إلا بما يُغذِّيها العقلُ البشري مما يَنجزه من معلومات. بمعنى أن هذا الجهاز لا يُلغِي الحاجة إلى مفهرسين حَذَقَةٍ مدْرِّين، لينجزوا المادةَ اللازمة لتوصيف المخطوطات.

ثمَّ إن النفع من هذا الجهاز حين يُغذَّى، سيكون محلياً حيث يوجد هذا الجهاز، ولا يشيِّع النفع به إلا إذا عُمِّم نظام ما يسمى Inter. Net بين المدن والمدن، والأقطارِ والأقطار، بل عبَّر القارات.

وإلى أن يأتي هذا الزمن، وهو غيرُ قريب في بلادنا فيما أظن، لا بدَّ من طبع هذه الفهارس ونشرها.

* * *

إعداد الأجيال :

المهمة الصعبة

د . أحمد فؤاد باشا

ربما يكون من المفيد أن نقدّم لعنوان هذه الورقة نبذة عن مظاهر الاهتمام العالمي بالقضايا التراثية، لتتعرف على نصيب التراث العربي من هذا الاهتمام، وندرك من خلال ذلك حجم وأهمية الدور المطلوب أدائه، فيما يتعلق بإعداد أجيال قادرة على التعامل مع المخطوطات وفق منهجية متكاملة، واضحة المعالم والأهداف.

وسوف أقتصر في ضرب الأمثلة على ما يشهده عصرنا من اهتمام زائد بقضايا التراث العلمي والتقني، على وجه الخصوص، حيث نجد نشاطاً منظماً على مستوى العالم يهدف إلى إحياء الأعمال الكاملة لكبار العلماء، على اعتبار أنه مسئولية دولية تستوجب الرعاية والتعاون من جميع الدول، بما فيها بلدان العالم الثالث. وقد حدث أن لجأت الهيئات المسؤولة عن نشر الأعمال الكاملة لـ «برنوللي» إلى تدعيم جهودها عن طريق الاكتاب، ويجرى في الوقت الحالي إعداد طبعة جديدة لهذه الأعمال من خلال التعاون بين أكثر من سبع دول، سوف تصدر تباعاً في نحو خمسة وأربعين مجلداً. كذلك أمكن إصدار مجموعة الأعمال الكاملة للعالم المتميز «أويلر» عن طريق الاستعانة بإمكانات

• وكيل كلية العلوم لشئون البيئة وتنمية المجتمع - جامعة القاهرة .

ست دول ، بالرغم من أن قاعدة العمل كانت تقع جغرافياً في سويسرا . وقد بدأت الولايات المتحدة الأمريكية في تبني هذا الاتجاه لإحياء أعمال العديد من العلماء أمثال جاليليو في إيطاليا ، ونيوتن في إنجلترا ، وجاوس في ألمانيا ، وديكارت ولابلاس ولاجرانج في فرنسا ، وغيرهم .

ولا ينبغي أن يُدهش المرء لطول الوقت الذي يستغرقه إنجاز مثل هذه المشروعات الحضارية ، فقد استغرق إصدار أعمال عالم الرياضيات « كوشي » أكثر من خمسين سنة .

لكن ما يستوجب الدهشة والعجب بحق هو التحيز الواضح لتراث العلماء الغربيين دون غيرهم ، والسعي إلى تأكيد مقولة زائفة تقضي بأن العلم لا يمكن إلا أن يكون غربياً . وهذا يجب أن يقابله جهد مكثف من جانب أصحاب الحضارات المختلفة ، وخاصة أصحاب الحضارة العربية الإسلامية الزاهرة التي ظل علماءها الرواد لأكثر من ثمانية قرون طوال ، يشقون على العالم علماً وقتاً وأدباً ، ولا نعرف اليوم شيئاً عن أغلب مؤلفاتهم ومخطوطاتهم المفقودة ، أو التي لا تزال بكرة في مظانها المختلفة ، تنتظر من يتولى البحث عنها وإحيائها ، لتحظى من جموع الباحثين في العالم بدراسات تحليلية معاصرة .

وتنقلنا هذه المقدمة السريعة إلى الحديث عن أهمية صياغة منهجية متكاملة للتعامل مع التراث العربي ، وهي قضية تحتاج إلى ندوة خاصة يقدم فيها علماء الوطن العربي المتخصصون بحوثهم وخبراتهم ويصبح الأمر بعد ذلك متوقفاً على مدى الإعداد الجيد لأجيال الباحثين ذوي الكفاءة العالية .

وهنا أعود مرة أخرى إلى التركيز على التراث العلمي والتقني ، نظراً لأن

تناوله ليس بالأمر الهين إذا ما قورن بالتعامل مع جوانب التراث الأخرى من فنون وآداب وغيرها، فإن ما يُعدّ استثناء في الأدب مثلاً، وهو اكتشاف نص هام مجهول، هو القاعدة في حالة العلم، حيث إن التزر اليسير من الأعمال العلمية التراثية هو فقط ما أمكن العثور عليه. ثم إن النصوص العلمية - حتى إن وجدت - تشكل صعوبة بالغة عند قراءتها ومحاولة فهمها من أجل تحقيقها وتقديمها للباحثين المعاصرين، حيث يتعذر الوصول إلى الاكتشافات العلمية المهمة والتقاطها من ثنايا السطور في المخطوطات التي كتبها مؤلفوها بأيديهم، أو أعاد نسخها من جاء بعدهم. وعلى أية حال لن نحل مثل هذه الصعوبات دون بذل أقصى الجهود لتجميع أكبر قدر ممكن من كنوز التراث العلمي، وإن كان ما تم جمعه حتى الآن لا يبلّ ظمأ الذين يسعون إلى فهم أعمق لتاريخ العلم والحضارة.

المهمة - كما نرى - صعبة وخطيرة، ويحتاج أداؤها إلى أولى العزم من الباحثين والقادرين على امتداد الوطن العربي. ويمكن تنشيط هذه الجهود محلياً وقومياً عن طريق:

١- دورات تدريبية متخصصة في علم المخطوطات.

٢- مسابقات في تحقيق التراث (وتجدد الإشارة هنا إلى الكتاب الفائز هذا العام بالجائزة العربية في تحقيق التراث، التي أعلن عنها معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وهو كتاب «إنباط المياه الخفية، للكرجي»، تحقيق ودراسة الباحثة بغداد عبد المنعم، وموضوعه يعتبر تأصيلاً لهندسة المياه الجوفية التي استخدمها الأجداد لحل مشكلة المياه، وهي المشكلة التي تشكو منها حالياً دول كثيرة، ويتوقع أن تزداد حدتها في المستقبل القريب).

٣- حث الأقسام والمراكز العلمية الأكاديمية في جامعات العالم العربي على رعاية علم المخطوطات ، وتشجيع الباحثين فيه لضمان تواصل الأجيال المجيدة للأعمال التراثية .

٤- توفير الدعم المالي ، والإفادة من التقنيات المتقدمة .

وهذا طبعاً على سبيل المثال لا الحصر . والموضوع - كما نرى - متعدد الجوانب ، ويحتاج إلى تبادل الآراء البناءة ، والمناقشات المثمرة ، حتى يتبلور لنا المنهج الأمثل في تحقيق التراث ورعايته .

والله أسأل أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم ، وهو وليّ التوفيق .

* * *

النشر :

واقعه وألوياته وتنظيم حركته

د . محمود محمد الطناحي*

قد أتى على الناس حين من الدهر لم يكن بين أيديهم من الكتاب العربي المطبوع إلا ما أخرجته المطابع الأهلية الخاصة، وقد تراوحت مطبوعات هذه المطابع الخاصة ما بين كتاب صغير، إلى كتاب ذي جزعين وثلاثة، إلى كتاب موسوعي ذي أجزاء كبيرة، على نحو ما رأينا في مطبوعات الحلبي، والخانجي، ومحمد منير الدمشقي، وحسام الدين القدسي.

وكانت مطبعة بولاق العتيقة أولى الهيئات الحكومية التي عنيت بإخراج الكتاب العربي على نحو واسع شامل، وقد تدافعت مطبوعاتها من الكتب الموسوعية كالسيل الهادر، مما هو معروف في تاريخها. ولم يكن في منهج مطبعة بولاق أن تتحسس حاجة الشوق، أو تليي رغبات الاتجاهات المذهبية أو الفكرية الخاصة، بل امتد نشاطها ليشمل فروع التراث العربي كلها، على نحو ما بسطته في كتابي: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، والكتاب المطبوع بمصر في القرن التاسع عشر.

وتروح أيام ونجىء أيام، وتتسع حركة نشر الكتاب العربي اتساعاً ظاهراً،

* رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة حلوان .

نتيجة لانكشاف أمر المخطوطات : وصفاً ومكاناً . وكان معهد المخطوطات الذي أنشئ عام ١٩٤٦م ، تابعاً للأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، أول هيئة عربية تسعى لجمع أكبر عدد ممكن عن صور المخطوطات القيمة النادرة المبعثرة في العالم ، وقد فهرس المعهد صور هذه المخطوطات ، ووضعها تحت أيدي الباحثين والمحققين فكانت زاداً طيباً فتح آفاقاً رحبة للدارسين والناشرين .

لكن حركة نشر الكتاب التراثي وإن كانت قد اتسعت كما قلت ، فإنها قد خضعت في غالب أمرها لمزاج الناشر الخاص ، الذي هو تاجر بالدرجة الأولى ، يبحث عن مواطن الربح ، ويتجنب مزالق الخسارة ، فوضع عينه على الكتاب الجمهوري ، ثم مدَّ بصره إلى مناطق التوزيع والتسويق ، فهذا الكتاب يروج في البلد الفلاني ، وذلك يلبي حاجة البلد الفلاني ، وهي أهداف وقتية ترفع وتنخفض ، وتبسط وتقبض ، ومن هنا كانت الحاجة إلى الهيئات العلمية ، تدخل بنظرتها الواسعة الشمولية في نشر الكتاب العربي ، مستهدفة خدمة العلم ، تاركة خلفها موازين الربح والخسارة . وكانت أولى هذه الهيئات مجامع اللغة العربية في دمشق والقاهرة وبغداد ، فكثرت مطبوعاتها العالية الموثقة ، وإن غلب عليها أحياناً طابع اللغة والأدب . ثم معهد المخطوطات الذي نجتمع اليوم في رحابه ، وقد كان من أهداف إنشائه : « نشر الكتب القيمة والضخمة التي لا يستطيع الناشر ونشرها وحدهم » ، وفي ذلك الطريق نشر المعهد « شرح السير الكبير » للسرخسي (خمسة أجزاء) ، و« مختار الأغاني » لابن منظور (ثمانية أجزاء) بالتعاون مع الهيئة المصرية للكتاب ، و« المُحكَّم في اللغة » لابن سيده (سبعة أجزاء) بالتعاون مع مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ونشر منه هذا العام الجزء الثامن .

وفي العقود الثلاثة الأخيرة قامت حركة ضخمة لنشر التراث العربي في دول

الخليج العربي ، التي جعلت مما أفاء الله عليها من ثروات البترول نصيباً مفروضاً لنشر الكتاب العربي وإذاعته ، ووكلت أمر تحقيقه إلى صفوة من كبار المحققين في ذلك الزمان . وكانت أولى هذه الهيئات العلمية وزارة الإرشاد والأنباء بالكويت التي سميت فيما بعد وزارة الإعلام ، فقد أخرجت منذ أوائل الستينات الميلادية كتباً ذوات عدد ، اختارتها بعناية وبصيرة ، ثم وزارة الأوقاف ، وشعبة التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت أيضاً . ثم ألفت المملكة العربية السعودية بدلوها في الدلاء ، فنشرت قدراً طيباً من الكتاب العربي من خلال مراكزها العلمية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، والجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية . وفي العقد الأخير دخلت هيئتان عربيتان ميدان نشر التراث : أولاهما : المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) ، والثانية : مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدمبي . وهذه الهيئات العربية في سعيها لنشر التراث العربي تجبر النقص الذي يسيّم أعمال الناشر الخاص ، من حيث نظرتها الشمولية لفروع التراث ، وعدم النظر إلى الكسب المادي . على أن ما يعيب نشاط هذه الهيئات هو ضيق مجال توزيع الكتاب وعدم انتشاره ، حيث يتجه معظم ما تطبعه إلى الإهداء ، مما يحرم القارئ العربي من ثمار هذه المطبوعات .

ومع هذه الجهد المحمود لهيئات النشر في الوطن العربي ، في اتساع النظرة وشمول الرؤية ، فلا زالت هناك آثار للمزاج الشخصي في توجيه حركة النشر ، وآية ذلك غياب بعض فنون التراث من دائرة النشر ، مثل مخطوطات الفقه وأصوله ، وعلى سبيل المثال فلا يزال كتاب « نهاية المطلب في دراية المذهب » لإمام الحرمين الجويني مخطوطاً ، وكذلك كتاب « بحر المذهب » للروائي ،

وكلاهما من عمد الشافعية، وفي علم القراءات لا زال أوسع مرجع فيه مخطوطاً، وهو كتاب «لطائف الإشارات لفنون القراءات» للسلافي، وفي علم النحو يطمع أهل العلم أن يروا كتاب أبي حيان: «التذيل والتكميل في شرح التسهيل» مطبوعاً. وقل مثل هذا في كثير من مخطوطات الطب العربي والفلك والفلاحة وسائر العلوم الكونية التي لا يقبل عليها الناشرون لقلة العائد المادي منها، وإن كان قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة بالكويت قد نشر شيئاً من ذلك - وبخاصة كتاب «الناظر» للحسن بن الهيثم، وكذلك معهد المخطوطات، ومعهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب. فهذه أولويات في طريق نشر الكتاب العربي، ينبغي على الهيئات العلمية العربية أن تصرف لهم إليها، مستعينة بخبرة معهد المخطوطات وذخائره، وصلاته بمراكز المخطوطات في العالم ليهيئ لها أصول هذه الكتب.

ومن وجهة نظري: لا بد لهذه الهيئات بعد أن تهيئ الكتاب للنشر أن تدخل معها أحد الناشرين المشهورين شريكاً، ليتولى مهمة إنجاز الطبع، ثم التسويق والتوزيع، فإن الناشرين أخبر بذلك وأدرى من غيرهم، وعلى سبيل المثال فإن كتاب «الحكم» في اللغة لابن سيده، أصدر معهد المخطوطات الجزء الأول منه عام ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م، ثم أصدر الجزء الثامن منه هذا العام ١٩٩٦م، وبقي منه أربعة أجزاء، فهذه ثمانية وثلاثون سنة، ما بين صدور الجزء الأول وصدور الجزء الثامن، فلو تولّى أمره أحد الناشرين شريكاً للمعهد لما أخذ أكثر من سنتين.

على أن لي في قضية نشر التراث الآن رأياً - وبخاصة في الكتب الموسوعة ذات الأجزاء الكبار - ولنضرب مثلاً بكتاب موسوعي كبير مثل «عيون

التواريخ» لابن شاكر الكتبي، كم من الوقت يأخذ لو أخرجناه محققاً مطبوعاً؟ إن المستشرق الألماني هلموث ريتز قد أصدر الجزء الأول من كتاب «الوافي بالوفيات» للصفدي بإستانبول سنة ١٩٣١م، ثم صور منه الجزء الرابع والعشرون عام ١٩٩٣م، وبقي منه نحو خمسة أجزاء، فالرأي عندي في نشر هذه الأعمال الموسوعية أن نخرجها مصورة، بعد أن نختار لها أصولاً مخطوطة جيدة، ثم نجري عليها بعض الإصلاحات قبل دفعها للتصوير، مستفيدين من التقدم العلمي، في المحافظة على الألوان الأصلية وثباتها، وقد سلك هذا السبيل، ووفق فيه إلى حد كبير الدكتور / محمد فؤاد سزجين، وأخرج من ذلك: «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»، لابن فضل الله العمري (٢٧ مجلداً)، و«بغية الطلب في تاريخ حلب»، لابن العديم (٨ أجزاء)، ثم أخرج أيضاً بهذا الأسلوب: «أعيان العصر وأعوان النصر»، لصلاح الدين الصفدي، و«منتهى الطلب» لابن ميمون.

فماذا علينا لو أننا اخترنا بعض المخطوطات الموسوعية، وأخرجناها مصورة على هذا النحو، مع ترجمة للمؤلف في صور الكتاب، مشفوعة بحديث عن قيمة الكتاب وموضعه في الفن الذي يعالجه: تأثيراً وتأثيراً، ثم ختمنا بطائفة من الفهارس الفنية الكاشفة؟

على أن إخراج المخطوطات مصورة وإتاحتها لجمهور القراء قد بدأ منذ زمن بعيد، ولعل أول ما عرف من ذلك ما قامت به لجنة جب التذكارية، حين أخرجت كتاب «الأنساب» لأبي سعد السمعاني، مصوراً بالزنكوغراف، عن مخطوطة المتحف البريطاني، في مجلد ضخم (١٢١٦) صفحة كبيرة بخط دقيق، وفي صدره مقدمة بالإنجليزية للمستشرق مرجليوث - ليدن ١٩١٢م.

ومن ذلك كتاب « المنازل والديار » للأمير أسامة بن منقذ ، أخرجه معهد الشعوب الآسيوية بموسكو عام ١٩٦١ م مصوراً عن نسخة مكتوبة بخط المؤلف نفسه - وهو خط مليح جيد - فرغ من نسخها عام ٥٦٨ هـ ، والنسخة من مقتنيات معهد الشعوب الآسيوية ببلينجراد .

ونشر هذا الكتاب « المنازل والديار » عن نسخة بخط المؤلف نفسه ، تدعوني إلى أولويات أخرى في النشر ، وهو توجيه النظر إلى تلك المخطوطات التي ثبت أنها بخطوط مؤلفيها ، وإخراجها إلى الناس مصورة ، على المنهج الذي أشرت إليه من قبل ، ومعلوم أن أعلى النسخ وأغلاها هي النسخة التي خطها المؤلف ، حتى ولو كانت مسودة ، فإننا لا نأمن تغيير النسخ أو غفلة المحققين ، وبخاصة ضعفة زماننا منهم ، ومن تجاربي الخاصة في نسخ المخطوطات وتحقيقها وقراءة أعمال الآخرين ، رأيت عجائب من ذلك ، وقد كان يحلو لي - في أوقات الفراغ - أن أنظر في تلك الكتب التي نشرت عن أصول بخطوط مؤلفيها ، ثم أقابل بين ما نشر منها محققاً وبين تلك النسخ الأصلية فيما يتاح لي منها ، فأرى فروقاً غير يسيرة . وفي خزانة معهد المخطوطات غير مخطوطة بأقلام مؤلفيها ، ومنها ما صوّرته بنفسي حين كنت أخرج في بعثات المعهد ، ومن ذلك : « ميزان الاعتدال » للحافظ الذهبي ، مسودة بخطه ، في الخزانة العامة بالرباط ، و« المصباح المنير » للفيومي ، نسختان مسودتان بخطه : إحداهما بالخزانة الملكية بالرباط ، والثانية بمكتبة عارف بالمدينة النبوية . فالرأي أن تنشر مثل هذه المخطوطات مصورة .

وفي هذا الطريق أيضاً ، أرى نشر تلك المخطوطات التي تحمل سمات خطوط العصور وتطورها ، مثل بعض مخطوطات القرون : الرابع والخامس

والسادس والسابع، وبخاصة منها خطوط العلماء: من سماعات وإجازات وتملكات وتقييدات، كذلك يقترح هنا نشر بعض المخطوطات مصورة لقيمتها الفنية، مثل بعض نسخ مقامات الحريري المزخرقة، وحماسة أبي تمام، و«الشفاء» للقاضي عياض الذي تأتق الخطاطون في كتابه لشرف المکتوب فيه عليه السلام، وكذلك دواوين الشعراء المقلين التي كتبها أعلام الخطاطين، مثل علي بن هلال المعروف بابن البواب، وياقوت المستعصي، ويستعان في ذلك كله بتلك النماذج الرائعة التي أثبت نماذج منها الدكتور صلاح الدين المنجد في «الكتاب العربي المخطوط» الذي صدر عن معهد المخطوطات عام ١٩٦٠م، وكذلك يُستعان بما أثبتته العلامة خير الدين الزركلي من صور نادرة لخطوط العلماء المؤلفين وغيرهم في أعقاب تراجمهم، في كتابه الفذ: «الأعلام».

أما ما يقال عن تنظيم حركة نشر التراث، فهو كلام جيد ومطلوب، ولكن لا سبيل إلى تحقيقه، فالسيطرة على جهات النشر متعذرة، ومنع الازدواجية في النشر مستحيلة، وقد حاول معهد المخطوطات أن يضبط حركة النشر، وأن يكون حلقة اتصال بين المحققين وناشري الكتب حتى لا يدخل بعضهم على بعض، وذلك من خلال نشرة أخبار التراث العربي، الذي بدأ في إصدارها منذ عشرين عاماً، ولكن مساعيه لم تؤت ثمارها، لأن الصلة منفكة بين العاملين في نشر التراث، وكل في فلك يسبحون.

إن الأمانى في نشر التراث واسعة، والآمال فيها حوله عريضة، ولكننا لا نقترح إلا ما هو متاح وميسور. والله هو المستعان، وإليه تصير الأمور.

* * *

التقارير

مخطوطات دار الكتب الوطنية بـ « أبو ظبي »

١. جمعة عبد الله القبيسي

النشأة والأهداف :

يُعدُّ قسم المخطوطات ومصوّراتها في دار الكتب الوطنية - المجمع الثقافي - أبو ظبي ، قسماً حديث النشأة إذا ما قيس إلى لداته من الأقسام ، فقد أخذ شكله الرسمي عام ١٩٨٨ ، حين امتدت أهداف المجمع الثقافي وأغراضه إلى أن يوفر للنشاط الفكري ، والإنتاج الأدبي والعلمي ، حاجته من المراجع والكتب والمخطوطات والدوريات ، التي تمثل كافة فروع المعرفة الإنسانية ، وتيسير استفادة الباحثين والمراجعين منها .

وتحقق هذا الغرض بإنشاء دار الكتب الوطنية التي تحتوي على المقروء والمسموع ، والمسموع المرئي . ولم تكتمل تلك الأهداف إلا بإنشاء قسم المخطوطات ومصوّراتها .

ويشغل القسم حيزاً واسعاً من مقر دار الكتب الوطنية في الطابق الأرضي منها ، مكوّناً من قاعة مطالعة ، ومكاتب العاملين فيها ، ومخزن لحفظ المخطوطات وصيانتها وفقاً لشرائط معينة ، ومن ثم إعدادها لتكون بين يدي الباحثين والمراجعين والعلماء المتخصصين تمهيداً لتحقيقها ودراستها ونشرها .

• مدير الدار - المجمع الثقافي في (أبو ظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة) .

وقد جُهِّزت القاعة بالوسائل التقنية الحديثة اللازمة لقراءة المخطوطات ومصوِّراتها، مثل قارئ أشرطة (الميكروفيلم)، وقارئ رقائق (المايكروفيش)، ومكبيّرات لقراءة ما غمض، أو أبيهم، من نصوص المخطوطات، إضافة إلى أهم الفهارس والمصادر والمراجع المتعلقة بهذا العلم، وكتب التراجم والكشافات والمعاجم اللازمة للمحقق والدارس.

المخطوطات وموضوعاتها:

أما ما حواه هذا القسم من المخطوطات والمصوِّرات فهي من حيث الكم قرابة أربعة آلاف عنوان، ما بين رسالة ذات ورقات، ومخطوطات ذات مجلدات.

وتغطي هذه المخطوطات مختلف العلوم والثقافات التي جال فيها العلماء العرب المسلمون، من علوم القرآن: تفسيره، وقرآته، وتجويده، ورسمه؛ ومن علوم الحديث: متنه، وسنده، ومصطلحه، وعلم رجاله؛ ومن اللغة العربية: نحوها، وصرفها، وبلاغتها، وعروضها، وآدابها؛ وعلم العقائد وأصول الدين، وكذا الفلسفة والمنطق، والحكمة، وعلم الجدل، وآداب البحث والمناظرة، والتصوف؛ ومن الرياضيات وعلوم الهيئة: الحساب والجبر والهندسة والمثلثات، والفلك وعلم الميقات، وكذا الطب بنوعيه البشري والبيطري، والصيدلة، والأدوية مفردا ومركبا، ومن النبات وعلم الفلاحة.

ومن بين هذه المخطوطات والمصوِّرات، ما هو نادر ونفيس، في موضوعه، أو شكله، أو بخط مؤلفه، أو ندرة نسخه، وغير ذلك من مقاييس الندرة والنفاسة.

كما أنه يوجد لدى القسم قرابة خمسين مصحفاً شريفاً كتبت بخطوط متنوعة، بين النسخي والفارسي والمغربي. ويرجع تاريخ نسخها إلى ما بين

القرنين الحادي عشر والثالث عشر الهجريين . وهي ذات زخارف رائعة بماء الذهب ، والألوان المتنوعة .

الجهود المبذولة :

على الرغم من حداثة نشأته فقد قام القسم بما يلي :

١- العمل على فهرسة ما لديه من مخطوطات أصلية ، ليتبعها بفهرسة المصوّرات وعددها يفوق المخطوطات الأصلية . وقد أنجز القسم حتى الآن إصدار الجزء الأول والثاني من فهارس مخطوطاته وقارب على الانتهاء من إعداد الجزء الثالث ، وذلك لتوزيعه على الجهات والأشخاص المهتمين بشؤون هذه الثروة العلمية .

٢- يقدم القسم كل المساعدة للباحثين من العلماء وأساتذة الجامعات وطلابها الجادين في تحقيق ونشر المخطوطات ... وهو يستقبل العديد منهم ، خاصة الذين يعملون على إنجاز رسائل (الماجستير) و (الدكتوراه) ، ويقدم لهم كل الخدمات المتاحة في هذا المجال .

٣- يعمل القسم جاهداً على إيجاد الصلات العلمية ، والروابط الثقافية ما بينه وبين الجهات والمؤسسات التي تعنى بشؤون المخطوطات ، وذلك على المستويين الرسمي والفردي ، بتبادل المعلومات ، وتبادل المخطوطات المصورة (مايكروفيلمية أو مايكروفيش) إهداءً أو شراءً . وفي هذا تحقيق لأهم الأهداف التي أنشئ القسم من أجلها ، وهو تجميع هذه الثروة ما أمكن ، إن لم يكن أصولاً ، فمصورات ، وحفظها ، وبالتالي العمل على تحقيقها ودراستها ونشرها .

* * *

مخطوطات دار الكتب الوطنية بتونس

د . جمعة شيخة*

إن الحديث عن تاريخ المخطوطات بتونس ، هو حديثٌ عن تاريخ الحضارة ومنارات العلم بإفريقية بصفة عامة . ولكن بدا لبعض الباحثين^(١) . أن يُزججوا مسألة الخطاطة والمخطوطات إلى عصور عابرة كالعصر الفنيقي والروماني والبيزنطي ، فإننا سنتنصر على تناول الفترة العربية الإسلامية ، أي منذ فتح إفريقية في منتصف القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) إلى العصر الحديث .

لقد بدأ الإشعاع الثقافي للدين الجديد برُبوع إفريقية منذ أن أسست القيروان ، واستقر الفاتحون الجدد بها . وكان من أوكد الواجبات على هؤلاء الفاتحين هو نشر المبادئ الإسلامية في الوسط البربري المتعطش إليها . فشيدت المساجد والرباطات لتكون إلى جانب دورها التعبدية ، منارات علمية تشع على كامل منطقة شمال إفريقيا ، وجزء لا يستهان به من إفريقيا السوداء ، وتصدر العلماء والفقهاء للتدريس ضمن حلقات تخرّج فيها عديد النوابغ وجهابذة الفكر .

ومنذ القرن الثاني للهجرة ، أصبحت القيروان أول عاصمة للعلم والثقافة بالمنطقة ، يقصدها المتعطشون للمعرفة مشرقاً ومغرباً ، وقد نوّهت المصادر

* مدير الدار .

(١) مثل عثمان الكعك في مقالة له بعنوان : «الوساطة في الخطاطة» ، نشر بمجلة الباحث عدد ٣٠٩ سبتمبر - أكتوبر ١٩٤٧ ص ١ ، ١١ ، ١٩ .

التاريخية بولع الكثير من الأمراء بالعلم وأدوات المعرفة وتشجيعهم عليها ، على غرار الأمير الأغلب إبراهيم الثاني المتوفى سنة (٢٨٩هـ / ٩٠١م) .

وقد ذكرت المصادر نفسها أيضاً اعتناء الفاطميين بالعلم والتعليم واهتمام الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ، في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) بالجدل والمناظرة ، الأمر الذي فجر المواهب ، ودعاها إلى الإنتاج ، فتعددت التأليف وكثرت المصنفات .

أما الدولة الصنهاجية فإنها سارت على نفس النهج الذي سار عليه الأغلبية والفاطميون ، بحكم طموحها للاستقلال عن الخلافة المركزية بالقاهرة ، فحرصت على الأخذ بأسباب العلم والمعرفة ، وأعدت للمدرسة المالكية سالف نشاطها ، وشجع أمراؤها النشأخ والوراقين والكتّاب على التدوين والتأليف في شتى الميادين . وقد عرف هذا المدّ ذروته مع المعز بن باديس الصنهاجي (المتوفى سنة ٤٠٤هـ / ١٠٦٢م) الذي أجزل العطاء للعلماء واحتضن طالبي العلم وأحسن إليهم . يؤكد ذلك مجموع الرقوق الموجودة الآن بمتحف رقادة التي ينص أحدها على تحبب لفاطمة حاضنة المعز بن باديس ، على الجامع العتيق بالقيروان ، يعود تاريخه إلى سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م . وأصبحت الإمارة الصنهاجية الفتية التي أعلنت استقلالها عن الخلافة الفاطمية ، بغزو الهلاليين القادمين من صعيد مصر إلى القيروان (سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م) بتحريض وإغراء من المستنصر العبيدي ، فنهبوا وأفسدوا وخرّبوا . ولئن كان لهذه الغزوة من إيجابيات ، زيادة على تعريب البلاد ، فهو بروز مراكز ثقافية متعددة بإفريقية حاولت أن تواصل الدور الحضاري الذي لعبته القيروان مدة ثلاثة قرون .

ولما ظهرت الدولة الحفصية أدرك ملوكها قيمة العلم والمعرفة، فدعموا سلطانهم بزيادة عدد خزائن الكتب، وتنافس الملوك والأمراء في ذلك، واهتم عدد منهم اهتماماً بالغاً بجمع ومدّ المكتبات الخاصة الزاخرة بالرقوق والمخطوطات. وأول من عُرف بذلك السلطان أبو زكريا الأكبر (ت سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) مؤسس الدولة الحفصية. ولا نعلم من خبير مكتبته إلا ما ذكره أبو محمد عبد الله التجاني في رحلته أثناء ترجمته للحسن معمر الهواري الطرابلسي، الذي كان تولى في مدة أبي زكريا، ومن بعده ابنه المستنصر بالله (ت ٦٧٥هـ / ١٢٧٧م) خطة العلامة الكبرى والنظر في خزائن الكتب. يقول التجاني: «... فأمره بالنظر في خزانة الكتب، وسئل عنها حين كانت نظره أولاً، فذكر أنها كانت ثلاثين ألف سيفر، وأنه آخَر عنها، ثم أُعيد إليها^(١) فوجدها عشرين ألف سيفر، وأنه الآن اختبرها فوجدها تقصر عن ستة آلاف^(٢). فسئل عن موجب ذلك، فقال: المطر وأيدي البشر»^(٣).

ثم جددت الخزانة الحفصية بعد ذلك، وتمَّ تحديثها على يدي أبي فارس عبد العزيز، إذ أنشأ سنة ٧٩٧هـ / ١٣٩٤م خزانة كتب ضخمة اشتملت على أمهات الكتب في فنون مختلفة، لتيسير الانتفاع بها لدى عموم الطلبة، مشروطاً منع إخراج الكتب من الجامع الأعظم. وقد جعل لهذه المكتبة قِيَمِينَ لمناولة الكتب بها، ولنفض الغبار عنها، كما حدد وقتاً للمطالعة فيما بين أذان الظهر

(١) كان ذلك سنة ٦٦٩هـ / ١٢٧٠م. المرجع السابق.

(٢) عزل منها ثانية، ثم تولاهما ثالثة سنة ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م.

(٣) الرحلة ص ٢٧٦ (المطبعة الرسمية تونس ١٩٥٨).

وصلاة العصر من كل يوم . وقد جهزت هذه المكتبات بأنجع أدوات التسجيل والضبط من فهارس ونظام إعارة وطرق تداول المخطوطات والاستفادة منها .

وامتدت العناية وتواصل الاهتمام بالمكتبات والمخطوطات مع الدولة الحسينية التي عُرِفَ لديها الوعي بهذه المسألة نقله نوعية ، لاسيما قبيل حلول الاستعمار في عهد الوزير المصلح خير الدين باشا ، الذي حث على إنشاء المكتبات وتدعيمها واستصدر التشريعات المنظمة للقطاع المكتبي ، وأهدى مكتبته الثرية بالمخطوطات لجامع الزيتونة المعمور ، إيماناً منه بأهمية المكتبات في تنمية الوعي الوطني ، وتنشيط الحركة العلمية والثقافية بالبلاد . ولا عجب في الأمر بالنسبة إلى خير الدين فقد اهتم بعناية فائقة في كتابه الشهير المستمى «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك»^(١) . بظاهرة المكتبات وأعجب « بما حققته الدول الأوروبية خصوصاً فرنسا في هذا الصدد ... » .

ثم تطور الاهتمام بمسائل التراث من مجرد وعي عند رواد الإصلاح في القرن الماضي إلى مستوى سياسة متكاملة في فترة الاستقلال ، وبالتحديد منذ سنة ١٩٥٦ لما أصبحت السيادة الوطنية بأيدي تونسية ، فعملت على إزالة بصمات المسخ والتهميش التي ألحقها الاستعمار بالثقافة الوطنية . وقامت بجمع شتات التراث وصيانه وإبراز كنوزه والتعريف به حتى يمكن الاستفادة منه واستغلاله وتوظيفه ضمن المجهودات التنموية .

في هذا الإطار بالذات يمكن التنويه بالحظ الذي ناله التراث الوطني

(١) «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» لخير الدين باشا التونسي ، تونس . المطبعة الرسمية .

المخطوط، والإشادة بالإجراءات القانونية لجمعه وحفظه. لقد كانت هذه الثروة قبل الاستقلال لا تخضع إلى رؤية واضحة وعمل بناء، بل - على العكس - كانت مصدر نهب واستنزاف لمصالح أجنبية.

وأبرز ما يمكن ذكره من إجراءات في هذا المجال ثلاث مسائل:

* الأمر عدد ٢٩٦ لسنة ١٩٦٧ .

* قرارات سنة ١٩٨٨ الثقافية .

* التجربة الجديدة مع القطاع الخاص .

أ- الأمر عدد ٢٩٦ لسنة ١٩٦٧ المؤرخ في ٧ سبتمبر ١٩٦٧ والمتعلق بجمع المخطوطات^(١):

من المعلوم أن الثروة الوطنية المخطوطة كانت مشتتة بعدة جهات: منها ما هو مُجس على مؤسسات التعليم الديني كجامع الزيتونة، ومنها ما هو موجود في الزوايا والمساجد والأضرحة وغيرها... فجاء الأمر عدد ٢٩٦ لسنة ١٩٦٧ يعكس وعي السياسة الوطنية بالمسألة وحرصها على تطوير الأوضاع وبلورة وسائل جديدة ناجمة. لذلك نص الأمر المذكور أولاً على «أن كافة المخطوطات الموجودة في الزوايا والمساجد ومختلف مكتبات الدولة التونسية يقع جمعها في دار الكتب الوطنية التونسية التي تتولى المحافظة عليها» (الفصل عدد ١). وتم

(١) راجع الرائد الرسمي للجمهورية التونسية الصادر في ٨ - ١٢ سبتمبر ١٩٦٧ . ص ٤ .

بمقتضى هذا النص تجميع كل المخطوطات المتوفرة بالمساجد والمكتبات والمعالم التي ازدهرت خلال العصور الذهبية للثقافة والحضارة العربية الإسلامية بإفريقية خاصة، والمغرب العربي والأندلس بصفة عامة. تُشير منها بالخصوص إلى رصيد المكتبة القيروانية العتيقة (ق ٥٣ / م٩)، ورصيد المكتبة العبدلية (ق ١٠ / م١٦)، ورصيد المكتبة الأحمدية (ق ١٢ / م١٩)، وعدة أرصدة أخرى كرصيد «الخلدونية» الجمعية الثقافية المعروفة في مطلع هذا القرن.

ب- القرارات الثقافية لسنة ١٩٨٨ :

ثم تواصلت العناية بقضية التراث مع العهد الجديد، فأصبحت الثقافة بكل أبعادها تخضع لتصور أكثر شمولية وأبلغ عمقاً، ولم تعد الثقافة بعد التحول البعد الأقل حظاً في العمل التنموي، وإنما صارت رافداً أساسياً من الروافد التنموية، واتخذ الكثير من الإجراءات والنصوص المجسمة لهذه السياسة، من بينها مجموعة ٢٣ قراراً ثقافياً صدرت على إثر اجتماع مجلس وزاري تُخصص للنظر في المسائل الثقافية. وكان ذلك يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٨٨^(١).

نجد من بين هذه القرارات القرار ١٥ يوصي: «بالإسراع بإنجاز القسط الثاني من دار الكتب الوطنية» كي تتوفر الظروف العلمية اللازمة للدار، فيمكن لها أداء مهمة «المحافظة على التراث المخطوط والمطبوع» على أحسن وجه.

(١) انظر جريدة «الحرية» بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٨٨ . ص ٤ .

كما نجد القرار ١٦ يأذن: « بإنشاء مخبر لصيانة المخطوطات تابع لدار الكتب الوطنية »، إضافة إلى ورشات التسفير (التجليد) والترميم الموجودة بالدار. والخبر يتمثل في مصلحة التصوير على الميكروفيلم التي بعثت تجسماً للقرار المذكور والتي تقوم حالياً بعمل كبير لتصوير أصول المخطوطات حتى يقع حفظها ووقايتها من مخاطر الاستعمال والتداول بالاعتماد على استغلال مصورات الميكروفيلم أو الميكروفيش. وقد توصلت في أقل من سنتين إلى إنجاز ما يزيد على خمسة آلاف ميكروفيلم، والعمل الآن حثيث لتغطية كامل الرصيد المخطوط.

ج - تجارب فريدة :

ثم كثفت السياسة الثقافية الجهود المبذولة لجمع شتات التراث الوطني وصيانه ونهيته ليستفيد منه أهل الفكر والأدب والباحثون عموماً. وتوخت من أجل ذلك أساليب متنوعة. لعل أهمها ما تبنته وزارة الثقافة في هذا المجال، والمتمثل في إبرام اتفاق مع من لهم استعداد من المثقفين الغيورين على فتح مكباتهم لرواد البحث والمتعشقين إلى المعرفة. وذلك بعد أن تقوم الهياكل الثقافية المختصة (دار الكتب الوطنية مثلاً) بتوفير ما يلزم من خبرات فنية وفهارس وتجهيزات ضرورية لحسن استغلال ما توفر من وثائق بتلك المكبات. وتوفقت وزارة الثقافة في إيجاد صيغة للتعاون مع أصحاب المكبات الخاصة. فهي من ناحية احترمت الملكية الخاصة، وأبقت على هذه المكبات عند أصحابها دون المساس بها، مما يطمئن كل من يتمسك بمكاتبته ولا يجذ التفريط فيها. ونجحت من ناحية ثانية في تمكين المختصين والمواطنين عموماً من

الاستفادة من رصيد هذه المكتبات القيمة . ثم إنها إلى جانب ذلك كله تمكنت من بلورة طريقة ناجمة لحصر الثروة الوثائقية المخطوطة والمطبوعة في القطاع الخاص وتحديد قيمتها ومحتوياتها .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الصيغة الجديدة قد سجلت نجاحاً مهماً مع تجربتين اثنتين ، الأولى مع آل ابن عاشور الذين رحبوا بالفكرة وتفضلوا منذ سنوات بفتح مكتبهم لكل من يرغب في الانتفاع بمحتوياتها . وهي مكتبة عريقة توجد بضاحية المرسى ضمت ما ألفه واقتناه آل ابن عاشور ، لا سيما الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، ونجله الشيخ محمد الفاضل . (بها الآن ما يزيد على ٤٠٠٠ كتاب بين مطبوع ومخطوط) .

وأما التجربة الثانية فإنها تمت مع فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر ، عميد كلية الشريعة وعضو مجلس النواب سابقاً ، فوقع إعداد مكتبة آل النيفر وتجهيتها التهيئة العلمية والفنية اللازمة ، حتى يمكن للباحثين والأساتذة والطلبة الاستفادة من محتويات هذه المكتبة التي تضمنت أكثر من ١١,٠٠٠ مطبوع ، وما يناهز ٨٠٠ مخطوط . إضافة إلى ما سخر بها للمستفيدين من خدمات هامة كالاستنساخ والتصوير على الميكروفيلم ...

ثروة « الدار » :

لقد تم بفضل الإجراءات القانونية التي سبق التعرض إليها ، جمع ما يزيد على أربعين ألف مخطوط . ودار الكتب تواصل يومياً عملية شراء المخطوطات والبحث عنها لزيادة ثروتها .

وإذا ما نظر الباحث إلى المجالات التي عنيت بها المخطوطات الموجودة بالدار، فإنه يجدها متنوعة ومختلفة تغطي كل فروع المعرفة، غير أنه يمكن حصرها في أربعة محاور رئيسة. وهي: العلوم الدينية والعلوم الإنسانية والعلوم اللسانية، العلوم الصحيحة، وتوزع حسب الجدول التالي:

الموضوعات			
العلوم الدينية	العلوم الإنسانية	العلوم اللسانية	العلوم الصحيحة
القرآن الكريم	الأدب	اللغة	الطب
التفسير والقراءات	التاريخ	البلاغة	الهندسة
الحديث وعلومه	المنطق	النحو والصرف	الصيدلة
التوحيد	الفلسفة	العروض	الفلاحة
الفقه	الأنساب والتراجم		الحساب
التصوف	فن السياسة		الجبر
السيرة	الوعظ والحكم والأمثال		فنون الحرب
أصول الفقه	آداب البحث والمناظرة		
علم الكلام			

غير أن ما يجب التنصيص عليه أنه ، وإن كان رصيد المخطوطات متوازناً من حيث شموليته لكل المجالات العلمية والمعرفية ، فإن توزيع نسب المخطوطات حسب المواضيع لا تخضع إلى منطق معين ولا يوجد فيما بينها أي توازن أو تكافؤ .

وإذا أخذنا مثلاً رصيدين هامين وهما رصيда الأحمديّة والعبديّة اللذان يتجاوزان ١٢٠٠٠ مخطوط ، فإننا نجد موادهما تتوزع على النحو التالي :

النسبة	الأرصدة		الموضوعات	
	العبديّة	الأحمديّة		
٪٦٢,٥	٪٥٥	٪٧٠	العلوم الدينيّة	١
٪٢١,٥	٪٢٩	٪١٣,٥	العلوم الإنسانيّة	٢
٪١٠,٥	٪١٠,٥	٪١٠	العلوم اللسانيّة	٣
٪٤,٥	٪٣,٥	٪٥	العلوم الصحيحة	٤
٪١,٥	٪٢	٪٠,٩٦	موضوعات أخرى	٥

ويتضح لنا من خلال هذا المثال ، الذي هو في الحقيقة مقياس لبقية الرصيد ، مجموعة من الملاحظات أهمها ما يلي :

١- أن الغرض الديني هو الموضوع الطاغي على كل النسب الأخرى ،

وذلك بحكم أن الحضارة العربية الإسلامية قد انبنت على القرآن الكريم والعلوم المتفرعة عنه، فلا غرو أن يهتم العرب بهذه المسائل ويبدعوا فيها قبل عنايتهم بفنون ومجالات معرفية أخرى.

٢- تأتي العلوم الإنسانية والعلوم اللغوية في مستوى ثان باعتبار أنهما وظفتا عبر عصور متتالية لخدمة العلوم الدينية والفقهية والمذهبية.

٣- لكن كانت العلوم الصحيحة لا تشكل سوى نسبة % ٤,٥ من بين رصيد المكتبتين الأحمدية والعبدية، أي حوالي ٦٠٠ مخطوط من جملة ١٢٠٠٠، فإن هذا العدد وتلك النسبة لا تعكس الثروة الوطنية الحقيقية في مجال المخطوطات العلمية التي هُرب الكثير منها أيام المحنة الاستعمارية؛ إذ لا يخفى ما قامت به الجاليات الأجنبية من تمشيط بالبلاد قصد جمع المؤلفات العلمية الجيدة، أو ذات الجانب الفني الرائع، ثم تحويلها لجهات بالخارج. وفي ما يلي بيان بأهم المجموعات التي تحتويها الدار، من عامة وخاصة:

(١) المجموعات العامة :

١- المكتبة العتيقة بالقيروان^(١) :

هي أقدم المكتبات بإفريقية. وهي المكتبة الوحيدة ببلادنا التي بقيت بمصاحفها البديعة ونماذجها الخطية الفريدة، شاهداً على العناية الفائقة التي أولتها الأسر الحاكمة للكتاب، ومثالاً لإبراز ما مَرَّ بالقيروان من حضارة كانت

(١) شملها قرار التجمع في البداية ثم أعيدت - بعد محاولات عديدة - إلى أماكنها الأصلية بالقيروان إثر قرار من الوزير الأول سنة ١٩٨٣.

ومازالت مضرباً للاعتزاز والفخر. وبالرغم من عوادي الزمن، فإن المكتبة الإسلامية - لحسن الحظ - مازالت تحتفظ ببعض النماذج الرائعة والوثائق الفريدة، مما يقيم الدليل على عراقة الحركة العلمية والنهضة الفكرية المتطورة التي شهدها جامع عقبة بن نافع عبر العصور. فالقيروان - كما هو معلوم - كانت إحدى حلقات المعرفة الإنسانية في القرون الوسطى. وكانت همزة وصل بين أسس الحضارة الفكرية مشرقاً ومغرباً، وكانت أهم معقل من معاقل المالكية في البلاد العربية الإسلامية.

وتكفي نظرة على الرصد الموجود الآن بالقيروان بمتحف رقادة، والذي يضم حوالي ٨٠٠٠ قطعة للتدليل على قيمة هذه المكتبة العتيقة.

إن خزانة المكتبة العتيقة بالقيروان مازالت تحتفظ إلى الآن بأروع الرقوق وأجمل المصاحف القديمة تذهيباً وزخرفة وتصميماً. مثال ذلك:

- مصحف بخط امرأة تسمى فضل، مولاة أبي أيوب. به نص تحبب على الجامع الأعظم بالقيروان بتاريخ ٢٩٥هـ. كتب على الرق بخط كوفي.

- مصحف فاطمة حاضنة العزيز بادي الصنهاجي، وعليه نص تحبب يعود إلى سنة ٤٢٤هـ. كتب على الرق بخط كوفي قيرواني.

- المصحف المكتوب على الرق الأزرق بخط كوفي مذهب. والأوراق المتبقية من هذا المصحف الذي يعود إلى بداية القرن الخامس الهجري تعتبر بتفردا نسخة وحيدة في العالم لا نظير لها.

- أما قطع «الموطأ» برواياته المختلفة (علي بن زياد التونسي، يحيى بن يحيى الليثي، أبو سعيد الحداد)، والأسدية لأسد بن الفرات، وغير ذلك، فإن

أغلبها مازال موجوداً وفي حالة متماسكة وطيبة، رغم مرور الزمن والمحن التي تعاقبت على مدينة القيروان.

ب- المكتبة العبدلية :

اعتنت الدولة الحفصية (التي وطّدت أركان حكمها بتونس العاصمة عوضاً عن العاصمة التقليدية القيروان) عناية كبيرة بتأسيس المدارس وتعمير الجوامع والمساجد بالكتب . وقد اهتمت الأسرة الحفصية بالعلم والتعليم ، خاصة في مرحلة استيباب الملك والانصراف إلى الشؤون الداخلية للبلاد .

وتذكر المصادر التاريخية اهتمام المستنصر بالله بن أبي زكريا الحفصي (ت ٦٧٥هـ) بالكتب . فقد أخذ عن أبيه أبي زكرياء الشغف بالعلماء وتكريم المجتهدين منهم . كما أشارت المصادر نفسها إلى الأمير أبي فارس عبد العزيز الحفصي الذي أنشأ بجامع الزيتونة أول مكتبة عامة (بالمفهوم العصري) سنة ٧٩٧هـ / ١٣٩٥م ، وجمع أمهات الكتب والدواوين ليتفجع بها طلبة العلم . وقد عين لهذه المكتبة قيمين لنفض الغبار عنها ، والاعتناء بها . ومناولتها للطلبة الراغبين في الانتفاع منها . جاعلاً وقت ارتيادها ما بين أذان الظهر ووقت صلاة العصر من كل يوم . كما اشترط منع مناولة الكتب خارج الجامع .

وحذا حذوه أحد أحفاده وهو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد المسعودي بن عثمان (ت ٩٣٢هـ / ١٥٢٦م) ، فقصر همته على العناية بالكتاب وأسس مكتبة عظيمة في الرواق الشرقي من رحاب الجامع الأعظم ، عُرِفَتْ باسمه ونسبت إليه ، واشتهرت باسم المكتبة العبدلية .

ولقد عُرِفَتْ هذه المكتبة أعنف أنواع التمزيق والنهب ، أثناء الهجمة

الصليبية التي قام بها الإسبان سنة ١٥٨٤م / ١٥٨٤هـ، إثر استصراخ الأمير الحسن الحفصي لهم، عندما رأى ألا قدرة له على مقاومة الحملات البحرية التي قادها ضده خير الدين بربوس، وهكذا دخل الإسبان إلى تونس عبر حلق الوادي، واستباحوا البلاد لمدة ثلاثة أيام، فعاثوا فيها فساداً، وانتهكوا الحرمات والمقدسات، وعبثوا بأروقة جامع الزيتونة، فأحرقوا الكتب وداسوا المجلدات بحوافر خيولهم، ومزقوا أمهات المصادر والدواوين.

ولم تعد المكتبة العبدلية إلى عزّ مجدها إلا في عهد محمد الصادق باي الذي بادر بإحيائها مستصديراً أمراً بتنظيمها في ١٢ ربيع الثاني عام ١٢٩٢هـ / ١٨٧٦م باذلاً الجهد في سبيل تنمية رصيدها من بعض المجموعات التي وصلته عن طريق الهبات والشراء. وقد أطلق على هذا الجزء المضاف إلى العبدلية اسم المكتبة الصادقية، وبلغ عدد مخطوطاتها ١٧٩٨ مجلداً.

عدد مجلداتها :

إن وجود المكتبة العبدلية بجامع الزيتونة المعمور وحفظها بالخزائن الموجودة به قد جعل أغلبها في حالة جيدة توحى باهتمام الساهرين عليها، وبعناية القائمين بشئونها. ويبلغ العدد الجملي لمخطوطات هذه المكتبة ٥١٨٠ مجلداً.

يتوزع مجملها على الموضوعات والفنون التالية :

التفسير	الفقه المالكي	الأدب	الحساب والفلك
٤٤٠ مجلدا	٦٦٩ مخطوطا	١٠٣٦ مخطوطا	٧٣ مخطوطا

نماذج من مخطوطاتها :

- شرح ديوان أبي فراس الحمداني - للحسين بن أحمد بن خَالَوَيْه ، المتوفى ٣٧٠هـ / ٩٨٠م . نسخة خطها نسخي تمت كتابتها في ١٤ رمضان ٥٧٨هـ / ١١٨٤م . الرقم ٨٣٢١ .

- حلّ الموجز - لمحمد بن محمد الأتصرائي ، المتوفى ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م . وهو شرح على موجز القانون لابن النفيس ، نسخة جيدة بخط نسخي كتبها محمود بن طاهر بن أبي جعفر مسعود سنة ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م . الرقم ٨٢٢٠ .

- صور الكواكب الثابتة - لعبد الرحمن بن عمر الصوفي الرازي ، المتوفى ٣٧٦هـ / ٩٨٦ . يشتمل على رسوم وجداول وصور حركات الكواكب . نسخة بخط فارسي كتبت في شهر شعبان ١٠٣٠هـ / ١٦٢١م . الرقم ٨٠٩٣ .

ج - المكتبة الأحمدية :

تواصلت بعد العهد الحفصي العناية بالمكتبات وتأسيس مدارس العلم بتونس العاصمة . ولم يأل الحسينيون جهداً في سبيل تهئية المناخ الملائم للأخذ بأسباب العلم والمعرفة . وتعتبر مدة حكمهم (من ١٧٠٥م إلى ١٩٥٧م) ثرية بإنجازات حضارية وثقافية . وتذكر المصادر التاريخية ما أولاه حسين بن علي تركي مؤسس الدولة الحسينية بحاضرة تونس من اهتمام بالعلماء وحث على الاجتهاد والتأليف . ودرج على هذا المثال المشير أحمد باشا باي الأول (ت ١٢٧١هـ / ١٨٥٥م) الذي أسس المكتبة الأحمدية ، وإليه يرجع فضل إثراء مخطوطات

جامع الزيتونة بما تمكن من اقتنائه من مكاتب بعض أعيان تونس . وجّهز الجامع الأعظم بخزائن على يمين وشمال المحراب ملكت بالمخطوطات . يضاف إلى ذلك ما استطاع جمعه من مكتبة الشيخ إبراهيم الرياحي (إثر وفاته سنة ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م) التي احتوت هي الأخرى مجموعة من نفائس الكتب التي اقتناها الشيخ أثناء رحلته إلى كل من فاس والأستانة .

عدد مجلداتها :

إن وجود هذه المكتبة بجامع الزيتونة بعد ما كان الجزء الأوفر منها ملك بعض البيوتات التونسية المرموقة، قد جعلها في حالة طيبة من الصيانة والحفظ . فأغلب رصيد المكتبة الأحمدية مع سابقتها (المكتبة العبدلية) قد تمهدهت الأيدي بالتجليد والتسفير، لذلك امتزجت أثناء عملية التجليد كل المؤثرات للفن المغربي والأندلسي والإسلامي عموماً من زخرف وتذهيب . ويبلغ العدد الجملي لمخطوطات هذه المكتبة ٦٤٦٤ مجلداً يتوزع مجملها على الموضوعات التالية :

التفسير	الفقه المالكي	الفقه الحنفي	الأدب	الحساب والجبر والمقابلة	الهيئة والفلك
٣٦٥	٩٠٢	باعتباره المذهب الرسمي للدولة الحسينية ٥٠٢	١٧٣	٢٩	٥١

نماذج من مخطوطاتها :

- تفسير القرآن الكريم - ليحيى بن سلام البصري التميمي ، المتوفى
٢٠١هـ / ٨١٦م ، رواية أبي داود أحمد بن موسى بن جرير الأزدي المتوفى
٢٤٤هـ / ٨٥٨م من نسخة قديمة كتبت في المحرم من سنة ٣٨٣هـ /
٩٣٣م - الرقم ٧٤٤٧.

- اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار -
لعبد الله بن علي اللخمي ، المتوفى ٥٤٢هـ / ١١٤٧م ، الجزء الثالث من نسخة
خطها أندلسي ، ترجع إلى القرن السادس للهجرة . الرقم : ١١٥١٤ .

- التمييز والفصل بين المتفق في الخط والنقط والشكل ، جمعه ورتبه
إسماعيل ابن هبة الله بن باطيش المتوفى ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م . نسخة بخط
المؤلف كتبها في شعبان ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م - الرقم ٨٠٠٦ .

د - مكتبة العطارين :

ثم احتلال البلاد التونسية سنة ١٨٨١م ، وبقي الناس مشدودين إلى
ماضيهم يستلهمون من جامع الزيتونة مجدهم التليد .

وفي بداية هذا القرن وتحققاً لبعض الأغراض الاستعمارية ، تم إنشاء مكتبة
عمومية بنهج روسيا بالعاصمة ، ثم سرعان ما تبلورت الفكرة فتحولت المكتبة
سنة ١٩١٠ إلى البناية الحالية الكائنة بسوق العطارين والتي كانت منذ العهد
المرادي ثكنة عسكرية تركية . ومن ذلك التاريخ صرفت العناية أساساً لشراء
المطبوعات تلبية لرغبة النخبة الاستعمارية ، إلى درجة أن ما تحتويه المكتبة الوطنية

اليوم من وثائق وخرائط وكتب يعتبر فريداً في نوعه .
أما عدد المخطوطات حتى فترة ما قبل الاستقلال ، فيبدو أنه لم يتجاوز المئة
بين عربية ووثائق خطية فرنسية وإيطالية .

ولما استقلت البلاد سنة ١٩٥٦ كانت نسبة الكتب العربية المطبوعة قليلة^(١)
مقارنة بغيرها من الكتب الفرنسية . وعندما آل الأمر إلى السلطة الوطنية كانت
المخطوطات مبثوثة - مثلما أشرنا - في أماكن متعددة ونواح مختلفة بالبلاد
التونسية فهي إما :

- مُخَبَّسَة على جامع الزيتونة ،

- أو هي وقف على بعض الجوامع والمساجد والزوايا ،

- أو مودعة بالمكتبات العامة والمتاحف .

وقد سعى المحافظون والمديرون الذين تعاقبوا على دار الكتب على تنمية
الرصيد العام بتوجيه العناية إلى الكتاب العربي المطبوع وإلى المخطوط . فكان أن
اهتموا بالشراء وانتفعوا من الدعم القوي الذي خصصته الحكومة (ممثلة في وزارة
التعليم أولاً ثم وزارة الثقافة) في بداية الاستقلال للكتاب بصفة خاصة وللثقافة
والتعليم بصفة عامة . ونتيجة لهذا التوجه بلغ عدد مخطوطات مكتبة العطارين
٤٨٩٥ مجلداً .

وتوزع بعض مجلدات هذه المجموعة حسب الموضوعات والفنون التالية :

(١) في كتاب جرد دقيق تردد الإحصاء بين نسبتين إذ قيل أن نسبة الكتب العربية لا تمثل إلا سدس
الكتب الفرنسية ، وقيل إنها لا تمثل إلا الثمن .

التفسير	الفقه المالكي	الأدب	حساب وهندسة	هيئة وفلك
١٥٠ مجلدا	٢٤٤ مجلدا	٤٢٩ مجلدا	٥٦ مجلدا	١٥٣ مجلدا

هـ - المكتبة الخلدونية :

أنشئت الجمعية الخلدونية في نطاق حركة الإصلاح التي شهدتها البلاد أواخر القرن الماضي . فقد أحسّت مجموعة من الشباب المتعلم النير المتخرج من المدرسة الصادقية وجامع الزيتونة بأن الحماية الفرنسية ساعية لطمس الشخصية العربية الإسلامية، فتلورت في أذهانهم فكرة إصلاحية جديدة اجتماعياً، وسياسياً واقتصادياً .

وصدر القانون الأساسي المنظم للجمعية في ٢٢ ديسمبر ١٨٩٦ مركزاً على صبغتها الثقافية والتعليمية، وذلك بإنشاء مكتبة دخلت حيز العمل في أعقاب سنة ١٩٠١، وأول ما يميز هذه المكتبة هو أنها مكتبة عمومية مفتوحة للتونسيين ولغيرهم من الأجناس الأخرى دون تفریق في الديانة . وهذا على عكس المكتبات الكبرى التي كانت خزائنها بالجامع الأعظم والتي لا يؤمها إلا المسلمون . وقد تضافرت جهود الساهرين على انتقاء أحسن الكتب وأمهات المصادر والمراجع والدواوين إضافة إلى الدوريات السّيارة التي كانت تزخر بها البلاد في بداية هذا القرن . لذا ليس من الغريب أن نجد رصيد المكتبة الخلدونية

حافلاً ببعض المطبوعات الفريدة .

وفي سنة ١٩٥٨ ومع صدور قانون الجمعيات الداعي إلى تنظيم القوانين الأساسية وتحديد أهدافها، ومع بروز فكرة توحيد برامج التعليم ضمن برنامج وطني موحد، وضع حد لنشاط الجمعية الخلدونية وتحول مقرها الأصلي سنة ١٩٥٩ إلى معهد وطني للغات الحية الذي سرعان ما أصبح سنة ١٩٦٢ مدرسة حرّة .

أما المكتبة فإنها ألحقت بإدارة المطالعة العمومية التابعة لكتابة الدولة للشؤون الثقافية ... ثم بقيت مغلقة لأسباب مجهولة إلى أن قيض الله بعض العزائم الصادقة التي أعادت فتحها للعموم أواخر شهر رمضان ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م . أما عن مخطوطات المكتبة الخلدونية فقد شملها هي الأخرى قرار التجميع الصادر سنة ١٩٦٧م . وتحتوي على ١٥٨ مخطوطاً في مختلف الفنون من بينها :

- تفسير غريب القرآن لأبي يحيى محمد بن صمادح التجيبي أمير المرية المعتصم بالله، المتوفى ٤٨٤هـ / ١٠٩١م . وقد اعتمد فيه المؤلف على كتاب الطبري في التفسير . رقمه ١٦٥٨٧ .

- تذكير الغافل وتعليم الجاهل لمحمد بن عظام القيرواني ، المتوفى ٩٥٠هـ / ١٥٤٤م .

من الكتب الجليلة التي ألقت في النوازل، يعدها الأفارقة من المراجع الأساسية لمكانة مؤلفها العلمية . رقمه ١٦٥٨٢ .

- مفتاح الحساب لغياث الدين جمشيد بن مسعود بن محمد الطيب

الكاشي، المتوفى ٨٣٢هـ / ١٤٢٩م. نسخة تعود إلى سنة ١١٩٥هـ /
١٧٨٠م. رقمه ١٦٦٤١.

و- مكتبة كلية الشريعة وأصول الدين :

تشرف عليها وزارة التربية والعلوم . وهي المكتبة التي تأسست لما كان المبنى الحالي لكلية الآداب في شارع ٩ أفريل يأوي إلى جانبه كلاً من كلية الشريعة والمعهد الأعلى للحقوق .

وقد تحولت هذه المخطوطات في أواسط السبعينيات لما تحول مقر الكلية المعنية إلى شارع علي طراد بتونس .

والملاحظ أن هذه المجموعة كانت موجودة بمكتب أحد عمداء الكلية في خزانة خشبية ذات فصوص بلورية ، وهي الآن تابعة لمكتبة الجامعة الزيتونية . وفيها قائمة مقتضبة لا تحمل إلا الرقم والعنوان وبعض الملاحظات الثانوية الأخرى ، أما عدد المخطوطات فيقارب ١٥٠ مجلداً زيادة على مصورات لحوالي ١٠٠ مخطوط مستنسخ . فيكون مجموع ما يوجد بها في حدود ٢٥٠ مجلداً في فنون وموضوعات مختلفة ، أغلبها في العلوم الدينية والفقهية .

كل هذه الأرصدة السابقة أصبحت تحت نظر دار الكتب الوطنية ، باستثناء المكتبة العتيقة التي أعيدت إلى القيروان ، ومكتبة كلية الشريعة وأصول الدين التي أصبحت تابعة للجامعة الزيتونية .

(٢) المجموعات الخاصة :

وهي المجموعات التي تندرج في نطاق الملكية الفردية لبعض العائلات :

أ - مكتبة آل ابن عاشور :

تستمد هيبتها ووقارها من أمجادها، ويكفيها فخراً أنها التصقت بعلمين بارزين شهيرين هما: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، وابنه الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور، ويبدو أن العائلة قد عملت بالتراضي والتفاهم على أن يكون لكل أفرادها ما يختاره ويرغب فيه من مخطوطات ومطبوعات. ولكن يظهر أن الجزء الأكبر من هذه المكتبة هو المتبقي حالياً بقصر دار ابن عاشور بالمرسى، بحوزة السيد عبد الملك ابن عاشور (ابن الشيخ الطاهر) وابنه محمد العزيز ابن عاشور. وتفيد بعض الوثائق أن العائلة اتصلت بوزارة الثقافة سنة ١٩٨٦ لإعداد فهرس لمحتويات المكتبة العاشورية. وعهد العمل إلى فريق من دار الكتب آنذاك قام بالعمل ثم طبعه ووضع على جذاذات هي الآن على ذمة الباحثين بدار الكتب الوطنية. كما سلم نسخة من الجذاذات نفسها إلى العائلة المذكورة هي الآن موضوعة على ذمة الزائرين لدار ابن عاشور. ويضم العدد الجملي للمخطوطات التي وقف عليها الفريق ١٠٠٠ مخطوط، زد على ذلك الرسائل الصغيرة والمجلدات الكبيرة، مع الإشارة إلى أن هذا العدد لا يغطي العدد الحقيقي لكافة المحتويات: والجدير بالملاحظة أن قيمة المكتبة لا تتمثل في هذا العدد فحسب، بل تعدى ذلك إلى كون المتصفح لأغلب المخطوطات يجد فيها تعاليق هامة ومتنوعة بخط الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور.

وتكفي بعض العناوين التي سنذكرها للتدليل على قيمة العاشورية:

- الكافي في فروع المالكية: ليوسف بن عبد الله بن عبد البر - الرقم:

(ف أ) ٢٢٩.

- المنار في أصول الفقه : لعبد الله بن أحمد النسفي - الرقم : (ف أ) ٧٤.
- قواعد الأحكام في إصلاح الأنام : لعبد العزيز بن عبد السلام السلمي - الرقم : (ف أ) ٥١.
- قواعد الفقه : لمحمد بن عبد الله الزركشي - الرقم : (ف أ) ٩٩ .

ب - مكتبة آل النيفر :

رصيد هذه المكتبة يتمثل في حوالي ٨٠٠ مخطوط ، ورثها الشيخ الشاذلي النيفر عن أبيه القاضي محمد الصادق النيفر ، وأضاف إليها ما اقتناه هو نفسه من مخطوطات خلال نصف قرن . وتقع هذه المكتبة بيطحاء القرجاني نهج علي الرياحي عدد ٤٢ .

وقد قامت دار الكتب الوطنية بمساعدة الشيخ الشاذلي النيفر على إعداد فهرس لها متنوعة ، وتوجد نسخة من هذه الفهارس بدار الكتب الوطنية .

ج - مكتبة سعيد بلخوجة :

أوقف صاحبها جزءاً منها على جامع صاحب الطابع بالحلفاوين . وتوجد بفرقة صغيرة بحذاء بيت الصلاة على يمين باب الجامع من جهة الدخول . وتضم حوالي ٧٠ مخطوطاً ، أغلبها في الفقه الحنفي ومن مخطوطاتها :

- التلويح إلى كشف حقائق التنقيح لمسعود بن عمر التفتازاني .
- حاشية على شرح المكودي على ألفية ابن مالك لحسين بن الخوجة .

كما توجد عديد الرسائل والتعليق التي كتبها آل ابن الخوجة ، منهم الشيخ حسين بن الخوجة فيما بين سنتي ١٣١٢ هـ و ١٣٢٣ هـ ، وفتاوى لعلي بن أحمد بن الخوجة بتاريخ ١٣٥٦ هـ ، وبعض التأليف لمحمد بن أحمد بن حمودة بن محمد بن علي بن الخوجة بتاريخ ١٢٣٧ هـ .

د - مكتبة محمد الحبيب :

كان أحد رجال المسرح والأدب المشهورين . توفي سنة ١٩٨٠ م ، وترك مكتبة ثرية فيها العديد من المجلات والجرائد القديمة . أما المخطوطات فتضم المكتبة منها بضع عشرات ، من بينها صحيفة ملفوفة فريدة في شكلها يتجاوز طولها المتر الواحد وعرضها حوالي ٣٠ سنتمرا ، بها شجرة نسب إحدى العائلات التونسية وصلتها بآل البيت .

هـ - المكتبة اللزّامية ببنزرت :

نسبة إلى الشيخ عبد الرحمن اللزّام البنزرتي . عدد مخطوطاتها حوالي عشرين مخطوطاً استناداً إلى الفهرس المطبوع الذي أعده الشيخ معاوية التميمي سنة ١٣٥٠ هـ .

و - مكتبة الباروني :

نسبة إلى محمد بن زكرياء الباروني الإباضي مذهباً . من رجال القرن العاشر الهجري / ١٦ م . المكتبة موجودة بجزيرة حالياً ، وهي على ذمة آل

الباروني ، ومختصة في الفقه الإباضي ، وتحتوي على مجموعة من الكتب الهامة في هذا المضمار لبعض المؤلفين الإباضيين أصليي جربة مثل الشماخي والدرجيني وابن تعاريت ، إضافة إلى كتب الطبقات والسير . وتضم هذه المكتبة ٥٧٣ مخطوطاً ، ويوجد بدار الكتب الوطنية فهرس لها .

ز - مكتبة سيدي إبراهيم الجميني (توفي ١١٣٤هـ / ١٧٢١م) :

تضم مكتبته بعض العشرات من المخطوطات ، باع بعضها أحد أحفاده إلى دار الكتب الوطنية في الثمانينات ، منها :

- الشمائل النبوية للترمذي ، الرقم ٢٦١٤٤ .

- فرائد القلائد في شرح مختصر الشواهد لمحمد بن أحمد العيني ، الرقم

٢١٦٨٥ .

ح - مكتبة سيدي أحمد القليلي :

نسبة إلى أحد أصحاب الطرق الصوفية وأشدها نفوذاً بفريانة (من ولاية القصرين) . كان من رجال العلم والفضل ، وكان مؤدباً بالزاوية التي تأوي مقامه . عمل طيلة حياته على جمع الكتب وكان يحرص على المذاكرة والدرس والتلاوة حتى اكتظمت الزاوية بالمترادين . ويذكر القائمون على المخطوطات بدار الكتب الوطنية أنهم كلفوا بالقيام بجرد محتويات هذه المكتبة سنة ١٩٨٦ ، ولاقوا في ذلك صعوبات جمّة من الأهالي . وقد تمكن هذا الفريق من حصر قائمة تضم ٢٥٠ مخطوطاً ، مع ملاحظة أن هذه المخطوطات توجد في حالة إهمال كبير .

تعتبر هذه المجموعة من المخطوطات رافداً هاماً من روافد الحضارة العربية الإسلامية بإفريقية بداية من الدولة الأغلبية إلى أواخر الدولة الحسينية . وقد شكلت هذه المجموعة بتنوعها وثرائها جملة من الموضوعات والفنون التي تعكس مجالات المعرفة وتنوع العلوم . وبالرغم من أن لكل عصر من العصور خصائصه ومميزاته فإنه بالإمكان الإقرار بأن العلوم الدينية (تفسير، فقه مالكي، فقه حنفي، حديث مصطلح الحديث إلخ...) قد حظيت بالنصيب الأوفر مقارنة بالعلوم الإنسانية (الأدب، التاريخ، الطبقات) والعلوم اللغوية (اللغة - النحو - الصرف - البلاغة) والعلوم العقلية (المنطق، الحكمة، الفلسفة) . فالعلوم الصحيحة (الحساب، والجبر، المقابلة، الهندسة، الفلك إلخ...)، ويوجد فهرس لهذه المكتبة بدار الكتب الوطنية .

ط- مكتبة الشيخ عز الدين النيفر :

تضم المكتبة ٤٩ مخطوطاً في مواضيع مختلفة . ويبدو أن هذه المكتبة جزء من مكتبة كبيرة، إذ لاحظنا وجود أرقام قديمة على أقراص ملتصقة بالمخطوطات . وتحمل بعض المخطوطات أرقاماً ثلاثية تتألف (من الآحاد والعشرات والمئات . مثال : ٦٠٧ - ٦١٤ إلخ) .

حفظ المخطوطات :

توجد مخطوطات « الدار » داخل مخزن يتألف من رفوف من اللوح، تتوزع حسب العرض بقياسات : ١ متر أو ١,٢٠ متر أو ١,٤٠ متر . كما يحتوي على مكيف هوائي يحافظ على درجة حرارية مستقرة طوال السنة

تتراوح بين ٢٠ و ٢٤ درجة. ويضم رفوفاً من الحديد تحتوي على كل المخطوطات التي تم ترميمها في ورشة التجليد الفني التابعة للدار، بعد أن عولجت بالوسائل المتاحة.

وبمقتضى الأمر ٢٩٦ المؤرخ في ٧ سبتمبر ١٩٦٧ تم تجميع كافة المخطوطات التي كانت بالمكتبات العمومية والمساجد والزوايا بدار الكتب الوطنية لتتولى المحافظة عليها.

ونتيجة لهذا الأمر تضخم العدد، فبعد أن كان الرصيد القديم الموجود - قبل التاريخ المذكور - لا يتجاوز ٥٠٠٠ مخطوط، تضاعف العدد ليحتل مرتبة عالية، إذا ما قارناه بمكتبات القارة الإفريقية. ولا بد أن نذكر المكتبتين الأحمدية والعبيلية اللتين تضمان وحدهما نصف الرصيد الحالي.

على أن المسألة لم تقف عند حدود الرصيد الذي كان موجوداً قبل أمر التجميع الصادر سنة ١٩٦٧ أو بعده، بل تجاوزت القاعدة هذا المعطى، لتتضاف إليها سمتان بارزتان كانتا وراء هذا العدد، وهما:

- ما جاء عن طريق الهبة مثل ما هو الشأن بالنسبة إلى حسن حسني عبد الوهاب الذي أهدى في حياته، مكتبته التي تتألف من ١٠٠٠ مخطوط.
- ما جاء عن طريق الشراء (من خلال الميزانية التي رصدتها الدولة لهذا الغرض).

وقد ساعدت المحافظة داخل مخزن المخطوطات على درجة حرارية مستقرة

طوال السنة، على القضاء على أنواع عديدة من الحشرات التي كانت موجودة .
ومعلوم أن مناخ البحر المتوسط يتأرجح بين الرطوبة حيناً والجفاف حيناً
آخر، مما يجعل هذه الحشرات سريعة التأقلم والتكيف مع المستجدات الطبيعية .
ولقد حاولنا مراراً الاستعانة بالخبرات الوطنية (معهد باستور) لإعانتنا في تركيب
بعض المبيدات، إلا أن الاستجابة لم تكن مشجعة، رغم المساعي التي قامت بها
الدار، وإرسالها لعينات من هذه الحشرات . والأمل يحدونا في إعانة مركز
البحوث بالمعهد المذكور، حتى يقع القضاء نهائياً على النوع الوحيد المرئي
المتبقى الذي مازال عالقاً ببعض المخطوطات ويسمى علمياً *Poisson d'argent*
(وهي حشرة فضية اللون تتغذى أساساً من تركيبة اللصاق الموجودة بظهر
الوثيقة) .

وتتم عملية رش المبيدات عن طريق البخاخات المتوفرة، وذلك باستعمالها
في فصل الربيع من كل سنة (شهر أبريل) حين تكون درجة الحرارة داخل
المخزن وخارجه متكافئة (بين ٢٠ و ٢٤) .

كذلك يقع التنسيق مع المصالح البلدية مرة كل سنة لرش المبيدات داخل المخزن .
أما الطريقة المتداولة في معالجة المخطوطات فتتمثل في استعمال مادة
«النفثالين» التي بينت التجربة نجاعتها في القضاء على الحشرات الطفيلية وخاصة
ما يسمى بـ « *Poisson d'argent* » .

ويذكر أن المدرستين الروسية والصينية تستعملان إلى اليوم هذا النوع
التقليدي من المبيدات .

* * *

مكتبة القيروان العتيقة وسبل صيانتها

د . مراد الرماح *

عُرفت القيروان بإشعاع حضارتها، وانتشار معارفها وعلومها، وإسهام رجالها وفقهائها. فقد استطاعت أن تشكل طوال أربعة قرون متتالية مدرسة متعدّدة الخصائص، أقيمت على ذكرها خالداً، وحافظت على مجدها شامخاً، وكانت المدنية آنذاك سوقاً للمعرفة وقطباً ثقافياً بارزاً. وتأسس بها، منذ أواخر القرن الثالث الهجري، بيت للحكمة محاكياً لمثيله ببغداد في التبخر في مجالات العلوم الطبية والفلكية والهندسية والترجمة، فركز مقومات النهضة الفكرية والعلمية بالبلاد، وقامت مدرسة طبية متميزة ترعرعت على يدي إسحاق بن عمران، وبلغت نضجها على يدي أحمد بن الجزّار الذي ترجمت مؤلفاته إلى اللاتينية. وقد نقل قسطنطين الإفريقي المتوفى سنة ١٠٨٧ العديد منها إلى مدرسة سالرنو الطبية بأن ترجمها وأعاد صياغتها فكانت أعماله بداية لأول حركات نقل العلوم العربية إلى أوروبا. واشتهرت القيروان إلى جانب ذلك بأدبائها وشعرائها ونقادها. وتميّز من الشعراء ابن هانيء بشعره الناضج والمتجبر، والحضري، وابن شرف اللذان كانا لهما شرف تمثيل أدب الهجرة واللّوعة إلى الأوطان الذي تأثر به شعراء الأندلس فيما بعد.

وواكب ذلك حركة نقدية نشيطة، فاشتهر النهشلي بمتمعه، وابن رشيق

* مدير المخبر الوطني بمتحف رقادة (تونس) .

بعمدته ، الذي يقول ابن خلدون في شأنه : « هو الكتاب الذي انفرد في صناعة الشعر وأعطاهما حقهما ، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله » .

ولعل من أبرز إسهامات القيروان في الحضارة العربية المغربية دورها الديني والروحي في ترسيخ العقيدة الإسلامية بالمغرب الإسلامي . وكان السبق في ذلك للفقهاء العشرة الذين بعث بهم الخليفة عمر بن عبد العزيز لتفقيه أبناء إفريقية ، ومساعدتهم على فهم مناسك دينهم ، فعمدّت المكتاب والحلق ، وانتشرت المعارف الدينية . ولما آل الأمر إلى الأغالبه ظهرت طبقة يمتاز رجالها بالعكوف على أقوال الأئمة المجتهدين في التشريع ، يجمعون شتاتها ، ويؤلفون بين موضوعاتها ، ويؤيرون مسائل الفقه ، وينسقون أحكامها .

ثم انبرت القيروان بعد ما أتضجت الاختلافات المذهبية من مناظرات وتيارات دينية إلى المالكية . وإن نشأ هذا المذهب بالمدينة فقد كان للقيروانيين شرف تدوينه على يد أسد بن الفرات ، ثم سحنون بن سعيد (٢٣٤هـ) المؤسس الأول لمدرسة الفقه المالكي بإفريقية ، وأبرز علم في المعرفة الدينية بالمغرب الإسلامي قاطبة . وقد واصل تلاميذه إنضاج هذا المذهب بالتبحر في أبوابه ، وتفسير أقوال من تقدّم فيه ، وإيضاح آرائهم ، ومحاولة تعميم مشاربه ، ليكون مستوفياً لحاجة المجتمع ومعبّراً عن مآربه ، فكانت مؤلفات محمد بن سحنون في « البيوع » ويحيى بن عمر (٢٨٩هـ) في « أحكام السوق » ومحمد بن عبدوس (٢٦٠هـ) في « تفاسيره » . ورغم الاضطهاد الذي تعرّض إليه أعلام المالكية على يد الشيعة فإنهم استطاعوا ترسيخ المجتمع الإفريقي خلال العهد الفاطمي في انتماءاته السنية ، واستيفاء مقومات المذهب وتنويع فروعه . ومن أبرز شخصيات

هذا الطور عبد الله بن أبي زيد القيرواني (٣٨٦ هـ) صاحب «الرسالة» و«النوادر والزيادات» على المدونة، وأبو الحسن القاسبي (٤٠٣ هـ) وأبو عمران الفاسي.

وبذلك يعود الفضل إلى القيروان في إنضاج الفكر المالكي ونشره في كامل بلاد المغرب، فكان أحد مقومات وحدة الديار والمصير، وحامياً للمجتمع المغربي من آفات التناحر المذهبي.

مآثر «المكتبة»

لقد حافظت القيروان على بعض بقايا هذا التراث الفكري وعلى ذكر علمائها، من خلال الدفاتر والأوراق التي كتبوها بأيديهم أو كلفوا غيرهم بكتابتها، والتي كانت جزءاً من مستندات التعليم بالقيروان. وقد حفظت هذه الدفاتر والأوراق في الجامع الكبير، وما زالت أجزاء كاملة منها موجودة إلى الآن. ودوّنت هذه الوثائق في الفترة ما بين القرنين التاسع الميلادي والثالث عشر خاصة، وهي تشتمل على معلومات حضارية فريدة تربط خاصة بفنون الكتابة والتفسير (التجويد) والمقابلة والقراءات والأسانيد.

وتتميز مكتبة القيروان العتيقة بأن الجزء الأوفر منها قد كتب على الرق. وتعتبر مجموعة الرقوق القيروانية أشهر وأكبر المجموعات المتبقية في العالم العربي الإسلامي. وهي تتكون من ثلاثة أقسام متكاملة، هي قسم الوثائق والرسوم، وقسم الكتب والأصول الفقهية التي يرجع تاريخ أقدمها إلى سنة (٢٣١ هـ)، ثم قسم المصاحف الباذخة والأنيقة المكتوبة على الرق، والتي يفوق عدد أوراقها

تسعاً وثلاثين ألف ورقة .

وإنه من حسن الطالع أن ظلت مخطوطات القيروان محفوظة إلى الآن ، في حين أن كل المكتبات القديمة التي تحدثت المصادر عنها حرقت أو نهبت ، أو تفرقت كتبها وضاعت . وتمثل مخطوطات مكتبة القيروان مادة قيمة وفريدة تيسر البحث في مجالات هامة من مجالات الحياة الفكرية والدينية لما كانت القيروان عاصمة المغرب الإسلامي . وعلى غرار ما كان متبعاً في المشرق وقفت مخطوطات القيروان على طلبة العلم ابتغاء وجه الله ورضوانه كما هو مدون على العديد منها . ويقع التنصيب كذلك على اسم الواهب وتاريخ تحييسه وربما ظروفه وأسبابه .

وتسمح بعض الكراريس المحفوظة بتتبع تاريخ تداول الكتاب ، وسلسلة الأسانيد في قراءته وسماعه وتعليمه وكيف قوبل بالأصل ، والحلقات التي قرئ فيها ، والعلماء الذين شهدوا ذلك .

وتزخر المكتبة بالمعلومات المتعلقة ببعض الكتب في الحديث والفقهاء المالكي ، وكيف أمكن تداولها بإفريقية ... وهي تشمل على أسفار علمية من أمهات كتب المذهب كالمدونة والمختلطة والواضحة والموازية والعتبية . وفيها قطع من جامع عبد الله بن وهب ، ومن الموطأ رواية سحنون عن ابن القاسم ، وقطعة من الموطأ رواية علي بن زياد التونسي ، وأجزاء عديدة من تفسير يحيى بن سلام ، ومن كتاب «التصاريف» ليحيى الحفيد ، وقطع من النوادر والزيادات ، ومختصر المدونة لعبد الله بن أبي زيد القيرواني ، وكُراس في الرد على الشافعي لابن اللباد (ت ٣٣٣هـ) وأدب القاضي والقضاة للهيثم بن سليمان ، وكتاب

« الأمالي » لابن الحداد، وكتاب أحكام القرآن للجهمي (ت ٢٨٠ هـ) إلى جانب سفرين من « الأسدية ».

ويشتمل القسم الثاني على عقود تتعلق بالمعاملات بين الناس، أو بعض التحاميس أو أصدقة، وهي تزخر بالمعلومات الحضارية حول المجتمع القيرواني من أواسط القرن الخامس إلى أوائل القرن الثالث عشر الهجري.

وكثيرا ما كان العلماء في ذلك الوقت ينسخون بأيديهم النصوص الهامة وهو ما يُمكن من تتبع الخطوط والعلم بأصحابها. وقد ثبت العديد من الكتب تحتوي على خط المؤرخ وكاتب السير المعروف أبي العرب. كما تميّز من بين الخطوط خط الحارث بن مروان الذي عاش في أوائل القرن الخامس الهجري. إلا أن ما يميّز المكتبة هي المصاحف المكتوبة على الرق، وهي مجموعة فريدة من نوعها يتراوح عمرها بين القرنين الثالث والسابع الهجريين. ويرجع أقدم مصحف مؤرخ إلى سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م، وهو يعرف بمصحف فضل، إلا أننا نكاد نوقن أن هنالك مصاحف أقدم منه يعود أحدها إلى أواخر القرن الثاني الهجري وهو مكتوب بخط حجازي.

ومجموعة رقوق القيروان هي بقايا مفككة ومجزأة لمصاحف كانت محبسة على جامع القيروان وبعض مساجدها، ويقدر عدد الباقي منها بمئة مثال.

ولعل أهم بقايا هذه المجموعة وأكثرها دلالة على الصناعات الفنية وعلاقتها بالموضع، هو ذلك المصحف الكبير الحجم الذي أعد باسم سيّدة رسمية في البلاط الصنهاجي، وذات أصول مسيحية، هي فاطمة حاضنة الأمير أبي مناد باديس بن المنصور. وأشرفت على تمويله ومتابعة العمل فيه كاتبها درة، وتولى

صناعته أحمد بن علي الوراق . وإذا كنا نعرف أن صناعة الكتاب تقوم على جملة من الاختصاصات والاختصاصيين كالمذهب والمزوق والخطاط والمجلد الذي يعمل كل منهم في حدود معرفته ويستكمل الثاني مهمته في الكتاب نفسه ، فإن هذا الوراق القيرواني الذي أنجز عمله الكبير سنة ٤١٠ هـ (١٠٢٠ م) قد شكل النص ورسمه وذهبه وجلده ، وهو عمل جد مهم على المستوى الفني ، خاصة أنه كتب هذا العمل الضخم بخط مولد من الخط الكوفي ، عرفنا اسمه لأول مرة محدداً ضمن السجل القديم الذي نشير إليه . وخاصية هذا الخط أنه مكتوب بقلم عريض القطة ، يوضع في هيئة ثابتة بحيث تتحرك اليد لترسم هيئة الحرف بدون أن تتغير زاوية القلم ، وبذلك تصبح أجزاء الحروف الواقعة فوق السطر غليظة هندسية الهيئة ، وما تحته دقيقاً ، بدون أن يخل ذلك بالجمالية والتناسب .

ومن مآثر مكتبة القيروان العتيقة المصحف المكتوب على الرق الأزرق بخط كوفي مذهب وجميل . وتبين الأبحاث الأولية أن الكتابة المذهبة قد أثبتت بفضل بياض البيض الذي استعمل كمادة ملصقة ، ثم أحيطت جوانب الحروف باللون البني لإبرازها وتحديدها . وقد صبغ المصحف بالنيل المستجلب من التجارة الهندية التي ازدهرت بداية من القرن الرابع الهجري خاصة . والمصحف الأزرق بالقيروان هو مثال فريد من نوعه في العالم ، ومختلف الأوراق موزعة في متاحف الأصقاع والتي تعود جميعها إلى أصل واحد كما يتضح ذلك من خلال مقاساتها وأبعادها وخطوطها وزخرفتها ومساطرها وموادها .

وحافظت مكتبة القيروان العتيقة كذلك على مصحف مكتوب بماء الذهب

مسطرتة ٥ ومقاساته ٢١ x ١٥، وهو يتميز بخطه الكوفي ومنمنماته الرقيقة والمزخرفة بأشكال هندسية بديعة.

كما توجد من بين هذه المجموعة مصاحف أميرية متميزة قد حبستها العائلة الصنهاجية على جامع القيروان، منها مصحف المز بن باديس، وقد ضمّته موقفه من الفاطميين بعد إعلان العصيان، ومصحف أم ملال عمه المز، ومصحف أم العلو أخته، ومصحف حاضنة أبي مناد باديس المذكور.

إن مجموعة المصاحف القيروانية تسمح بتتبع فنون الكتابة والصناعة والتذهيب والتجليد على امتداد خمسة قرون. وهي تمكن من التعرف على تطور الكتابة بالخط الكوفي، إلى جانب القراءات التي كانت سائدة بإفريقية خلال تلك الحقبة الزمنية.

وتحتوي هذه المكتبة كذلك على مجموعة من المخطوطات المتأخرة نسبياً والتي كتبت فيما بين القرن الخامس عشر وأواخر القرن التاسع عشر الميلادي وهي تشتمل خاصة على مصاحف مكتوبة على الورق كتبت في الفقه والأصول والنحو والبلاغة. وقد كان أغلبها مُحجّساً على جامع القيروان، والمدرسة الصحايبية، والمدرسة الغريانية، وتبرعت بالجزء الأوفر منها بعض العائلات القيروانية العلمية كآل بوراس، وآل صدام، وآل عظوم. ويبلغ مجموعها ما يربو على ٢٠٠٠ مخطوط.

إن تكامل مجموعة مكنتيات القيروان يجعلنا مؤهلين لإقامة متحف للكتاب العربي الإسلامي، حيث إننا نملك نماذج تمتد إلى ألف سنة.

تاريخها :

يظل تاريخ نشأة مكتبة الجامع الأعظم بالقيروان غير محدد بالنسبة إلينا ، لانعدام الوثائق والنصوص المبيّنة لذلك . ولا يمكن اعتماد وجود سماع على أحد أسفارها مؤرخ سنة ٢٣١ هـ لضبط هذا الأمر . ولا يستبعد أن توابك مكتبة الجامع الأعظم بالقيروان تطور المدينة ونمو الحركة العلمية بها . وربما وافق ذلك أواخر القرن الثاني للهجرة ، لتبلغ مكتبة القيروان العتيقة أوجها خلال العهدين الأغليبي والصنهاجي . وقد سلّمت هذه المكتبة بأعجوبة من غوائل الزمن خاصة بعد الزحفة الهلالية التي خرّبت القيروان ، فهجرها أهلها واندرس رسم عمرانها ، وبقيت هذه المجموعة كشاهد على مجدها التليد وازدهار العلوم فيها . وظل معظمها محفوظاً بجامع القيروان ، وربما أضيفت له بعض الكتب والمصاحف التي كانت توجد في مساجد بأطراف المدينة قد خربت بعد نكبتها .

وكانت هذه المكتبة تعرف في السجلات القديمة منذ سبعة قرون بـ « بيت الكتب » حيث مقصورة الجامع . وقد دخل هذا البيت الرحالة العبدري في سنة ٦٨٨ هـ فذكرها بقوله : « ودخلنا به (أي الجامع) بيت الكتب فأخرجت لنا مصاحف كثيرة بخط مشرقي ، ومنها ما كتب كله بالذهب ، ومنها كتب محبسة قديمة التاريخ من عهد سحنون وقبله منها موطأ ابن القاسم وغيره . ورأيت بها مصحفاً كاملاً مضموماً بين لوحين مجلدين غير منقوط ، ولا مشكول ، وخطه مشرقي بين جداً مليح طوله شبران ونصف في عرض شبر ونصف . وذكروا أنه الذي بعثه عثمان رضي الله عنه إلى المغرب ، وأنه بخط عبد الله بن عمر رضي الله عنهما » .

وقد سمحت الأقدار ببقاء كشف يحصي كتب هذه المكتبة ومصاحفها . وهذا الكشف مكتوب على الرق بالخط القيرواني مؤرخ بسنة ٦٩٣ هـ ، في إحدى عشرة صفحة ، منها الصفحتان الثانية والثالثة من ضمن ما ضاع وتلف من المكتبة في العصور المتأخرة . وقد تولّى الأستاذ إبراهيم شُبوح نشر تحقيق له ، يشتمل على تفصيل البيانات عن كل مجموعة ، وأسماء خطوطها ، ووصف ألوانها وجلودها والربعات الخشبية المبطنة بالجلد والحرير والتي كانت تحفظ فيها^(١) .

وبما عثر عليه في أوراق المكتبة ، وثيقة ثانية في ورقة واحدة مكتوبة بخط مغربي ، ولكن لا تزال فيه بقايا من الخط القيرواني الشرقي ، في إحصاء ما في المكتبة من المصاحف . وهذه الوثيقة مؤرخة في سنة ٨٠٩ هـ وبمقارنة ما اشتملت عليه هذه الوثيقة بما في الوثيقة الأولى المؤرخة في سنة ٦٩٣ هـ ، ظهر أن ما ضاع وتلف من المصاحف شيء كثير .

وفي سنة ١٨٩٦ م زار محمد بيرم بك القيروان ، ودخل جامعها ، وعابن بقايا كتب هذه المكتبة العتيقة ، فوصفها في محاضرة له ألقاها في الجمعية الجغرافية المصرية ، ونشرتها مجلة المقتطف في عدد شهر أبريل ١٨٩٧ م ، فذكر مصاحفها ، وأسفاراً عابنها مربوطة بالأمراس ، وأوراقها متداخلة في بعضها ، وعليها من نسيج العنكبوت والغبار ما شاء الله . وحين حُلّت له تلك الأمراس ، رأى أوراقاً من المصاحف مدهشة ، لم يسبق له أن رأى لها نظيراً في مكتبات

(١) إبراهيم شُبوح ، سجل قديم لمكتبة جامع القيروان ، القاهرة ١٩٥٧ .

العالم الإسلامي ومتاحفه . وتآلم لما شاهده من إهمال هذه الآثار النفيسة . وأفاد أن والده بيرم الخامس كان قد حدّثه عنها، وكان عازماً على تنظيمها وحفظها^(١) .

لذلك اهتمت سلطة الحماية بمكتبة القيروان العتيقة، فقام كاتب الحكومة العام M.ROY بتأليف لجنة لتنظيمها، وجمع الأوراق إلى نظائرها، وصُنعت لها محافظ بحجم كل مصحف طويلاً وعرضاً وكماً .

واتخذت إدارة الأوقاف في المدة اللاحقة عدداً من الإجراءات لتحسين ظروف حفظ المخطوطات وترتيبها ترتيباً جديداً، وتولى الشيخ محمد طراد إنجاز فهرس أولي لها سنة ١٩٣٣ . وقد ضاع أصل هذا الفهرس وبقيت صورة منه محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة، وأحضر الأستاذ إبراهيم شُبُوح صورة عنه، سلمها لأبنائه .

وقد عهدت جمعية الأوقاف الحافظة للمجموعة، بأمانتها إلى الشيخ محمود بن جريو، وبعد وفاته تسلمها السيد عثمان جراد .

وفي حوالي سنة ١٩٤٩ خصصت جمعية الأوقاف اعتماداً لتصوير بعض المحتويات من الكتب والوثائق، بإشراف محمد البهلي النيال، ومباشرة المصور مصطفى بوشوشة .

وبعد الاستقلال وحلّ الأحباس، نشط معهد الآثار، برئاسة ح . ح .

(١) البهلي النيال، المكتبة العتيقة بجامعة عقبة بالقيروان . مقالة صدرت بمجلة الندوة، السنة الأولى، العدد الأول، جانفي ١٩٥٣ .

عبد الوهاب ، فألحق مجموعة جامع القيروان ، ومحافظها السيد عثمان جراد ، بالمعهد . وبدأ في تكوين المتاحف الصغيرة الإسلامية ، فأخرج من القيروان كميات من الأوراق النفيسة لتكوين متحف دار حسين ، والقيروان ، وصفاقس ، والمنستير ، وإثراء متحف باردو ، بدون أن يكون هناك ضبط لما أخرج منها ، وما تحتوي عليه هذه المتاحف .

وفي سبتمبر ١٩٦٧ صدر الأمر عدد ٢٩٦ الخاص بتجميع المخطوطات بدار الكتب الوطنية بتونس . وقد فُسر الأمر خطأ ، إذ كان بالإمكان إلحاق المجموعات المخطوطة إداريًا بدار الكتب الوطنية ، مع إبقائها في مواقعها ، تأكيداً للخصوصيات الثقافية للجهات ، وحفظاً للمجموعات في مناخها الأصلي التي تلاءمت معه ، ونشر المختصين في شؤون الفهرسة والضبط لتسجيلها والتعريف بها .

وقد كلف مدير الدار وقتها السيد حمادي الزرقي شخصاً منتدباً للعمل - كان يعمل في سلك «الحلفاء» ، وأبعد بعد الحرب - هو السيد محمد العنابي ، فأقام بالقيروان فترة ، صحبة راقن من الجهة ، وصنع لها تَبْتَأً ، يذكر فيه المصاحف بعبارة : « مصحف على الرق ناقص الأول والآخر » !

ثم نقلها في عربة شحن إلى تونس ، وتفرّد بالعمل فيها وحده ، بطريقة لم تكن واضحة المنهج . وعندما فارق الإدارة ، تداول على قسم المخطوطات بعده السيد عبد الحفيظ منصور ، والسيد جمال حمادة الذي مكن منها القراء فيما بعد .

وعندما أعيد الأستاذ الشاذلي القليبي إلى الوزارة ، كُلف لجنة لمراجعة

أحوالها إثر انتشار بعض الشائعات ، تتكون من السادة : رشيد بن أحمد (مدير الإدارة المركزية) ، إبراهيم شيوخ ، سعد غراب ، عبد الحفيظ منصور ، جمال حمادة . وبدأت هذه اللجنة تجمع ملاحظاتها ، وتضبط عدد أوراق الكتب والمصاحف ومقاساتها وعدد سطور كلّ واحد منها للتوثيق .

أثناء هذا العمل أبدل وزير الثقافة بالسيد محمد اليعلاوي الذي أعاد فتح المجموعة للقراء ، وأقنعه أحد مستشاريه بأنه لا يوجد ريبة في الأمر ، فطويت الصفحة .

وفي ١٢ سبتمبر ١٩٨٢ صدر الأمر عدد ١٢٥٠ بإعادة مجموعة القيروان إلى موقعها ، وتكونت لجنة لضبطها وتسجيلها تتكوّن من :

عثمان جراد ، الباجي بن مامي ، مراد الرماح ، جمال حمادة ، عبد الحفيظ اليحيوي ، حميدة بن صميذة .

ونقلت إلى القيروان أوائل سنة ١٩٨٣ ، حيث أودعت في متحف رقادة . وبعد عرضها والتعريف بها في السنة نفسها ، بدأت مساعي مدير مركز دراسة الحضارة والفنون الإسلامية ، الأستاذ إبراهيم شيوخ ، لصيانة المجموعة . وأمكن منذ سنة ١٩٨٥ إقامة نواة مخبر متطور لترميم والصيانة بالتعاون مع جامعة قوتنغن بألمانيا . وقد توجت جميع هذه المراحل بإصدار أمر رئاسي بإقامة المخبر الوطني لترميم المخطوطات وصيانتها برقادة وذلك خلال شهر ماي ١٩٩٥ .

وقد هيّأت هذه المعطيات الظروف للقيام بتجربة فريدة ، قوامها أن التراث المخطوط بحاجة إلى نظرة متطورة لمفهوم الصيانة ، تقوم على أساس أن النص هو المادة التي تعني الباحثين ، أما الجانب المادي للكتاب ، وما يمثله من فنون ، فهو

وثيقة حضارية ينبغي أن تعامل حسب قواعد أخرى . فالمخطوط لا يقتصر على نص مهم يقرأ، وإنما هو شاهد قتي على عصره، بدءا بمواد صناعة الكتاب من رق أو ورق أو بردي، وتجليد وزخرفية وخط وحبر ونص.

إن علاقة الباحث يجب أن تكون بالنص المكتوب الذي يمكن استخراجه بالصورة، وعزل المخطوط عن التداول، على أن تُعرض نماذج فنية رائعة للعين البصيرة، عسى أن يستمتع بجماليتها الفنية. وهذه النظرة توافق ما قرره مؤتمر الآثار التاسع بصنعاء سنة ١٩٨١ حول الكتاب المخطوط. وقد بدأ الإعداد لتحقيق ذلك وتهيئة وسائله وأسبابه.

سبل صيانتها:

لقد استلزمت خطة صيانة المخطوطات وتسجيلها وتصويرها إقامة ثلاثة مخابر أو أقسام:

أ - مخبر التصوير والميكروفيلم.

ب - مخبر الترميم والصيانة والتجليد.

ج - قسم الفهرسة والنشر

أ - مخبر التصوير والميكروفيلم:

تتمثل مهمة هذا المخبر في أخذ صور لأهم النماذج وأجملها، وبداية عمل تسجيلي على الميكروفيلم لكامل المجموعة، بنية ضبط المصاحف المكتوبة على الرقوق واستنساخها، وكذلك الكتب العلمية، لتكون في متناول الباحثين. وقد

شملت عملية المسح ، بعد ست سنوات من العمل ، زُرع المجموعة . ونأمل أن يتحسن العطاء حتى يتم تصوير كامل المجموعة في خمس السنوات القادمة . وقد تلقى المركز من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - في نطاق مساعدة نداء صيانة مدينة القيروان - جميع آلات التصوير اللازمة من فرنسا . كما أن آلة الميكروفيلم قد تم اقتناؤها في نطاق برنامج التعاون التونسي الألماني .

ب - مخبر ترميم المخطوطات والرقوق :

أما في مجال الصيانة فقد تم تركيز المشروع في نطاق اتفاقية للتعاون أبرمت بين الحكومتين الألمانية والتونسية سنة ١٩٨٥ ، وذلك اقتداء بالمشروع الألماني اليميني المقام في صنعاء سنة ١٩٧٧ . وقد تم التنسيق في ذلك مع مكتبة قوتنغن التي عيّنت الأستاذ غونتر برانال Gunter Brannahl لمعاينة المجموعة ، والتعرف على مشاكلها ، وتكوين فريق من المرممين التونسيين ، وتأطيرهم ، وتركيز الآلات والأجهزة اللازمة . وبعد وفاة الأستاذ برانال كلفت السيدة كترر Ketzer بمتابعة العملية . وقد انطلق المشروع بتدريب ٤ من المرممين التونسيين في مكتبة قوتنغن ، تدرسوا بمشاكل مخطوطات المجموعات ، بعد التعرف على أمراض الرقوق والجلود وسبل معالجتها وتمثل أهمها فيما يلي :

- تقلص الرق بمفعول الرطوبة وإفرازه مادة لزجة Gelatineuse ينتج عنها استرخاء الرق وتغيير لونه نحو البني ، ثم يبدأ في التفتت والتقلص والتلاشي .
- تأثير حوامض الأحبار في الرق مما يسبب تآكل الكتابة .
- تكمش الرقوق وفقدانها لطلاقتها .

- تبيس التسابير (الأغلفة) الجلدية وميلانها إلى اللون الأسود .

- تأكسد الرخارف الفضية بمفعول الرطوبة .

أما فيما يتعلق بالورق فإن أمراضه لا تختلف عما هو متعارف عليه نتيجة مفعول الحشرات والبكتريات والأحبار .

وخلال فترة التدريب هذه التي تواصلت ستة أشهر بالنسبة لكل نفر، تم تركيز خمس وحدات :

وحدة التنظيف، وحدة ترميم الرقوق وصيانتها، وحدة ترميم الورق وصيانتها، وحدة التجليد، مخبر التحليل .

وقد تولت جمعية صيانة مدينة القيروان، بالتعاون مع المعهد الوطني للتراث، بناء الورشات اللازمة، وهي تغطي، إلى جانب البناءات السابقة والمخصصة للمخابر، ما يربو على ٥٠٠ م^٢ . وخصص الجانب الألماني اعتمادا قدره ٢٠٠٠٠٠٠ مارك، صرف ما يربو عن ١٢٠٠٠٠٠ مارك منه للأجهزة، و٤٠٠٠٠٠ مارك للمواد، ٤٠٠٠٠٠ مارك للنقل .

١- وحدة التنظيف :

تم تدعيم هذه الورشة بألة متطورة تمتص الأتربة، وأخرى تعمل بالأشعة تقضي على البكتريات في مدة ١٥ يوما .

وقبل تنظيف المخطوط من الأتربة والحشرات وغيرها، تُصنع له بطاقة فنية تحمل مواصفاته، وحالته العامة من تسفير ونوعية الورق والحبر والعوارض البادية عليه .

٢ - وحدة ترميم الرقوق وصيانتها :

تم تجهيز هذا المخبر بجهاز من ابتكار الأستاذ برانال الذي توضع فيه ورقة الرق لتبلغ رطوبتها نسبة ١٠٠٪ مما يكسبها الليونة اللازمة لمباشرة ترميمها ، ثم تنظف من الأوساخ والمواد العالقة بها ، بالماء والكحول ، أو تقطع عند الحاجة ، مع استبعاد كل المواد الكيميائية عنها ، ثم توضع في آلة ضاغطة بين أوراق لا تتكون من حوامض . وإذا ما تعلق الأمر بنماذج هامة ومتميزة ، فإنه يمكن ترميم المتهرئ منها برقاً مصنوع على نفس المثال العتيق . ويقع التركيز على ترميم الرقوق خلال فصلي الخريف والشتاء وبداية الربيع ، إذ تكون نسبة الرطوبة مناسبة .

وقد أمكن حالياً ترميم أربعة آلاف ورقة ، أو قطعة من الرق من مجموع ١٠٠٠٠ ورقة من المصاحف التي تحتاج إلى صيانة . وكذلك تمّ ترميم عدد آخر غير مضبوط من الكتب الفقهية ، لا يقل عدد أوراقها عن ٢٠٠٠٠ ، أي أن العمل على النسق الحالي يتطلب ثلاثين سنة على الأقل .

ويتولى أعوان المخبر صناعة مجموعة من الصناديق لحفظ المصاحف ، تعوض الصناديق السابقة التي كانت لا تفي بمقاييس الصيانة من حيث طريقة الحفظ ، وضرورة عدم احتواء الورق المقوى على مواد حامضة .

٣ - وحدة ترميم الورق وصيانتها :

تشتمل هذه الورشة على جهاز لتصفية الماء من الأملاح والرواسب المعدنية

حمولته ٢٠٠ ل، ويكرر ما يربو على ١١٠ ل في الساعة . ويستطيع تصفية ٩٩٪ من الأملاح، و٩٠ إلى ٩٥٪ من المواد العضوية والجراثيم . وهو يشتمل على أربع مصافي، ويرتبط بماجل (صهريج) تبلغ حمولته ٣٦٠٠٠ ل، يسمح بالاستغناء عن ماء الصنبور العمومي عند ضعف الضغط .

ويوضع الورق في حمام من الماء المصفى، حيث ينظف من المواد والحشرات والجراثيم العالقة به . وهناك جهاز خاص لرفع ثقب الورق بالألياف . ثم يوضع الورق للتجفيف على سلالم خاصة . أما الورق المكتوب بأحبار قابلة للتحلل، فإن ثقبها تُسدُّ بورق ياباني خاص . وتُعَدُّ هذه الطريقة شديدة البُطء، وقد تمكن فنيو الخبير من تطويرها .

٤ - وحدة التجليد :

جهزت ورشة التسفير والمجلود بكل ما تحتاج إليه من أجهزة، ومواد، للقيام بصيانة تقليدية ناجحة، واستخدام جلود خالية من المواد الحامضة . وأمكن تسفير (تجليد) ستين كتاباً من بين نحو ألف تحتاج إلى خمسين عاماً لإتمامها بالنسق الحالي . وقد تم في مرحلة أولى تغليف المخطوطات بالورق المقوى الحالي من الحوامض، انتظاراً للقيام بالتجليد اللازم .

ويحتوي الخبير على جهاز لقياس الحموضة، وعلى مجهر يشتغل بالأشعة الحمراء، وآخر يشتغل بالأشعة ما وراء البنفسجية، ويسمح بأخذ صورة دقيقة للمخطوط محل المعاينة .

أما فيما يتعلق بالمخطوطات، فقد وضعت في مخازن أمكن تتبوع نسبة الرطوبة، ودرجة الحرارة بها لمدة طويلة. وتبين أن الرطوبة بالقيروان تتراوح بين ٢٠ و ٨٥ في المئة، في حين يتأرجح معدل الحرارة بين ٧ و ٣٥، لتصل ٤٥ درجة في أغسطس، والي درجتين في الشتاء. وقد أمكن تعديل ذلك حسب الفصول، وحسب الأيام الممطرة، أو الجافة، فأمكن المحافظة على نسق طيب للرطوبة يتراوح بين ٥٥ و ٦٠ في المئة، وقلما يتجاوز ٧٠ في المئة؛ وعلى حرارة تتراوح بين ١٨ و ٢٥ درجة. وهذه المقاييس توافق المقاييس المعتمدة لدى أهل الاختصاص لصيانة المخطوط والمحافظة عليه.

وتعد مسألة تعديل الرطوبة والحرارة بالمخزن من أدق العمليات، لتأثيرها المباشر على المخطوط وانعكاسها على تمدده وبسطه. وتقاديا لذلك فقد تم تجربة وضع المخطوط في صندوقين متلاصقين، للحيلولة دون تعرضه لتغيرات في الحرارة والرطوبة واضحة وشديدة تؤثر على سلامته. وقد أثبتت التجربة أن هذه الطريقة يمكن اعتمادها بالنسبة لمجموعة القيروان في فصل الصيف فقط، حيث إنها تمكن من تخفيض الحرارة مقدار درجتين، فنلجأ إلى استعمال المكيف بصورة مكثفة، بما فيه من تأثير غير مستحب على المخطوط.

وسعيًا لمقاومة جميع أصناف الحشرات والبكتاريات، فإنه يتم تنظيف الرفوف بمداواتها كل ستة أشهر.

إن مشروع صيانة مخطوطات القيروان يتجاوز السنة السابعة من عمره، ورغم ذلك فإنه يُعدُّ أحد المشاريع الرائدة في مجال صيانة المخطوطات ببلادنا،

الذي حقق نجاحات ثابتة .

ومؤسستنا هي المؤسسة الوحيدة بالمغرب التي نجحت في إقامة مخبر للصيانة على أعلى مستويات هذا الفن . وإن الشباب المتخصص الذي تدرّب بألمانيا يعد من خيرة الفنانين المتمرسين في فنون الكتاب ، بشهادة أهل الاختصاص من الأوروبيين وغيرهم . إلا أن غزارة المادة التراثية تدعونا إلى زيادة الحزم في السعي لانقاذ تراثنا المخطوط من الضياع ، فالفريق الذي تم تكوينه متواضع عددياً ، والمادة المتوفرة يعسر صيانتها خلال جيل . ونقدر الحاجة إلى خمسين سنة على الأقل ، بقطع النظر عن توجه المركز الآن - من الناحية النظرية - لصيانة جميع المخطوطات المتواجدة بالبلاد التونسية، سواء كانت في مجموعات خاصة ، أو عمومية . وهذا النقص تشكو منه مختلف المراكز العربية الإسلامية المتخصصة في مجال صيانة المخطوطات .

وتدعو الحاجة الآن إلى التوجه نحو الدورات التدريبية مهما كان نفعها وفائدتها محدوداً ، وكذلك الاتجاه نحو التفكير الجدي في إحداث ثلاثة أو أربعة معاهد مختصة في مختلف البلاد الإسلامية تتولى تكوين الشبان تكونوا علمياً دقيقاً كل حسب اختصاصه .

ج - الفهرسة والنشر :

لم تحظ المكتبة بالعناية الكافية في مجال الفهرسة والنشر ، نتيجة صعوبة المادة وتداخلها ، كما أن المكتبة تمتاز بقيمتها التراثية التي تفوق قيمتها العلمية .

ومن المؤسف حقاً أن طوال قرن كامل لم ينشر للمكتبة فهرس ما . وقد تصدى مركز دراسة الحضارة والفنون الإسلامية للأمر، وانتدب ثلاثة أساتذة مختصين وزعوا على مجالات ثلاثة : الوثائق والكتب الفقهية القديمة المكتوبة على الرق ، ثم الكتب المخطوطة الحديثة نسبياً . وقد صممت استبانات مناسبة لهذا الغرض . ولم يتواصل عمل هذا الفريق إلا سنتين ، إذ لم نوفق في تجديد إلحاقهم بالمركز ، واكتفينا بأقدمهم وأكثرهم كفاءة وهو الأستاذ الصادق الغرياني الذي سبق أن عمل بدار الكتب الوطنية خلال الخمسينات . واتجهنا لفهرسة هذه المجموعة معتمدين طريقة التفضيل ، وإبراز الأهمية الوثائقية للنسخ الموجودة من حيث الجودة والصحة . وإبراز الجانب الفني المتصل بالتجليد والتنسيق والتحبيس والتملك وجودة الخط ، ليعين ذلك الباحثين في تاريخ الفنون ، ويساعد على التعرف على النماذج الصالحة لتاريخ الورق ، وتحديد مراكز الكتابة وتواريخها ، وغير ذلك من التاريخ الثقافي للبلاد .

ومع ذلك فقد تم فهرسة جميع الوثائق ، و ٩٠ في المئة من المكتبة العتيقة ، و ١٩٢٠ عنوان من مجموع ٢٣٥٠ عنوان من المكتبات الأخرى . وتتجه النية حالياً لتوقيع اتفاقية مع الهيئة الألمانية للأبحاث ، بالتعاون مع جامعة برلين ، لاستيفاء العمل ونشره .

وعلى الرغم من تفوق الناحية الأثرية في المكتبة ، فإن ذلك لم يمنع من تحقيق بعض نفائسها ، والقيام ببعض الدراسات حولها ، فقد تم تحقيق المخطوطات التالية عن نسخة وحيدة في المكتبة :

مكتبة القيروان العتيقة وسبل صيانتها

العدد	الاسم	المؤلف	المحقق
١	أدب القاضي والقضاء	الهيثم بن سليمان ت ٣١٠هـ	د. فرحات الدهشراوي
٢	الرد على الإمام الشافعي	محمد بن محمد بن البلاد ٣٣٣هـ - ٩٤٤م	د. عبد المجيد بن حمدة
٣	التصارييف	يحيى بن سلام	د. هند شلبي
٤	سجل قديم لمكتبة جامع القيروان		الأستاذ إبراهيم شيوخ
٥	موطأ مالك	رواية علي بن زياد ١٨٣هـ - ٨٢٨م	الشيخ محمد الشاذلي النيفر
٦	كتاب المحاربة من الموطأ	عبد الله بن وهب	د. موراني
٧	الجامع في علم القرآن	عبد الله بن وهب	د. موراني

كما نشرت بعض البحوث المتعلقة بالمكتبة ، كبحث حول محتواها ،
و د. ميكلوس موراني حول مصادر فقه المالكي ، وحول الماجشون بالاعتماد على
الرقوق المحفوظة بالمكتبة .

إن التراث العربي المخطوط هو تراثنا المباشر ، وهو تراث متصل غير منقطع ،

وتعبير عن الذات والهوية الثقافية، وليس في جملته تعبيراً عن الحقائق الثابتة . فهو «الماضي» بتاريخه وحضارته ومحتواه العقائدي، وهو جذر «الحاضر» بمنطلقاته وتركيبه الذهني ودفقه الروحي، وهو باستيعابه للعلم والمبدعات والقيم، مجال الوعي بحركة الزمان وفعالها، وما هيته من تجارب، لأنه إنجاز إنساني محض .

أن هذا التراث الضخم المكتوب، يسجل أيضاً قصة التطور الفكري من خلال محتواه، وهو من هذا الجانب صادق الدلالة في ضبط علاقة الفكر بالظروف الآتية لمجتمعاتنا . فقد تقلب هذا الفكر في مسيرته الطويلة، بين المتناقضات، فمن الشفافية والإشراق والدقة والنفاذ، إلى الانقفال والرهن، وكل ذلك مرتبط بالمتحولات؛ من النظم وطبائع الحكم، ومن مدى إدراك المجتمعات لمقاصد وأهداف المعرفة .

* * *

مجموعات المخطوطات

بالجامعات السعودية

علي علوي بافقيه*

المخطوطات في المكتبات الجامعية :

كان من مظاهر نشاط الحركة الثقافية والفكرية التي أعقبت ظهور الجامعات ، الاهتمام بالتراث اهتماما تمثل في جمع المخطوطات وحفظها وتيسير سبل الاستفادة منها للباحثين من داخل الجامعات وخارجها ، وأول هذه المكتبات هي مكتبة جامعة الملك سعود التي شرعت في بناء مجموعة مخطوطاتها منذ عام ١٣٩٠ هجرية مما دفع بها إلى إنشاء قسم للمخطوطات في عام ١٣٩١ هـ . وفي عام ١٣٩٣ هـ أنشئ قسم المجموعات الخاصة بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز في جدة ، وقسم المخطوطات في مكتبة جامعة أم القرى التي كانت في ذلك الوقت فرعاً لجامعة الملك عبد العزيز ، والأقسام الثلاثة السابقة تعد اليوم وحدات مستقلة ضمن عمادات شؤون المكتبات في الجامعات الثلاث . كما عمدت دار الكتب الوطنية بالرياض إلى إنشاء قسم مستقل للمخطوطات في عام ١٣٩٣ م . وأنشئ قسم المخطوطات في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عام

* هذا البحث جزء من متطلبات درجة علمية ، حصل الباحث بها على درجة الماجستير عام ١٤١١ هـ . وكان د. عباس صالح طاشكندي ، قد زكى البحث وقدمه لاجتماع الهيئة . وقد حررناه بما يناسب أهداف الاجتماع .

١٣٩٣هـ، وهو العام الذي أنشئت فيه عمادة شؤون المكتبات بهذه الجامعة. أما الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فإن قسم المخطوطات فيها تكوّن في عام ١٣٩٦هـ ضمن عمادة شؤون المكتبات. وفي العام نفسه أنشئ قسم المخطوطات في دار الملك عبد العزيز بالرياض. وكذلك شرعت جامعة أم القرى التي كانت فرعا لجامعة الملك عبد العزيز في تأسيس مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي الذي يُعنى بجمع المخطوطات وقد غير اسم المركز منذ عام ١٤٠٧هـ إلى معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي. وفي عام ١٣٩٩هـ اقتنت الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون مجموعة من المخطوطات أضيفت إلى مكتبتها بالرياض.

والواقع أن ذلك الوضع لا يختلف كثيرا عَمَّا حدث في أوروبا منذ أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، حينما ظهرت الجامعات الحديثة، فاحتضنت تراث أممها، فأقامت مكتبات ضخمة ضمت كل ما خلفته الأجيال السابقة من آثار مخطوطة. وظلت مكتبات الجامعات الأوروبية تؤدي هذه الرسالة حتى ظهرت المكتبات الوطنية. فانتقلت مسؤولية الحفاظ على تراث الأمة من المكتبات الجامعية إلى مكتبة واحدة تعتبر أم المكتبات في أي دولة من الدول وهي المكتبة الوطنية. وإذن فالمكتبات الوطنية في دول العالم الغربي هي المسؤولة عن تجميع تراث الأمم وحفظه وتيسيره للباحثين والدارسين، بل إن بعضها لم يقنع بمجرد التجميع والحفظ والصيانة، وإنما أضاف إلى ذلك مهمة نشر أممها كتب هذا التراث نشرا علميا دقيقا. والواقع أن المملكة من بين الدول العربية التي لا توجد بها مكتبة وطنية. ومن هذا المنطق تسعى مكتبات الجامعات إلى خدمة التراث عن طريق القيام بتجميع وحفظ المخطوطات، والتعريف بها وتحقيقها ونشرها.

وهذا يعني أن المكتبات الجامعية تنهض بما كان ينبغي على المكتبة الوطنية أن تقوم به إزاء تراث الأمة .

مصادر المخطوطات :

يسبق عملية الحصول على المخطوطات الأصلية إجراءات بحث شاقة تستغرق فترات زمنية متباعدة نتيجة قلة ما يعرض منها للبيع وتفاوت ذلك المعروض في جدارته بالاعتناء .

ولا تزال هناك بعض متاجر الكتب القديمة في بلدان عربية مثل المغرب وتونس تعرض مخطوطات للبيع ، كما أن شركة E.J. Brill التي تعد من شركات النشر والتوزيع الهامة في أوروبا تعرض مخطوطات عربية وشرقية للبيع بصفة دائمة . وتوفد المكتبات الجامعية السعودية المهتمة بأمر المخطوطات ، وهي الإمام محمد بن سعود ، والملك سعود ، وأم القرى ، والجامعة الإسلامية - مندوبين لها إلى مثل تلك المتاجر ، للبحث والشراء .

بالإضافة إلى هذا المصدر فإن بعض الأفراد ممن يتعاملون في بيع المخطوطات من داخل المملكة وخارجها يعرضون ما لديهم على تلك المكتبات لشراؤه .

أما الحصول على المخطوطات المصورة ، فرغم أن هناك مكتبات تفسح المجال أمام طلبات التصوير للمكتبات الجامعية السعودية ، إلا أننا في المقابل نجد مكتبات تمنع في التصوير ، إلا إذا كان لأفراد باحثين ، كما هو الحال في المكتبات الأوربية ، ومكتبات تركيا التي تزخر بالمخطوطات العربية .

ويعدّ التصوير مصدرا هاما لاقتناء هذا النوع من الأوعية ، وأكثر الجامعات التي

تركز عليه ، جامعة أم القرى من خلال البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي .

مقتنياتها :

أخذت المخطوطات تنمو نموًا تصاعديًا منذ عام ١٣٩٧/٩٦هـ ، فقد ارتفع عددها في مكتبات الجامعات ^(١) من ١٤٥٥٨ مخطوطة في عام ١٣٩٧/٩٦هـ إلى ٤٣٠٣٤ مخطوطة أصلية ومصورة ، إضافة إلى حوالي ١٦ ألف مخطوطة مصورة في مكتبة عمادة البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى في عام ١٤٠٠/١٤٠١هـ .

إن أكبر مجموعة من المخطوطات تضمها جامعة أم القرى ، حيث وصل عددها إلى حوالي ٢٧٨٨٤ مخطوطة أصلية ومصورة ، من بينها ١٦ ألف مخطوطة مصورة في مكتبة عمادة البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، وتأتي بعدها مكتبات جامعات الإمام ، والملك سعود ، والجامعة الإسلامية ، ثم جامعة الملك عبد العزيز .

وتصدر مكتبة الجامعة الإسلامية مقدمة القائمة حيث وصل عدد مقتنياتها من المخطوطات عام ١٤١٠هـ إلى ٣٤٨٤٧ مخطوطة . وتليها مكتبة جامعة أم القرى حيث تحوي عدد ٢٦٠١٨ مخطوطة ، ثم مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعدد ٢١٠٠٠ مخطوطة ، ثم مكتبة جامعة الملك سعود بعدد ١٨٥٠٠ مخطوطة ، وأخيرا تأتي مكتبة جامعة الملك عبد العزيز بعدد ٥٣٩٣ مخطوطة .

(١) يقصد الجامعات الخمس ، وهي : جامعة الملك سعود ، والجامعة الإسلامية ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وجامعة أم القرى ، وجامعة الملك عبد العزيز .

ويتفاوت حجم المقتنيات من المخطوطات في المكتبات عموماً بين مجموعات قليلة تتراوح ما بين العشرين إلى أقل من الألف مخطوطة، وأخرى متوسطة تتراوح بين الألف إلى ما دون خمسة آلاف، وثالثة كبيرة يصل مجموعها إلى أكثر من عشرة آلاف مخطوطة. ولا يحكم حجم المقتنيات قدم المكتبة، بل نشاطها وتركيزها على تنمية مجموعاتها.

وواضح أن بداية التسعينات الهجرية، هي الفترة التي شرعت فيها المكتبات الجامعية والبحثية في توجيه الاهتمام إلى جمع المخطوطات وحفظها. ولعدم قيام تنسيق بين الجهات التي كانت تطلب تصوير المخطوطات، حدث مكررات كثيرة. أما المجالات المعرفية التي تنوزع عليها هذه المخطوطات، خاصة الأصلية منها، فإنها تتركز على علوم الدين الإسلامي بالدرجة الأولى، ثم اللغة والنحو والصرف، فالأدب والتاريخ والجغرافيا، وأخيراً الطب والعلوم.

ولو تتبعنا مقتنيات مكتبات الجامعات من المخطوطات، لوجدناها تعالج - على وجه الدقة - الموضوعات المتنوعة التالية: القرآن وعلومه (القراءات، التجويد، التفسير)، الحديث وعلومه (مصطلح الحديث)، التوحيد (العقيدة)، أصول الفقه، الفقه ومذاهبه، علم الفرائض، التصوف، الفلسفة والمنطق، اللغة العربية (النحو، الصرف، البلاغة، العروض) والأدب، السيرة النبوية، التراجم، التاريخ، علم الحساب، الكيمياء، الطب، الفلك، الجيولوجيا.

كما أن الموضوعات الدينية كالفقه والعقائد والتفسير والحديث تمثل نسبة كبيرة من تلك المقتنيات، فهي تشكل على سبيل المثال ٦٣٪ من مجموع

المخطوطات المصوّرة في عمادة البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم
القرى، بينما تشكل الموضوعات الأخرى، وفي مقدمتها الأدب واللغة والتاريخ
. ٣٧٪.

إن الفهارس بأغراضها الحديثة كأدوات ضبط بيبليوجرافي يراد بها توثيق
الأعمال المخطوطة والتعريف بمضامينها، وبمواضع وجودها عن طريق استخلاص
عناصر محددة للوصف، لم تظهر في عالمنا العربي إلا في عصر متأخر.

ويمكن التوصل إلى أن كل محاولات الفهرسة، وإن كانت تتفق من حيث
الهدف في إصدار الفهارس الوصفية للمخطوطات، إلا أنها قد اتصفت بالتباين
والاختلاف من حيث المنهج وعناصر الوصف، ودرجات التحليل بالنسبة
لمضمون المخطوطات.

ويذكر أن فهارس المخطوطات في المملكة لم تدخل مرحلتها البيبليوجرافية
الكاملة إلا منذ أوائل التسعينات من القرن الرابع عشر الهجري.

وتعدّ مبادرة جامعة الملك عبد العزيز بجدة، عام ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م، في
إقامة معمل تدريب عملي لتدريب العاملين بمكتبات الجامعة على فهرسة
المخطوطات، بداية انطلاقاً جديدة في ميدان الضبط البيبليوجرافي للمخطوطات
في المملكة.

ومن مؤشرات العناية بالمخطوطات في المملكة قيام قسم المكتبات والمعلومات
في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بإيجاد
شعبة للمخطوطات يركز فيها على مواد حول المخطوطات لمدة أربعة فصول
دراسية، في المستويين الثالث والرابع.

وقد كان دافع الجامعة إلى تلك الخطوة، هو محاولة حصر المخطوطات في مكاتب الحرمين الشريفين، وإنجاز الفهارس البليوجرافية لها، تمكيناً للباحثين للاستفادة منها، وإخراج الأدوات التي تمثل ركائز البحث العلمي، وتوثيق التراث الوطني، وكان من نتيجتها قيام أفراد ممن يعملون في جهات مختلفة، بمسؤوليات إعادة فهرسة بعض المجموعات، والإشراف على إصدار فهارس وصفية للمجموعات، هي أقرب ما تكون إلى الفهارس البليوجرافية الحديثة.

التعاون بين المكتبات:

سبق أن ذكرنا أن مكتبة جامعة الملك سعود كانت أول مكتبة جامعية في المملكة تهتم بإقتناء المخطوطات وتصويرها وحفظها، واستطاعت الحصول على مجموعة من المخطوطات النادرة، من داخل المملكة وخارجها، بأسعار معقولة. وقد ظل قسم المخطوطات بمكتبة جامعة الملك سعود منفرداً بالنشاط في مجال المخطوطات حتى بدأت مكتبات الجامعات الأخرى مثل الإمام محمد بن سعود، والملك عبد العزيز، وأم القرى، والجامعة الإسلامية تدخل هذا المجال منذ عام ١٣٩٥هـ، مما أوجد تنافساً على الاقتناء. وسهل على تجار المخطوطات مهمة المزايمة. وحينما اتجهت مكتبات الجامعات السعودية إلى تصوير المخطوطات من الداخل والخارج، لم يحدث أي تنسيق فيما بينها، فحدث بعض التكرار الذي كان بالإمكان تلافيه، واستكمال النقص في المجموعات، لو أنها حاولت أن توجد نوعاً من التخطيط والتنسيق فيما بينها.

لقد بات من الضروري أن تتفق الجامعات على التعاون بالعناصر الرئيسية

التالية:

- ١ - التنسيق في مجال تصوير المخطوطات من خارج المملكة .
 - ٢ - التنسيق والتعاون في مجال تصوير المخطوطات في الداخل .
 - ٣ - تبادل المعلومات والفهارس .
 - ٤ - أن تزود كل جامعة الجامعة الأخرى بفهرس مفصل لكل المخطوطات الموجودة لديها ، مع إعطائها فرصة لقبول طلبات التصوير نيابة عنها للباحثين ، وطلبة الدراسات العليا .
- وهناك ميدان آخر ينبغي أن يتم التعاون فيه لصالح المخطوطات ، وهو ميدان الترميم والصيانة ، إذ إن أغلب الجهات التي تملك مخطوطات في المملكة ، تعاني من قلة عدد الفنيين المتخصصين في ترميمها . ويمكن اعتماد مركز الملك فيصل في الرياض مركزًا للمملكة للقيام بهذا الدور ، نظرًا لتقدم قسم الترميم والصيانة فيه ، على أن يتم الاتفاق معه على مراحل الصيانة والترميم المختلفة .

* * *

مخطوطات مكتبة الأسد الوطنية بدمشق

د . غسان اللّخّام*

تم افتتاح مكتبة الأسد الوطنية باعتبارها المكتبة الوطنية لسورية عام ١٩٨٤ . وكان أول قرار يتخذ في المكتبة هو نقل جميع المخطوطات المحفوظة في مكاتب الدولة إليها ، لأنها مزوّدة بمستودعات فنية تراعي درجتي الحرارة والرطوبة الملائمة لحفظ المخطوطات .

وبناءً على هذا القرار تمّ نقل جميع المخطوطات التي كانت موجودة في المكتبة الظاهرية بدمشق وعددها نحو ١١٠٠٠ مجلد ، والمكتبة الوقفية بحلب وكانت نحو خمسة آلاف مجلد ، ومديرية الآثار والمتاحف وكانت نحو سبع مئة مجلد ، والمراكز الثقافية وكانت أيضًا نحو سبع مئة مجلد . وبلغ مجموع ما نُقل إلى مكتبة الأسد نحو ١٨٠٠٠ مجلد .

ومنذ افتتاح المكتبة حتى الآن ورد إليها مجموعة من المخطوطات ، بالشراء أو الإهداء ، فأكمل ما في المكتبة نحو ٢٠٠٠٠ مجلد ، تتضمن نحو ٣٥٠٠٠ عنوان .

فيما يتعلق بصيانة المخطوطات وترميمها ، فإن قسم الترميم والتعقيم الموجود في المكتبة يقوم بذلك . والملاحظ أن جميع المخطوطات التي نقلت إلى مكتبة

* مدير عام المكتبة .

الأسد بلا استثناء، كانت مصابة بالفطريات الورقية، وكانت تحتاج إلى ترميم . إن قسم الترميم بالمكتبة يحتوي على ١٦ عنصرًا، تم تدريبهم على أصول ترميم المخطوطات، وفقًا للمدارس الروسية والألمانية والفرنسية والتركية، والهندية، بمعنى كان لدينا خبراء من هذه الدول تمّ الاستفادة من خبراتهم في هذا المجال .

وينتج فريق الترميم سنويًا من ستة آلاف إلى سبعة آلاف ورقة ترميم، وطبيعي أن يختلف الترميم من ورقة لأخرى، فهناك درجات صعوبة عالية، تتدرج إلى صعوبة خفيفة .

ويمنع نظام المكتبة وضع المخطوطات بين أيدي الباحثين . بل نصورها على ميكروفيلم، وهو الذي يطلع عليه الباحث . ولا يسمح للباحث بالاطلاع على المخطوط الأصلي إلا إذا كان مُحققًا ومعنيًا بتحقيق المخطوط، فبعد أن ينجز تحقيق النص والدراسة، نسمح له بالاطلاع على المخطوط لمعرفة نوع الورق وألوان الحبر، والشكل العام للمخطوط . وأولوية التصوير عندنا تصوير المخطوطات المطلوبة للباحثين أو للتبادل مع المكتبات الأخرى . وتتعامل في المكتبة مع الميكروفيلم والميكروفيش والاستساخ على الورق، وفق رغبة الباحث .

وعندما تم نقل المخطوطات إلى مكتبة الأسد وتجمع لديها هذا القدر الضخم من المخطوطات، لم يكن مفهرس منها إلا نحو خمسة آلاف مجلد صدرت فهارسها عن مكتبة الظاهرية . واستطعنا خلال السنوات المنصرمة فهرسة جميع ما لدينا من مخطوطات وفق منهج موحد، وبدأنا بطبع هذه الفهارس ونشرها، وصدر منها حتى الآن أربعة أجزاء في علوم القرآن . وقد أدخلنا في المكتبة حديثًا

نظام الحاسوب، وبدأنا في تغذيته بكافة المعلومات عن المخطوطات المحفوظة فيها.

ولدي اقتراح وهو أن يولي هذا الاجتماع عنايته بالمكتبات الخاصة للأفراد، والمحافظة على ملكيتهم إياها، وأن تعتنى الدول بصيانتها، وفهرستها ونشر هذه الفهارس. ويمكن أن تستأذن لتصويرها وحفظ صورها في مكتبات الدول الرسمية. ولدينا في سوريا تجربة ناجحة من هذا القبيل.

والاقتراح الثاني هو الاهتمام بفهرسة المخطوطات لدى المكتبات العربية، وتبادل هذه الفهارس، ليستعين بها الباحثون في الأقطار المختلفة. ويمكن لمعهد المخطوطات العربية أن يصدر فهرسًا عامًا لما في تلك المكتبات جميعها، بنظام فهرسة موحدة، وإدخال معلوماته في نظام حاسوب موحد.

والاقتراح الأخير أنه ينبغي على المكتبات العربية أن ترشد الباحثين عند رغبتهم في تحقيق المخطوطات، فيكون لديها دليل يكشف عمًا بحق منها، ويان محققها وطبعاتها والنسخ المخطوطة المعتمدة عليها، لتجنب التكرار وضياح الجهد. ونحن في مكتبة الأسد نقوم بإرشاد المحققين لما حقق من كتب التراث.

* * *

مخطوطات فلسطين

د . حمد أحمد عبد الله يوسف*

نعلم أن لبيت المقدس منذ القدم تميزاً إسلامياً، أصبحت من أجله مركز إشعاع حضاري، ثقافي وفكري، ووُجدت فيها مخطوطات كثيرة تناسب هذه القدسية، وهذا النشاط العلمي المرموق .

ولا يخفى أن هذه المخطوطات هي تراث الأمة، نحاول أن نحافظ عليه، ونصونه مما يتعرض له من نهب واستلاب، ونحاول أن نحفي مدارس بيت المقدس الفكرية، الحزبية الحزينة .

مخطوطات بيت المقدس :

كان للمسجد الأقصى مكتبة، تعد من أكبر مكتبات فلسطين، تحتوي على المخطوطات النادرة والكتب . وأضيف إليها من المجموعات القيمة :

مكتبة الشيخ محمد الخليلي (من علماء القدس، توفي سنة ١٧٣٤م)، وكانت تحتوي على ما يزيد على سبعة آلاف كتاب، كما ورد في وقفيته، منها نحو ٤٥٠٠ مخطوطة .

* عميد مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية ببيت المقدس .

ومكتبة الشيخ خليل الخالدي، المتوفى عام ١٩٤١م. وهو من الرجال القلائل الذين اهتموا بالخطوط وجمعها. طاف الوطن العربي بحثاً عن المخطوطات القيمة للاطلاع عليها واقتناء ما استطاع اقتناؤه. وقد تبشرت مكتبته بعد وفاته، وما سلم منها لم يتجاوز ١٥٠ مخطوطة أضيفت سنة ١٩٧٨م إلى مكتبة المسجد الأقصى.

وبعد ضم هذه المكتبة يُفترَض أن تحتوي مكتبة المسجد الأقصى على ما يقارب ٦٠٠٠ مخطوطة، غير أنها لا تحوي الآن إلا على ما يزيد على ألف مخطوطة، وسأفضّل لاحقاً وضع هذه المخطوطات وكيف تسربت وضاعت. أما مكتبات المخطوطات الأخرى فهي:

- المكتبة الخالدية: وهي غير مكتبة الشيخ الخالدي. تأسست هذه المكتبة سنة ١٩٠٠م بالقدس الشريف، وبلغ عدد كتبها ١٢ ألف كتاب، كما ذكر عارف العارف نقلاً عن نشرة مدير الآثار بحكومة فلسطين سنة ١٩٤٥م، وذلك عن طريق تجميع كتب العائلة الخالدية التي أنجبت الكثير من العلماء. وكان من بين هذه الكتب ما يقارب ٤٠٠٠ مخطوطة. وفي الكشف الذي أُعدّ سنة ١٩٧٣م تبين أن عدد كتبها ٦٠٠٠ كتاب مطبوع ومخطوط، منها ١٥٠٠ مخطوطة، والباقي وهو ٤٥٠٠ قد قُعد.

- المكتبة البديرية: تقع بالقرب من باب الناظر، أحد أبواب المسجد الأقصى. ويرجع الفضل في تأسيسها إلى الشيخ محمد البديري المقدسي، أحد علماء بيت المقدس. وقد سلّم من مخطوطاتها ما يبلغ عدده اليوم نحو ألف مخطوطة.

-
- مكتبة الشيخ علي بدر الدين الخطيب : تحتوي هذه المكتبة على مئة مخطوطة .
- مكتبة كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة القدس : تحتوي هذه المكتبة على نحو ١١٠ مخطوطة .
- مكتبة كلية العلوم والتكنولوجيا - جامعة القدس : تحتوي هذه المكتبة على ١٨ مخطوطة .
- مكتبة قسم الأبحاث بكلية الآداب - جامعة القدس : تحتوي هذه المكتبة على ٢٠٠ مخطوطة .
- أما مكتبات المدن الأخرى فهي :
- مكتبة المسجد الإبراهيمي الشريف - في مدينة الخليل : وتحتوي هذه المكتبة على ٨٦ مخطوطة .
- مكتبة يافا الإسلامية : كانت تحتوي هذه المكتبة على أكثر من ألف مخطوطة ، واليوم لا يوجد لها أثر ، فقد استولت الجامعة العبرية ووزارة الأديان الإسرائيلية على محتوياتها .
- مكتبة الجزائر - عكا : تحتوي الآن على حوالي ١٠٠ مخطوطة .
- مكتبة جامع الحاج نمر النابلسي - نابلس : تحتوي على حوالي ٧٥ مخطوطة .
- مكتبة مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية : تحتوي هذه المكتبة على ٦٠٠ مخطوطة أصلية ، بالإضافة إلى نحو ٣٥٠٠ مخطوطة مصورة .
-

هذه هي معظم المكتبات الموجودة في فلسطين والتي اهتمت بتجميع المخطوطات وحفظها ، ولكنها لم تستطع حفظ أكثر من نسبة بسيطة منها ، فمن بين ما يربو على خمسين ألف مخطوطة لم يبق الآن منها إلا ما يقارب ٨٠٠٠ ، ويعود السبب إلى ما يلي :

(١) إن الحروب التي مرت بها فلسطين بدءاً بالانتداب البريطاني وانتهاءً بالاحتلال الإسرائيلي لأرض فلسطين أتت على كثير من مخطوطاتها ، فكان يرافق القوات العسكرية مجموعة من الخبراء هدفها الاستيلاء على المخطوطات والسجلات والوثائق من المكتبات العامة والخاصة ومن المؤسسات ، مثل ما تعرضت له مكتبة يافا الإسلامية أثناء حرب ١٩٤٨م ، حيث نهب معظم مخطوطاتها وحولت إلى الجامعة العبرية وجامعة تل أبيب وغيرهما ، وكذلك مخطوطات مكتبة الشيخ محمد الخليل بالقدس التي وجدت أبوابها مكسورة بعد حرب ١٩٦٧م ، وبعد جرد محتوياتها تبين أن الكثير من مخطوطاتها قد نُهب من قبل جيش الاحتلال الإسرائيلي .

(٢) يضاف إلى ذلك نشاط السماسرة والمستعربين من الأوروبيين واليهود الذين نشطوا في شراء المخطوطات . ولم تقم مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية سنة ١٩٨٣م ، في ساحة الحرم القدسي الشريف ، ما بين باب حطة وفصل ، إلا لحماية هذا التراث ، فقمنا بتصوير ما يقارب ٣٥٠٠ مخطوطة على أشرطة مايكروفيلمية وفوتوكوبي لحفظها للأجيال القادمة . وكذلك باشرنا بتجميع المخطوطات الأصلية ، وكانت حصيلتنا في هذا المجال محدودة لضيق الإمكانيات المادية .

حالة المخطوطات :

يمكن القول أن نحو نصف هذه المخطوطات مصابة بمرض العث والأرضة والرطوبة بسبب سوء أوضاع التخزين، والجهل بطرق العناية بالمخطوطات فبعضها محفوظ في مخازن أشبه بالسراديب في الرطوبة ولا تصل لأماكن حفظها الشمس أو الهواء. مع الإشارة إلى أنه لا توجد صيانة أو ترميم لهذه المخطوطات باستثناء مكتبة الخالدي التي تجري صيانة مخطوطاتها في لندن، فضلاً عن فقدان سبل التبخير والتعقيم تماماً.

ولا شك أن قلة الفهارس المطبوعة لهذه المخطوطات تساعد على انتهائها. مع ملاحظة أن معظم مخطوطات فلسطين موجودة في بيت المقدس التي تتعرض في الوقت الحاضر إلى الاحتلال الإسرائيلي.

لقد حاولت في هذه العجالة أن أشير إلى بعض مشكلات المخطوطات في بلادنا. وهي مشكلات واضحة، تحتاج من المؤسسات العربية والإسلامية الغيورة إلى رعاية ودعم.

* * *

المخطوطات في دار الكتب المصرية

د. محمود فهمي حجازي*

اهتمت الدار منذ إنشائها عام ١٨٧٠م بالمخطوطات . فتجمع لديها منها - خلال ما يزيد على قرن من الزمان - قدر كبير، يُعدّ من أهم مقتنياتها، ومن أكبر المجموعات في الأقطار العربية .

بدأت الدار في جمع مخطوطات المصاحف والمخطوطات المختلفة العربية والفارسية والتركية، من المساجد والدواوين وخزائن الأوقاف . كما تلقت منذ تأسيسها مجموعات خاصة مهداة كمكتبة مصصفي فاضل، ومكتبة طلعت، والخزانة الزكية (أحمد زكي باشا)، والمكتبة التيمورية (أحمد تيمور باشا) . وبهذا أصبحت الدار أكبر مركز للمخطوطات العربية في مصر، تتكامل مجموعتها مع مخطوطات مكتبة الأزهر الشريف، ومكتبة جامعة القاهرة، ومكتبات الإسكندرية والمنصورة وطنطا ودمياط وسيناء ومدن الصعيد . وتقدر جملتها كلها نحو مئة ألف مجلد، تجعل لمصر مكانة متميزة في عالم المخطوطات العربية .

مصاحفها :

وفي طليعة مخطوطات الدار مصاحفها . وهي تكوّن مجموعة متميزة

* رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية .

منها، كتبت بمختلف الخطوط، وتوضح تاريخ نظام الشكل والتقط. بعضها كتب بالخط الكوفي على رَقٍّ من القرن الأول إلى الثالث للهجرة. وتقتني الدار مجموعة نفيسة من المصاحف المملوكية، والعثمانية، كتبت للسلطين، وأتقنت صنعتها حجمًا وخطًا وألوانًا وحلية وزخرفة. وهي تدل على تقدم فن النقش في عهد المماليك، وتقدم فن الخط وتشكيله في العهد العثماني.

نوادرها:

في مقتنيات الدار مخطوطات عربية نادرة، بعضها يرجع إلى القرن الثالث الهجري، منها أقدم مخطوط مكتوب على ورق، هو مخطوط الرسالة للإمام الشافعي، وهو أول كتاب في علم أصول الفقه. هذا المخطوط بخط تلميذه الربيع بن سليمان (٢٦٥هـ / ٨٧٨م).

وتضم مجموعات الدار مخطوطات نادرة، عليها خطوط أشهر العلماء والمؤلفين، مثل: البيهقي (المتوفى ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م)، والحريري (المتوفى ٥١٦هـ / ١١٢٢م)، والذهبي (المتوفى ٧٤٨هـ / ١٣٣٧م)، والغنيمي (المتوفى ٨٥٥هـ / ١٤٥١م).

وتضم الدار نوادر بخطوط أشهر الخطاطين، مثل: ياقوت المستعصمي (المتوفى ٦٨٩هـ / ١٢٩٩م)، وروح الله اللاهوري، وعبد الرحمن بن الصائغ. وتضم مخطوطات تمثل تراث العربية في المغرب والأندلس، منها مخطوط كتاب الأمامي لأبي علي القالي (٣٥٦هـ)، والمخطوط من سنة ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م.

وبعض نوادر المخطوطات العربية بالدار ذات قيمة عالية في تاريخ الفنون الإسلامية، لأنها مزينة بالصور التوضيحية، من بينها: كتاب العين لحنين بن إسحاق (المتوفى ٢٦٠هـ/٨٧٣م)، في الطب، ومسالك الممالك للإصطخري، في الجغرافيا، ونزهة المشتاق للإدرسي (المتوفى ٥٦٠هـ/١١٦٥م)، في الجغرافيا، والبيطرة لابن الأحنف، في طب الخيول، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (المتوفى ٣٥٦هـ/٩٦٧م)، في الأدب.

البرديات العربية:

تُعَدُّ مجموعة أوراق البردي من أهم المجموعات البردية في العالم، عثر عليها بكموم أشقوة، وتوضح كيف تطورت الكتابة بمصر في القرون الأربعة الأولى للهجرة، من اليونانية فقط إلى العربية واليونانية معا، ثم إلى العربية فقط، وكيف كانت حال مصر الاجتماعية من حيث علاقة الولاة بالخلفاء وعلاقة الرعية بعضهم ببعض من شراء وزواج وعتق:

أقدم هذه الوثائق يرجع إلى سنة ٨٧هـ/٧٠٦م، وأحدثها يعود إلى منتصف القرن الرابع الهجري. ونجد بينها كتاب «الجامع» في الحديث لعبد الله بن وهب وقد كتب في أوائل القرن الثالث للهجرة / أوائل القرن التاسع الميلادي، وهذا هو الكتاب العربي الوحيد المكتوب كله علي البردي، وقد عثر عليه في مدينة إدفو بأسوان.

الفهارس :

كان للدار جهود في فهرسة قدر كبير مما اقتنته من مخطوطات ، ومن أهم الفهارس التي أصدرتها :

- فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانه الخديوية (الفهرس القديم) .
- فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار، في ٩ أجزاء، منها ٨ تذكر المخطوطات مع المطبوعات .
- فهرس المخطوطات، نشرة بالمخطوطات التي اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦ - ١٩٥٥، في ثلاثة مجلدات .
- فهرس الفلك والميقات .

هذا غير ما صدر من فهارس للمخطوطات الفارسية .

وهناك فهارس متعددة الأهداف أعدت للمكتبات الخاصة المهداة، أو لمؤلفات شخصيات محددة مثل نور الدين الجامي، وابن سينا، أو لمجموعات صوّرت من جهات أخرى وأودعت مصوراتها بالدار. وقد تعددت هذه الفهارس، وتنوعت طرائق إعدادها. ويتم حالياً عمل الفهرس الشامل لكل مقتنياتها من المخطوطات، ليستوعب كل المخطوطات مسجلة على الحاسوب .

تحقيق التراث :

كان للدار منذ سنة ١٩١٤ دور رائد في تحقيق التراث العربي . ويُعدُّ

الكتاب الموسوعي صبح الأعشى للقلقشندي من أهم البدايات القوية لهذا العمل، ثم قام القسم الأدبي بعمل كبير في تحقيق عدد كبير من أمهات الكتب العربية. ونشأ مركز تحقيق التراث ليكتمل العمل في هذا المجال، وليقوم بتكوين أجيال جديدة من المحققين لتراثنا بأدق المناهج العلمية. وتنظم الدار دورات تدريبية في تحقيق التراث العربي يشترك فيها الجيل الجديد من الدار، ومن المعيدنين والمدرسين المساعدين بالجامعات، ويحاضر فيها أعلام المحققين، ويدربون الجيل الجديد في أعمال النشر العلمي للتراث العربي.

ومن أهم الكتب التي حققت بالدار: عيون الأخبار لابن قتيبة، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ونهاية الأرب للنويري، وكتاب الأغاني للأصفهاني، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي.

وتم تحقيق عدد كبير من الدواوين وكتب الأدب، والثقافة العربية، منها: ديوان زهير، وديوان تميم بن المعز، وديوان كعب بن زهير، وديوان مهيار الديلمي، وأشعار الهذليين، وديوان سحيم عبد بني الحسحاس، وأنساب الخيل لابن الكلبي، والأصنام لابن الكلبي.

ويتم حالياً تحقيق منتهى الطلب لابن المبارك، وهو أكبر عمل مرجعي للشعر العربي.

وتم تحقيق عدد كبير من كتب علوم اللغة، وهي: معاني القرآن للفراء، والفاضل للمبرد، والمعرب للجواليقي، والأمالى للقالى، والخصائص لابن جني. وتقوم الدار حالياً بإعادة طبع كل هذه الذخائر، واستكمال نحو عشرين عملاً متعدد الأجزاء من أمهات الكتب في التراث العربي، مع عمل الفهارس

الفنية المفصلة لما سبق نشره من التراث .

حصر المخطوطات :

وفي ظل الإدارة الحالية تمتعت المخطوطات بالتعميم حفاظًا عليها، وتطور القطاع الأمني للحفاظ على هذه الثروة بالمراقبة التليفزيونية، والحراسة البشرية، وتوفير أجهزة الإطفاء الآلي بالغاز، واستبعاد طريقة الإطفاء بالماء لعدم ملاءمتها للمخطوطات والوثائق .

كما تم إجراء حصر دقيق وجرّد منظم للمخطوطات، عام ١٩٩٥، فوجدت ٥٠٤٩٤ مخطوطًا بعد أن عولجت بعض الأوراق المفترقة واستُخرج منها عدد إضافي من المخطوطات، والدار في سبيل إصدار الفهرس الحصري لمخطوطاتها الذي يقع في نحو ألفي صفحة تم إعدادها بالفعل اعتمادًا على الواقع، مع بيان موجز عن كل مخطوط في سطر واحد .

قاعدة بيانات للمخطوطات :

أصبحت الاستفادة من الحاسوب في تخزين المعلومات وإتاحتها سمة من سمات العصر، وبالتعاون من مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار برئاسة مجلس الوزراء بدأ تنفيذ مشروع كبير لتسجيل كل المخطوطات المحفوظة بالدار بالقاهرة، طبقا لبيانات محددة، تم الاتفاق على أهميتها في لجنة علمية ضمت نخبة من علماء التراث، مع عدد من كبار المتخصصين في نظم المعلومات، ويتكامل هذا العمل مع ما يمكن أن يتم في مواقع مصرية أخرى، لنصل إلى قاعدة بيانات

المخطوطات في مكتبات مصر، تمهيدا لربط هذا كله بمكتبات العالم في إطار الاتجاه العالمي الجديد إلى المشاركة في المعلومات .

إن مشروع قاعدة بيانات المخطوطات الإسلامية بالدار الذي يتعاون في تنفيذه مركز المعلومات يهدف إلى إتاحة ما يأتي من خلال الحاسب الآلي ،
والوسائط المتعددة :

- العنوان أو العناوين البديلة مع الإحالة إلى الشروح والذبول الخاصة بالكتاب أو اختصاراته ، أو عن طريق استدعاء كلمة واحدة في عنوان الكتاب .
- اسم المؤلف أو كُنيتة أو لقبه أو نسبته أو كلمة في اسم المؤلف ، ومعرفة قائمة بمؤلفات المؤلف المطلوب والموجودة في القاعدة .

- الفن أو الموضوع وتفريعاته .

- تاريخ النسخ .

- المصاحف الشريفة .

- الإجازات العلمية .

- أسماء المحققين أو الناشرين للمخطوطات الموجودة في القاعدة وسبق

نشرها .

وقد تمت المرحلة الأولى من المشروع بحصر كل مخطوطات الدار في فهرس شامل موجز يكون بين يدي العلماء والمتخصصين في وقت قريب .

الصيانة والترميم :

لم تهتم دول العالم بقضية صيانة المخطوطات وترميمها إلا في السنوات الثلاثين الماضية ، وقد تطورت تقنيات الترميم في هذه السنوات بشكل واضح ، وتكوّنت مدارس واتجاهات تتفاوت من حيث مدى الإفادة من العلم والخبرة والعمل اليدوي والتقنيات المتقدمة . وفي إطار تعاون بين حكومة جمهورية مصر العربية (وزارة الثقافة) وحكومة اسبانيا بدأ تنفيذ أول مركز كبير لترميم المخطوطات ، وتم إنشاء بنيته الأساسية ١٩٩٥ ، وتم توريد الأجهزة سنة ١٩٩٦ .

إن العناية بمقتنيات الدار من صيانة وحفظ وترميم تقع على عاتق مركز بحوث الترميم والصيانة والميكروفيلم ، وهي على قدم المساواة وبنفس الدرجة من الأهمية لاقتناء المجموعات وتنظيمها ، وعند رصد الميزانيات للتزويد لا بد أن يراعى وبنفس الاهتمام رصد الميزانيات الخاصة بعمليات حفظ وصيانة وترميم المقتنيات نظرا إلى أن الصيانة خير من العلاج .

وتتطلب صيانة المقتنيات التقليل قدر الإمكان من الآثار السلبية للبيئة المحيطة سواء كانت عوامل بيولوجية ، أو عوامل كيميائية ، أو عوامل طبيعية .

والصورة المثلى التي سيقوم بها هذا المركز العالمي هو صيانة وترميم المخطوطات ، وتوفير وسائل حفظ جيدة لهذه الثروة ، مع تكوين أجيال تحذق هذا العمل الفني . وكذلك تصوير هذه المخطوطات جميعها على نسختي ميكروفيلم ، الأولى تكون بعيدة عن التداول تحسّبا لأي ظروف غير عادية (حروب ، حريق ، سرقة) ، والثانية - مع التكبير على ورق - لاطلاع الباحثين والتبادل .

لا يخفى أن تراثنا المخطوط يحتاج أولاً إلى الحفظ الجيد، ثم يحتاج بعضه إلى ترميم، تمهيداً لجمعه متاحاً بوسائط مختلفة تخدم الباحثين، ولا تلحق الضرر بالأصول المخطوطة النادرة.

التدريب على الفهرسة والتحقيق:

يهدف التدريب إلى تكوين جيل جديد من المتخصصين في هذه المجالات، وأخذ نمط جديد من التدريب في التكوّن في إطار تعاون وتكامل بين كبار المحققين وأساتذة الجامعات من أجل تدريب عدد من العاملين وأقرانهم من المعيدين والمدرسين المساعدين بالجامعات.

١- الدورات التدريبية على تحقيق التراث، مدة كل منها أسبوعان من العمل الكامل، يلتحق بها عدد من المعيدين والمدرسين المساعدين بالجامعات، وعدد من المشتغلين بتحقيق التراث من الشباب بمركز تحقيق التراث. ويدرس في هذه الدورة أكثر من ٢٠ من الخبراء في المجالات المتصلة بالتراث العربي. يتم الترشيح لهذه الدورة من خلال جهات العمل، ويتم تنفيذها في إطار برامج مركز تحقيق التراث بالدار. ويتضمن برنامج الدورة: مفهوم التحقيق. المخطوط العربية. توثيق المخطوط. التراث التاريخي. صناعة المخطوط. كتب التراجم. التكنولوجيا والتراث المخطوط. إخراج النص (التحرير والترقيم والتكشيف). المستشرقون الألمان والتراث العربي. التراث العربي والحضارات القديمة. التراث العلمي العربي. التراث الفلسفي. التراث الأدبي. المعاجم وأهميتها في التحقيق. التراث الديني. الخبرة المصرية في تحقيق التراث. المخطوطات

والحاسب الآلي . المستشرقون الفرنسيون والتراث الأدبي . جهود المستشرقين في التحقيق . تخريج النصوص وتحقيقها . الفهارس وبرامج الشيوخ . التراث العربي والشرق الإسلامي . خبرة مجمع اللغة العربية في تحقيق التراث .

وتعقب هذه الدورة الأساسية مرحلة تطبيقية تستمر لمدة يوم واحد أسبوعياً على مدى أربعة أشهر (مارس / إبريل / مايو / يونية) تتكون فيها مجموعات عمل متخصصة للقيام بتحقيق مرجع كبير في التراث العربي بإشراف نخبة من الأساتذة .

٢- الدورات التدريبية في فهرسة المخطوطات . مدة كل منها أسبوعان أيضاً من العمل الكامل . وتنظمها الدار . وتهدف هذه الدورة إلى تعميق المعرفة في مجال فهرسة المخطوطات العربية والشرقية والتدريب العملي ، وذلك من أجل تكوين مجموعة متميزة من المتخصصين لتنفيذ المشروعات في مصر والدول العربية والإسلامية وفي كل دول العالم التي تطلب التعاون في هذا المجال في إطار مشروعات ثنائية أو مشروعات إقليمية أو دولية ، ويُعطى المتدربون الأفضلية في تنفيذ هذه المشروعات ، ويحصلون بعد النجاح في الدورة علي شهادة بذلك .

يقبل بهذه الدورة متدربون ترشحهم جهات العمل التي تضم مكنتياتها مخطوطات عربية أو شرقية ، مثل دار الكتب ، ومكتبة الأزهر الشريف ، ومكتبات الجامعات ، والمراكز العلمية ، والمكتبات العامة ، بشرط حصولهم على درجة جامعية مناسبة .

يتضمن برنامج الدورة عددًا من المحاور الأساسية : تصنيف العلوم عند الغرب . الفهرسة في التراث العربي . الإطار المعاصر للفهرسة الوصفية . الفهرسة ونظم المعلومات . مكنتبات المخطوطات في مصر . ثقافة المفهرس . الفهارس

الأوربية للمخطوطات العربية والشرقية . فهرسة المخطوطات في الوطن العربي .
فهارس المخطوطات في العالم الإسلامي . مشكلات فهرسة المخطوطات والحلول
التطبيقية لها . تحقيق العنوان والمؤلف . فهرسة الشروح والحواشي .

أما القسم العملي فيتضمن تطبيقات عملية في أحد المجالات التخصصية :
علوم الدين . علوم اللغة . الأدب . الفلسفة والطبيعات والرياضيات . التاريخ .

مشروع قانون حماية المخطوطات وأوائل المطبوعات :

لا ينبغي أن نختم هذا الحديث المقتضب عن مخطوطات دار الكتب
المصرية ، قبل أن نشير إلى وضع مشروع قانون نموذجي لحماية المخطوطات
وأوائل المطبوعات . وقد كان هذا المشروع نتيجة خبرة طويلة في مجال
المخطوطات ، والتعرض لمشكلاتها المختلفة ، وعلاج هذه المشكلات . ونرجو أن
يأخذ هذا المشروع صفته القانونية حتى تستطيع الدار أن تخدم المخطوطات في
مصر ، وتحميها من التفرير والأتجار ، ومن عبث العابثين .

* * *

مخطوطات الإسكندرية

د . يوسف زيدان*

اهتمت في الآونة الأخيرة بمخطوطات مدينة الإسكندرية . أذكر منها مكتبة البلدية ، ومكتبة مسجد أبي العباس المرسي ، التي تضم مكتبات المساجد العامة في الإسكندرية ، وهناك أيضًا مجموعات خاصة ، وبعض المجموعات في المعهد الديني ، وغيره .

هذه المجموع الخطية ظلت لفترة طويلة دون عناية . وآخر عناية بها كانت فهرسًا أصدره محمد البشير الشندي وحصر فيه المخطوطات التي دخلت بلدية الإسكندرية حتى سنة ١٩٣٥ ، بمعنى مضي ما يزيد على ستين عامًا دون اهتمام .

لقد بدأ المشروع العالمي لإحياء مكتبة الإسكندرية ، وانتدب منذ عام ١٩٩٣ لهذا المشروع للعناية بالمخطوطات والكتب النادرة فيه ، وتمّ تدريب مجموعة من العاملين ، وبدأنا العمل في فهرسة مكتبة بلدية الإسكندرية ، واقتضى الأمر أولاً تصنيف هذه المخطوطات ، وأمکن بعد ذلك إنجاز الجزء الأول من المخطوطات العلمية ، ويتضمن توصيف نحو ٥٥٠ مخطوطة ما بين طب وفلك وزراعة وغيرها من العلوم الطبيعية . وسيصدر الجزء خلال أيام معدودة . وسيجد الباحث فيه كيف أن بعض المخطوطات الطبية محفوظة في المكتبة في فن أصول الفقه ، والفلك في التصوف ، وهذا آت من طبيعة اشتغال علماء التراث

* مستشار التراث والمخطوطات بمكتبة الإسكندرية .

العربي ، فالذين عملوا في مجال العلوم الطبيعية كان لأغلبهم اهتمام أيضًا بالأمر العقائدية كلاً ما وتفسيرًا .

إن مشروع فهرسة بلدية الإسكندرية قد أوشك على الانتهاء ، وبدأنا مرحلة نشر الفهارس المخطوطة .

أما مشروع فهرسة مكتبة أبي العباس المرسي ، فقد وصلنا فيه إلى منتصف الطريق تقريبًا . كان المرصود منها في سجلات المكتبة ١٦٥٠ مخطوطة ، ولكن الذي أخرجنا فهرسته حتى الآن نحو ألفي مخطوطة ، تشكل نصف ما في المكتبة تقديراً . وقد بذلنا جهداً غير عادي في فهرسة ما في الصناديق ، فضلاً عما في الرفوف .

وتقوم مكتبة الإسكندرية بترميم المخطوطات ، وقد بدأنا منها بما يحتاج عاجلاً إلى الترميم ، ورتب في خلال الأشهر الماضية ما يقرب من عشر مخطوطات من المخطوطات العلمية . إن أجهزة الترميم الإيطالية ، والمرمون الفنيون تدربوا في فرنسا .

لقد اعتذر د . محسن زهران مدير الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية عن عدم الحضور ، وحملني كلمة مكتوبة تحية لهذا الاجتماع ، ويقترح أن تهتم المكتبات العربية بتبادل المطبوعات التراثية ، خاصة الفهارس ، وكذلك مصورات المخطوطات على ميكروفيلم ، وتوحيد نظام بطاقة المعلومات عن المخطوطات التي تدخل في الحاسوب ، تمهيداً لانفتاح هذه الفهارس الإلكترونية - في الأقطار العربية - بعضها على بعض .

* * *

نفائس خزانة القرويين بفاس

أ . محمد بن عبد العزيز الدباغ*

تُعَدُّ خزانة القرويين من أهم الخزانات العالمية ، وقد أعطها الصفة الرسمية ، أبو عنان المريني ، حينما بنى لها مقرا بالناحية الشرقية من صحن الجامع ، عام خمسين وسبع مئة هجرية ، ووقف عليها كتباً شتى في مختلف العلوم الشرعية ، والفنون الأدبية ، وعلوم الفلك والهيئة والطب وغيرها ، وحدد فوق بابها - في منقوشة خشبية - الوظيفة التي ستقوم بها من حيث كونها تُعَدُّ مركزاً للقراءة والمطالعة والاستنساخ والمقابلة ، وظلَّت على حالها إلى أن نقلها المنصور السعدي ، في أواخر القرن العاشر الهجري ، إلى بناية أخرى جعل بابها قرب المحراب ، وأضاف إليها من الكتب العلمية والأدبية ، ما يفيد الطلبة وأهل البحث ، وشجّع العلماء على أن يودعوا بها ما يؤلفون من الكتب ليكون النفع عاماً ، وزاد رصيدها من المخطوطات أيام الدولة العلوية الشريفة ، فصرنا نجد على واجهات الكتب أسماء الواقفين من الملوك والعلماء والمحبيين ، رجالاً ونساءً ، من عهد المولى الرشيد ، إلى عهد الحسن الثاني نصره الله ، ولما زاد الإقبال عليها ، وضاق مكانها ، أضاف إليها محمد الخامس ، تغمده الله برحمته ، جناحاً كبيراً وهو المستعمل الآن للمطالعة ، وفتح لها باباً خارجياً متصلًا بساحة

• محافظ الخزانة .

الصفارين ، ليتيسر لكل الراغبين في المعرفة الاستفادة منها ، على اختلاف أجناسهم وألوانهم ودياناتهم ، فكثرت باحثو المكتبة للاطلاع على ما فيها من الكتب والوثائق ، وسجلوها في كشوف عامة ، وعرفوا بها ، وفتحوا آفاق المعرفة أمام المهتمين بالتراث الإسلامي .

واتجهت عناية المنظمات الثقافية إلى استنساخ صور من هاته المخطوطات ، سواء على الصعيد العربي ، أو على الصعيد العالمي ، فكان ذلك من أسباب الازدهار الفكري ، وصارت خزانة القرويين تشع من جديد ، وتكونت علاقة متينة بينها وبين مختلف الجامعات ، فصارت مخطوطاتها موضوعا للباحثين ، لأصالتها وتنوعها ، فهي تمثل الثقافة الإسلامية بكل شموليتها ، في مختلف العلوم الدينية والأدبية واللغوية والعلوم التجريبية من طب وهندسة وفلك .

وتحتفظ الخزانة أيضا بكتب ذات فن أصيل في الخط والتزيق ، تمثل مختلف الخطوط العربية ، وتوضح جانب الإبداع في الفن التشكيلي ، كما توضح خشوع الإنسان العربي حينما يتعلق الأمر بكتابة المصاحف القرآنية ، فيوجه عنايته إليها بكل دقة ورعاية . ومن أهمها المصحف الكوفي المسجل برقم ٨٧٦ ، ويرجع تاريخه حسب ما يبدو من شكله ومن مقارنته بنسخة شبيهة به توجد باسطنبول إلى أواخر القرن الثاني الهجري . وكذلك الجزء السابع عشر من المصحف المسجل برقم ١٩٦٦ المكتوب بخط مغربي مبسوط ملون بالذهب ، وفيه زخارف تُعَدُّ آية في الإبداع .

ومن أهم المخطوطات داخل الخزانة كتب لها قيمة تاريخية ، حيث ارتبطت بخزانات ملوك ، كان لهم وزن في تاريخ المغرب ، كبعض أجزاء من موطأ الإمام مالك ، كتبت لخزانة علي بن يوسف بن تاشفين على رقِّ غزال ، أسلّمها الجزء

المسجل برقم ٢٠٠٥. وكتاب محاذي الموطأ الذي ألقه المهدي بن تومرت، ووضعه في خزانته، ثم في خزانة عبد المؤمن بن علي، وهو مسجل برقم ١٨١. وقد أبدع ناسخه في كتابته، وفي وضع رسوم يختم بها كل باب من أبوابه تدل على جمال الذوق، ودقة القدرة على مزج الألوان، واستمرار نصاعتها على مرور الأزمان. وكتاب نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، لأبي بكر محمد ابن عزيز السجستاني المسجل برقم ٩٤٠، فنسخة منه كتبت لخزانة الأمير محمد بن عبد القادر الوطاسي سنة ٨٦٥هـ. زيادة على بعض الكتب التي ألفت في عهد العلويين الأشراف، مثل كتاب طبخ الأرباب الذي ألقه سيدي محمد بن عبد الله في شرح الحديث النبوي الشريف بني الإسلام على خمس إلخ... فكان كتابا يحمل في ثناياه صورة واضحة لمفهوم العقيدة وأسرار العبادات، وهو مسجل بالخزانة برقم ٧٤٦.

ومن المعلوم أن مخطوطات الخزانة منها ما بقي محافظا على شكله، ومنها ما أصيب بتلاش جزئي أو غالي، ولذلك كان من الضروري التفكير في علاجها وترميمها والعمل على لئم شتات ما يوجد منها. مع العمل على سرعة تصويرها وإتاحة الباحثين لهذه المصوِّرات، فلا تفسد المخطوطات لكثرة التداول والتناول.

لقد حفظت هذه المكتبة بين جنباتها نفائس النسخ من المخطوطات، وانتفع بها باحثون مغاربة ومشاركة ومشرقون، أخرجوها محققة، نذكر منها:

١- كتاب الفصوص، لأبي العلاء صاعد بن الحسن الربيعي البغدادي، المسجل برقم ٥٨٧. حققه الدكتور عبد الوهاب التازي عميد جامعة القرويين، وقامت بطبعه وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

- ٢- كتاب البيان والتحصيل ، لابن رشد الجد ، المسجل برقم ٢٠١١ . شارك في تحقيقه الأساتذة محمد حجي ، وأحمد الحبابي ، وأحمد الشرقاوي ، وسعيد اعراب ، ومحمد العرايشي ، وطبع عام ١٩٨٨ بدار الغرب الإسلامي .
- ٣- شرح ديوان المتنبي ، لابن الإفليلي القرطبي عثرنا عليه في خروم الخزانة وسجلناه في خروم القبة السعدية برقم ٥٧٠ المحفوظ بالصندوق التاسع والتسعين . ورغم تلاشيه أمكن الاستفادة منه ، لأنه النسخة العتيقة الموجودة من هذا الديوان ، وأتم في مادته من نسخ أخرى . وحققه الأستاذ محمد البوحمدي في كلية الآداب ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، في فاس .
- ٤- زهة القلوب في تفسير غريب القرآن ، وهو المشار إليه أثناء الحديث عن المخطوطات التي كتبت لبعض خزانات الأمراء بالمغرب ، المسجل برقم ٩٤٠ . وهي نسخة مبتورة ، مكتوبة على رقّ غزال ، بخط أندلسي جميل . وكانت مسجلة لمؤلف مجهول برقم ١٤١٩ .
- ٥- كتاب المثلث ، لابن السيد البطلانيّسي ، المسجل برقم ٥٣٨ . حققه الدكتور صلاح مهدي علي الفرطوسي (عراقي) . وكان منتدبا للتدريس بكلية الآداب بفاس . وقد طبع سنة ١٩٨١ في بغداد .
- ٦- كتاب مختصر العين ، لأبي بكر الزبيدي الإشبيلي ، المسجل برقم ١٢٣٨ حسب الترقيم الجديد . وقد اعتمد على هذه المخطوطة محمد علال الفاسي ، ومحمد بن تاويت الطنجي أثناء تحقيقهما الجزء الأول منه . واعتمد عليها الدكتور صلاح مهدي علي الفرطوسي ، لنفاستها ودقتها ، وطبع الجزء الأول في بغداد ، سنة ١٩٩١ م .

٧- كتاب السير، لأبي إسحاق الفزاري، المسجل برقم ١٩٦٨. حققه الدكتور فاروق حمادة، وطبع في بيروت عام ١٩٨٧.

٨- كتاب الوثائق والسجلات، لمحمد بن أحمد الأموي، المعروف بابن العطار، المتوفى سنة ٣٩٩. وهو مسجل برقم ٤٧٠. شارك في تحقيقه شالميتا ود. كورينطي، ونشر بمدريد، عام ١٩٨٣.

وحسبنا من الأمثلة ما ذكرنا، لندلل على قيمة ما تحتويه هذه الخزانة من نفاثس. غير أننا ننتبه إلى أن أحد هذه الكتب المحققة، وهو شرح ابن الإفليلي القرطبي لديوان المتنبي، قد أخرجناه من خروم الخزانة، وهي عبارة عن ملفات وأوراق مبعثرة ومختلطة، تتنوع أحجامها وفنونها، تحتاج إلى مفهرس، واسع الثقافة، ذي صبر وأناة لاستخراج كتب كاملة.

إن هذه المكتبة تحتاج إلى ترميم وإصلاح، ومخطوطاتها تحتاج إلى تصنيف وترتيب وفهرسة. كما تحتاج إلى المقومات الأساسية لمسيرة العصر، وتزويدها بمخاير للترميم والصيانة والتجليد والتصوير والاستنساخ، وفريقي عمل مدرّب للفهرسة وإرشاد الباحثين. من أجل هذا كله تأسست لجنة على مستوى عالٍ من كبار المسؤولين، وخبراء البلاد، لنقل هذه المكتبة نقلة حضارية كبيرة.

* * *

المخطوطات في الجزائر

د. عبد الكريم عوي

إذا كان التراث العربي والإسلامي قد لقي العناية الكاملة في كثير من البلدان العربية والإسلامية، لا سيما المخطوطات التي تشكل دعامة الأساسية، فإنه في الجزائر مازال لم يلق العناية نفسها، إذ إن المحاولات التي قام بها بعض الأفراد لم تكن في مستوى كنوز التراث التي تحتفظ بها المراكز الرسمية وغير الرسمية، ولذلك يحق لنا أن نقول: إن من يريد الوقوف على واقع المخطوطات اليوم في الجزائر، سيصاب بخيبة أمل وبالدهشة والعجب؛ لأن مخطوطات الجزائر على الرغم من كثرتها وتنوعها وعلو قيمتها الفكرية، فإنها محاطة بجملة من الظروف التاريخية والثقافية والطبيعية والبشرية، حجبتها عن أعين الناس عبر أزمنة طويلة، بقيت فيها حبيسة الرفوف والدهاليز والصناديق الخشبية والأكياس تتعرض للتلف والضياع، بل الموات كلما مرت السنون.

ومن الأسباب التي جعلت المخطوطات الجزائرية على الحال المذكورة:

١- عامل الاستعمار: لقد عمل المستعمر الفرنسي على إحلال الفرنسية محل العربية، وطمس معالم الشخصية العربية الإسلامية طيلة فترة الاحتلال، ومازال أثره يسري في المجتمع الجزائري إلى يوم الناس هذا. فالمستعمر حرق آلاف المخطوطات والوثائق، كما هرب آفاقاً أخرى للإنتفاع بها، وكل ذلك

* من معهد اللغة العربية وآدابها - جامعة باتنة .

لقطع الصلة بين الفرد الجزائري وتراثه الخالد . والحديث في هذا العامل يطول لو استعرضنا صورته المختلفة .

٢- عامل الطبيعة : نعلم جميعاً أن بقاء المخطوط مدة طويلة دون حفظ وعناية ، أمر يعجل باندثاره ، ويسلمه لعاديات الزمن ، فتأتي الأرضة والرطوبة والحشرات والإصابات الجرثومية عليه ، فيستحيل بعد مدة إلى هشيم ، فأغلب المخطوطات التي سلمت من أيدي المستعمر كانت نحفوظة تحت الأتربة ، والكثير منها مازال مدفوناً ولم يُعرف سبيله ، لأن الذين دفنوه ماتوا في عهد الاحتلال .

٣- العامل البشري : يعد الإنسان شريكاً في بقاء المخطوطات في الجزائر على الصورة السلبية المذكورة ، لأن مالكيها يعتقدون أنها ملك كالأرض الموروثة ولا يحق لأحد أن يقترب منها . إنهم يجهلون قيمتها الفكرية والحضارية ، ولذلك فالكثير ممن يحتفظون بالمخطوطات يصدّون من يريد الإطلاع عليها ، ويفضلون الإبقاء عليها كما هي ، يتركون بها ؛ لأنها تحمل ريح الأولين .

والغريب في الأمر أن ناساً كثيرين ممن يؤمنون ببيت الله الحرام ، يأخذون معهم مخطوطات ويبيعونها بأبخش الأثمان لشراء أرذل المتاع .

٤- انصراف الجهات الرسمية في الدولة عن الاهتمام بهذه الكنوز ، كأن الأمر لا يعينهم رغم وقوف بعض المسؤولين على القطاعات الثقافية والتربوية من حين لآخر على مخطوطات في المعارض التي يتفقدونها ، وكأن المخطوط في نظرهم ليس إلا تحفة أثرية ، مضررين عن قيمته العلمية .

إن هذه العوامل وغيرها ساعد على « تقزيم » تراثنا ، وهو أمر خطير ينبغي أن

يتداركه أولو الأمر، لأن مراكزه - على اختلاف أنواعها؛ من زوايا وخزانات ومكتبات ومساجد وقصور وأضرحة وأقبية وكتاتيب - ملأى بالوادرات التي تمثل شتى فنون العلم والمعرفة، وهي المرآة العاكسة لحضارة أمتنا عبر الأعصر المختلفة.

فالدارس إذا أراد الوقوف على أماكن وجود المخطوطات في الجزائر فإنه يجدها في كل مركز علمي ينشده، إذ تنتشر المخطوطات عبر ربوع الوطن شمالاً وجنوباً، وشرقاً وغرباً، ولا يمكن القول بوجودها في منطقة دون سواها، باستثناء الفارق في الكمية، إذ تمتاز بعض مناطق الجنوب في الصحراء بكثافة المخطوطات في مراكزها العلمية، ولا يخلو بيت من وجود عدد من المخطوطات في علوم الشريعة واللغة والأدب والفلك والمنطق والسير والتراجم والتفسير والحديث والفقه، وغير ذلك من الفروع التي تفرعت عن هذه الأصول.

وكما قلت فإن مراكز المخطوطات في الجزائر مازالت مجهولة، وما عرف منها عدد قليل، لأن البحث في مجال التراث المخطوط محفوف بجملته من العوائق مما ذكرنا سابقاً، كما أن العمل في هذا الحقل لا يلقى التشجيع الكافي.

مراكز المخطوطات

لما كان التقرير لا يتطلب تفصيلات، فإنني أحاول تقديم أسماء المراكز التي تم الوقوف عليها، أو تناهت إلينا أخبار عنها، من خلال المصادر الشفوية أو المكتوبة، مع ذكر العدد الإجمالي للمخطوطات التي يحتفظ بها كل مركز، إذا توفر. وسوف أعتنى بمركز أو اثنين تفصيلاً لتقريب الصورة للباحثين والمهتمين بالتراث. وهذه المراكز يمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسيين، هما: المراكز الرسمية،

والمراكز الخاصة .

(أ) المراكز الرسمية :

وأعني بها المكتبات العامة التي تشرف عليها هيئات رسمية وعمومية ، ومن أبرزها :

١- المكتبة الوطنية الجزائرية :

وهي المؤسسة الأولى في البلاد التي تُعنى بالمخطوطات ؛ جمعتها وفهرستها ودارسة ، وتحفظ بأكثر من ثلاثة آلاف مخطوط في شتى فنون المعرفة الإنسانية ، كما توجد بها مئتان وثلاث وستون رسالة من الرسائل المتبادلة بين الأمير عبد القادر الجزائري والقادة الفرنسيين ، وغيرها من الوثائق العامة .

تحفظ المكتبة اليوم بثلاثة آلاف وست مئة وعشرين مخطوطة (٣٦٢٠) . وأقدم مخطوط فيها هو مصحف من القرآن الكريم كتب على رقّ غزال بخط مغربي في القرن الخامس الهجري .

أما فهراس المخطوطات فإن المكتبة تحتفظ بفهرس «فانيان» الذي طبع سنة ١٨٩٣م ، وهو الذي يستعمله الباحثون ، ولنفاذه تم إعادة طبعة سنة ١٩٩٥م . وفي إطار البحوث ورسائل التخرج لنيل شهادة الليسانس أنجز عدد من الطلبة والطالبات أربعة فهراس جديدة لبعض مخطوطات المكتبة تخص المجالات الآتية :

علوم القرآن والتفسير والسيرة والحديث . الأدب . النحو . علوم أخرى كالفلك والتاريخ ...

وفي المكتبة مخطوطات قديمة باللغتين التركية والفارسية . وتسعى المكتبة إلى اقتناء مخطوطات جديدة عن طريق الشراء والهدايا ، فقد تحصلت في منتصف ديسمبر ١٩٩٦م على ثمان مخطوطات من إهداء وزارة المجاهدين . كما تعمل على الاستفادة من الأجهزة العلمية الحديثة في تخزين المعلومات والقراءة باستعمال الحاسوب والسكانار وغير ذلك من الوسائل كالميكروفيلم والميكروفيش .

وعلى سبيل المثال أذكر بعض الخزانات التي تحتفظ بها المكتبة الوطنية :

١- مكتبة الأمير عبد القادر (٢١) مجلدًا .

٢- مكتبة ابن رحال (٣٨) مجلدًا .

٣- مكتبة ابن حمودة (٢٢٠) مجلدًا .

٤- مكتبة جورج دلفان (٣٢) مجلدًا .

٥- مكتبة ابن دادوش (٢٣٥) مجلدًا .

٦- المكتبة المركزية في جامعة الجزائر :

وهي من أوائل المكتبات الجامعية في البلاد التي عملت على جمع المخطوطات ، لكن فرنسا أحرقت كثيرًا منها ، ولا نعلم شيئًا عن العدد الإجمالي لما تحتفظ به من مخطوطات اليوم .

٣- المكتبة المركزية في جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة :

فيها مئة وخمسون مخطوطة .

٤- المكتبة المركزية في جامعة عين الباي بقسنطينة :

فيها ثمان وأربعون مخطوطة .

٥- مكتبة نظارة الشؤون الدينية بباتنة :

فيها سبعون مخطوطة ، وقد أعددت لها فهرسًا ، ونشر في مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد ٣٩ ، الجزء الثاني ، سنة ١٩٩٦ م .

٦- مكتبة المركز الثقافي بقسنطينة :

فيها مئة وسبعون مخطوطة ، وقد علمت أن وزارة الشؤون الدينية نقلتها إلى مديرية التراث بالوزارة ، وللمكتبة فهرس أعدّه بعض طلبة علم المكتبات في جامعة قسنطينة ، وقمت عليه أخيرًا في المركز الثقافي الإسلامي بالعاصمة .

٧- مكتبة ثانوية ابن زرجب بتلمسان :

فيها مئة مخطوطة :

٨- مكتبة جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية بأدرار :

فيها مخطوطات كثيرة ونفيسة لعلماء من المنطقة ، ولم أتمكن من الوقوف على العدد الإجمالي لمخطوطاتها ، وهي في نماء مستمر بفضل مجهودات الجمعية .

٩- مكتبة مديرية التراث بوزارة الشؤون الدينية في العاصمة :

وهي من المكتبات الغنية بالمخطوطات ، لأن الوزارة جمعت فيها المخطوطات من المراكز الثقافية ، وبعض المساجد من أنحاء عدة في الوطن ، ولم أتمكن من الوقوف على جملة المخطوطات التي تحتفظ بها .

١٠- مكتبات نظارات الشؤون الدينية في الولايات :

وهي موجودة في كل ولاية من ولايات الوطن ، بعضها نقلت إلى وزارة الشؤون الدينية .

١١- مكتبات المساجد الكبرى :

لا سيما مساجد الجنوب ، وكذا في بعض المدن الكبرى في المناطق الأخرى . ويغلب على هذا النوع من المخطوطات طابع العلوم الشرعية واللغوية .

١٢- مكتبات بعض المراكز الثقافية ودور الثقافة في الولايات :

وهذا النوع من المكتبات يحتفظ بعدد قليل من المخطوطات لأنها حديثة النشأة ، والعناية بجمع المخطوطات أمر لا يعرف قيمته كثير من الناس في مجتمعنا .

١٣- المكتبات والخزانات العامة في القصور والأضرحة في مناطق

الجنوب :

كأدرار ، وتمراست ، وتندوف ، وبشار ، وإيليزي ، والوادي ، وورقلة . وهذا النوع من الخزانات تنتشر بكثرة وتزخر بأنفس المخطوطات .

١٤- مركز الوثائق التاريخية :

يوجد المركز في الجزائر العاصمة ، وهو يحتفظ بعدد كبير من المخطوطات والوثائق تخص مجالات معرفية متنوعة .

١٥- متحف المجاهد في الجزائر العاصمة :

وهو من المتاحف الكبرى في الوطن ، وقد سعى القائمون عليه على جمع الوثائق والمخطوطات من أنحاء مختلفة ، لتحفظ فيه .

هذه بعض المراكز الرسمية التي تحتفظ بالمخطوطات ، وتشرف عليها جهات رسمية في الدولة ، وهناك مراكز أخرى لم تتمكن من الوقوف عليها . وأشير إلى أن المخطوطات في هذه المراكز وغيرها لا تخص مجالاً معرفياً معيناً ، بل تشمل العلوم المختلفة ، وفيها المخطوطات المفردة ، والمجاميع ، وهي متنوعة المعارف . وأغلب هذه المكتبات لم تُعدّ فهارس فنية لمخطوطاتها ، وما أُعدّ لها من فهارس فهو في حاجة إلى إعادة نظر لتسهّل مهمة الباحثين .

(ب) المراكز الخاصة :

إن المخطوطات في المراكز الخاصة ، قياساً بالمراكز العمومية كثيرة ، وهي تنتشر في ربوع الجزائر شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ، ولا سيما في مناطق الجنوب . ومن أهم هذه المراكز :

١- الخزانات الشعبية في منطقة أولف بالجنوب :

تمتد منطقة أولف بين توات غرباً وعين صالح شرقاً . وأغلب مخطوطات هذه الخزانات تعرضت للأمطار الطوفانية التي نزلت بالمنطقة سنة ١٩٦٥م ، فأتلقت أعداداً كبيرة منها ، وما سلم منها تعرض للمحو والرطوبة . ويمكن تقسيم هذه الخزانات إلى المجموعات الآتية :

أولاً : خزائن بلديتي : أولف وتمقطن :

ومنها :

أ- خزانة سيدي أحمد العالم (ت ١٩٤٢هـ) :

فيها أربعون مخطوطة في علوم الشريعة واللغة والطب والتصوف وعلوم

أخرى، وقبل النكبة كانت عامرة بالمخطوطات.

ب- خزانة الطالب دادة سيدي أحمد (ت ١٩٥٣):

جلُّ مخطوطات الخزانة تلفت بسبب النكبة المذكورة، إذ سقط عليها سقف المنزل، ولم يبق منها إلا ست مخطوطات في الفقه واللغة.

ج- خزانة الشيخ الباي بالمدرسة القرآنية:

مجموع المخطوطات فيها اثنتان وعشرون مخطوطة، جلبت من خزانة ساهل أقبلي، وهي محفوظة بطريقة جيدة، وتشمل الفقه والتاريخ والحديث والعربية وغيرها من العلوم.

ثانياً: خزائن مرتبطة بالعائلات:

منها:

أ- خزانة الطالب محمد بن أحمد الأغزيوي:

وتحتفظ بعشر مخطوطات؛ ثلاث في التاريخ، وسبع في الفقه.

ب- خزانة عائلة باشيخ بتقراف:

وفيهما سبع عشرة مخطوطة في الفقه والحديث واللغة.

ج- خزانة الشيخ عبد الرحمن بن محمد البرمكي:

وهو من أقطاب العلم في المنطقة، وصاحب التأليف الكثيرة، وتحتفظ بست مخطوطات. أما مؤلفاته فتوجد في مركز دراسات أحمد بابا بتمبكتو.

ثالثاً : خزائن بلدية أقبلي :

منها :

أ- خزانة عائلة عقباوي بزواوية بونعامة :

تربط هذه الزاوية بقبيلة كتته التي تنتمي للفاتح عقبة بن نافع الفهري ، أسست سنة ١٠٦٠ هـ ، وتحتفظ اليوم بستين مخطوطة ، في علوم الشريعة واللغة وغيرها .

ب- خزانة أركشاش :

لا يُعرف بدقة العدد الذي تحتفظ به من مخطوطات ، ولعل أهم ما تحتفظ به هو مخطوط (تينغ بوياء) أي (قتل بوياء) ، وهو عبارة عن كتاب قرآن [كذا كتب عنه] ، وهو يقع في (٤٨٠) صفحة .

رابعاً : الخزائن المرتبطة بالعائلات :

منها :

أ- خزانة الشيخ محمد بن مالك بساهل :

كانت هذه الخزانة عامرة بالمخطوطات ، لكنها ضاعت بسبب الطوفان الذي شهدته المنطقة سنة ١٩٦٥ م ، وما بقي فيها هو إحدى وأربعون مخطوطة ، في الفقه واللغة والأدب والحديث والتاريخ .

ب- خزانة المنصور بأقبلي :

تحتفظ باثنتين وعشرين مخطوطة في علوم مختلفة .

وتمتاز هذه المجموعات في منطقة أولف بالقيمة التاريخية ، لأن أغلبها لعلماء المنطقة ، وتؤرخ للأحداث التي عاشها السكان عبر الأعصر المختلفة ، كما أنها تعكس الجانب الفكري لسكان المنطقة ونمط الحياة التي عاشوها . وبالنسبة أشير إلى أنه لا يخلو بيت في المنطقة من وجود عدد من المخطوطات ، وهي ظاهرة تعكس حرص سكان مناطق الجنوب على التزود بالعلم .

٢- مكبات أدرار (توات ، وقرارة ، وتدكلت) :

وهذه المكبات توجد أيضا في الجنوب بالصحراء في ولاية أدرار ، وهي من أغنى وأخصب الخزانات الشعبية ثراء بالمخطوطات ، وكثير منها من إنتاج علماء المنطقة . ومنها على سبيل المثال ، لا الحصر :

أ- مركز توات :

ويشتمل على اثنتي عشرة مكتبة موزعة على القصور التي بنيت في المنطقة ، وأشهرها :

١- مكتبة كوسام : وهي تقع في بلدية جديدة ، وفيها ما يزيد على مئة مخطوطة .

٢- مكتبة بني تامر : وتقع في بلدية تيمي .

٣- مكتبة وجلان : وتقع في بلدية تساييت .

٤- مكتبة زاوية سيدي حيدة .

ب- مركز تنجرتين :

وأغلب مخطوطات هذا المركز في الطب والفلك ، ومن أشهر خزائنه :

- ١- خزانة المطارفة : وفيها مئة وستون مخطوطة .
 - ٢- خزانة أقسطن : وتقع في بلدية دلدول ومخطوطاتها تخص العقاقير الطبية .
 - ٣- خزانة أولاد عيسى : وقد تعرضت مخطوطاتها للضياع .
 - ٤- خزانة تتركوك : وأغلب مخطوطاتها في علوم الدين والتاريخ .
- ج- مركز تدكلت : ويقع هذا المركز في الجنوب الغربي من ولاية أدرار ،
ومن مكباته :

- ١- مكتبة أقبلي الزاوية : وفيها ثلاث وستون مخطوطة .
 - ٢- مكتبة ساهل القديم : فيها مئتان وثمان عشرة مخطوطة .
 - ٣- مكتبة الشيخ التهامي صحراوي بباتنة :
- وفي مكتبته عشرون مخطوطة سلمت من المستعمر وعاديات الزمن ؛ إذ كانت مكتبته عامرة بالمخطوطات في أيام ثورة التحرير ، وخبأها تحت الأرض ، لكن عاديات الزمن أتت عليها . وقد أعددتُ لما بقي منها فهرسًا ، نشر في مجلة المورد العراقية ، المجلد الثامن عشر ، العدد الثالث ، سنة ١٩٨٩ م .
- ٤- مكتبة زاوية مولى القرقور بسريانة - ولاية باتنة :
- تحتفظ هذه المكتبة بستين مخطوطة في مجالات معرفية مختلفة ، وقد أعددتُ لها فهرسًا منهجيًا شاملًا ، سوف ينشر قريبًا .
- ٥- مكتبة الشيخ المهدي البوعبدلي في نواحي وهران :
- لقد جمع البوعبدلي عددًا كبيرًا من المخطوطات ، وكون مكتبة نفيسة . وقد

توفي ، ولا ندري إلى من آلت مكتبته العامرة ، وفي علمنا أن مخطوطاته لم تفهرس فهرسة منهجية .

٦- مكتبة الشيخ نعيم النعيمي :

وهو أحد رجالات جمعية العلماء المسلمين (ت ١٩٧٤م) ، وكانت له مكتبة عامرة بنفائس المخطوطات في قسنطينة ، ولعلها آلت إلى ورثته .

٧- خزانة الزاوية القندسية بيشار (القنادسة) :

كانت هذه الخزانة ، في عام ١٩٥٠ ، تحتفظ بأكثر من ثلاثة آلاف مخطوطة ، لكن المستعمر الفرنسي أحرق نسبة كبيرة منها ، والباقي نقلها إلى فرنسا . وهذا حال كثير من المراكز العلمية في تلك الفترة .

٨- خزانة الزاوية العثمانية (علي بن عمر) في طولقة - ولاية بسكرة :

تعد هذه الخزانة من أغنى الخزانات في منطقة بسكرة ، بل الجزائر عامة . وقد كان للزاوية العثمانية دور رائد في الحركة الإصلاحية في الجزائر ، خلال القرن العشرين ، إذ تخرج فيها جمهرة من العلماء .

وتحتفظ اليوم بمخطوطات في شتى فنون المعرفة الإنسانية ، وقد حرص شيوخها على الحفاظ عليها ، وتمكين الباحثين والدارسين من الوقوف عليها ، فهي تشمل مخطوطات في علوم القرآن ، والفقه ، واللغة ، والأدب ، والمعاجم ، والتفسير ، والحديث ، والجغرافية ، والتراجم ، والسير . وليس لهذه الخزانة فهرس فني ، والعمل جار مع زميل لي لإعداد فهرس لها ، نتوقع الفراغ منه في هذا العام .

٩- مكتبة زاوية ابن عبد الصمد بباتنة :

نشطت هذه الزاوية خلال القرن العشرين ، وعمل شيوخها على نشر العلم

والإصلاح، فتجمع لديها مئات المخطوطات بفضل العلاقات التي ترتبطها بالزوايا المجاورة في الأوراس والمناطق الشرقية من الجزائر. وقد كان لشيخها (محمود بن عبد الصمد) اثنتان وعشرين مخطوطة من تأليفه، لكن المستعمر الفرنسي أتلف محتوياتها، وما بقي منها ضاع بعد الاستقلال، كما ضاعت مخطوطات كثيرة من مكتبات وخزانات شعبية.

١٠- مكتبة زاوية الشيخ الحسين بسيدي خليفة - ولاية ميلة :

تعد زاوية الشيخ الحسين الواقعة في ولاية ميلة، إحدى ولايات الشرق الجزائري، من كبريات الزوايا التي حافظت على الثقافة الوطنية من خلال ما تزخر به من آثار فكرية لعلماء يمثلون حقبة تاريخية مختلفة ومن وجهات متعددة في العالم العربي والإسلامي.

كانت الزاوية إلى عهد قريب تحتفظ بأكثر من ستة آلاف مخطوطة، غير التي تحتفظ بها الأسر، لكن معظمها ضاع بسبب من الأسباب السالفة الذكر، ففرنسا أحرقت جزءاً منها، وهربت ما وجدت فيه منفعة، ورواها من المغرب وتونس والجزائر أخذوا أعداداً منها على سبيل الإعارة ولم يعيدها، والطبيعة فعلت فعلتها لطول الزمن فيما تبقى منها اليوم، ومالكوها أخبرونا أن كيسين كبيرين من المخطوطات أحرقت، لأن الرطوبة والأرضة أتت عليها؛ تخلصوا منها لأنهم لا يعرفون أن ثمة طرقاً علمية لمعالجتها وترميمها، كالتعقيم وغيره.

تحتفظ الزاوية اليوم بأربع مئة مخطوطة، منها نحو مئة مخطوطة في حالة سيئة، من جزاء العوامل المذكورة، وفيها مخطوطات نادرة ونفيسة، وبعضها بخط مؤلفيها، ومنها ما يرقى إلى القرون الأولى للهجرة النبوية.

المخطوطات في الجزائر

والجدول الآتي يوضح المجالات المعرفية التي تشملها مخطوطات الزاوية وعدد كل فن معرفي، وكونه مفردًا أو مجموعًا:

الرقم	الموضوع	المخطوطات المفردة	المخطوطات المجموع	المجموع العام
١	الفقه وأصوله	١٠٧	٢١	١٢٨
٢	علوم اللغة	٣٠	٣٤	٦٤
٣	التوحيد والعقائد	٢٠	٢٧	٤٧
٤	الحديث النبوي	٢٩	١٢	٤١
٥	الأدب	١٨	٢٠	٣٨
٦	التراجم والسير	٢٨	٠٩	٣٧
٧	علوم القرآن	١١	٠٨	١٩
٨	المنطق	٠٤	٠٧	١١
٩	الطب	٠٩	٠٠	٠٩
١٠	الفلك	٠٣	٠٣	٠٦
	المجموع العام	٢٥٦	١٤١	٤٠٠

وتحتفظ الزاوية بمخطوطات نادرة، أذكر منها :

١- إنشاد الضوال وإرشاد السؤال : لأبي عبد الله محمد بن هانئ اللخمي (ت ٨٧٣٣هـ) نسخة كتبت في القرن الثامن . وهي نسخة فريدة في حدود علمنا، وقد شرعنا في استنساخها لتحقيقها . وهذا الكتاب في الأصل هو كتاب (المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان) لأبي عبد الله محمد بن هشام اللخمي (ت ٥٧٧هـ) . وقد أعاد ابن هانئ ترتيبه وتبويه ، وهو يعالج ظاهرة اللحن في الغرب الإسلامي .

٢- شرح الجمل الكبير : لابن عُصفور الإشبيلي ، وقد وقف عليه الدكتور صاحب جعفر أبو جناح محقق الشرح الكبير ، فتبين له أن الشرح الذي حققه ليس الشرح الكبير ، لأن في نسخة زاوية الشيخ الحسين زيادات وأبواب لا توجد في الشرح المحقق . وهذه النسخة أيضًا فريدة فيما أعلمني الدكتور صاحب ، والدكتور خليل إبراهيم العطية .

٣- ديوان أبي تمام ، رواية أبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي ، المعروف بالقالي ، (ت ٣٥٦هـ) كتبت النسخة بالخط المغربي ، وفي حواشيتها شروح وإضافات وإشارات إلى اختلاف الشعر المروي . ومن المخطوط نسخة في الإسكوريال ، بأطراف مدريد ، وقد علمت أن أحد الزملاء في جامعة باتنة يعمل في تحقيقه .

وهناك مخطوطات كثيرة في مجالات معرفية أخرى تعد من النوادر ، سيقف عليها القارئ في الفهرس المنهجي الذي أعدته لمخطوطات الزاوية ، وآمل أن يطبع قريبًا .

١١- مكتبات منطقة وادي ميزاب في ولاية غرداية :

تزرخ المنطقة عامة بموروثات ثقافية وحضارية ، واكبت عمارة المنطقة منذ أكثر من عشرة قرون ، لذلك نجد المخطوطات فيها كثيرة ومتنوعة ، وهي تتوزع على مكتبات تربو على المئة مكتبة . نجد المستشرق الألماني ، جوزيف فون هاس ، في دراسته (أبحاث في بعض المخطوطات الإباضية) سنة ١٩٧٤م ، أحصى (١٠٠) مكتبة منها في الجزائر (٨٧) مكتبة بوادي ميزاب ، و(٥) في جربة بتونس ، و(٧) في ليبيا . أما الباحث محمد أيوب الحاج سعيد فقد أحصى (١١٤) مكتبة موزعة على وادي ميزاب ، وثمة مكتبات لم يشملها الإحصاء ، وتقوم جمعيات في المنطقة بجهود لحصرها وفهرستها .

وقد تعددت وجهات النظر في توزيع هذه المكتبات والخزانات ، فجمعية التراث توزعها على النحو الآتي :

- ١- مكتبات عامة كمكتبة القطب بيني يزقن .
- ٢- مكتبات تابعة للعشائر كمكتبة آل يدر .
- ٣- مكتبات تابعة للمعاهد والمدارس الحرة ، كمكتبة الإصلاح والحياة بغرداية والقرارة .
- ٤- مكتبات تابعة للمساجد ، كمكتبة (إروان) .
- ٥- مكتبات تابعة للجمعيات الثقافية ، كمكتبة جمعية التراث .
- ٦- مكتبات خاصة ، كمكتبة الحاج سعيد بغرداية ، ومكتبة الشيخ المطهري بمليلة .

وهناك من يقسم هذه المكتبات إلى :

١- مكتبات المساجد والمعاهد العلمية .

٢- مكتبات الهيئات الاجتماعية والثقافية .

٣- مكتبات الباحثين والمهتمين بالثقافة والمخطوطات .

ولتقريب الصورة للقارئ العربي ، أخص هذه المكتبات بالفقرات اللاحقة ، لإبراز الدور الفعال الذي تقوم به بأخرة بعض الجمعيات الثقافية في المنطقة لخدمة التراث ، مع العناية ببعض مقتنيات إحدى المكتبات .

جمعية التراث في بني يزقن

جمعية أسسها مجموعة من الباحثين الشباب ، وبعض الأساتذة الجامعيين من أبناء المنطقة ، هدفها جمع التراث المخطوط وترميمه وتنظيمه والحفاظ عليه بالتسجيل والتصوير والنسخ والتحقيق والنشر . وقد ظهرت بوادر المشروع عام ١٩٩٢م ، وفي (دليل مخطوطات وادي ميزاب من الفكرة إلى الإنجاز) ، ما يوضح المشروع ، وقد أنجزت الجمعية أعمالاً رائدة لأربع مكتبات ، وحسبي هنا أن أقدم خلاصة ثلاثة أعمال منها :

أولاً : مكتبة آل يدّر :

في هذه المكتبة (٥٩٤) مخطوطة ، وفيها (٢٩٤) مجموعاً . وتمتاز هذه المخطوطات بقلة تأثرها بالعوامل الطبيعية مقارنة بالمكتبات الأخرى ، وتشمل مخطوطاتها الميادين الآتية : التفسير : (٢٠) مخطوطة . علوم القرآن : (١٥)

مخطوطة . علوم الحديث (٣٠) مخطوطة . أصول الدين (٣٨) مخطوطة .
أصول الفقه (٠٤) مخطوطات . الفقه (١٤٠) مخطوطة . التاريخ (٢٤)
مخطوطة . علوم اللغة (٥٥) مخطوطة . الحكيم والمواعظ (٥٩) مخطوطة . علوم
الطب والكيمياء والحساب والفلك والتنجيم (٦٢) مخطوطة . تفسير الأحلام
والرسائل وأدب المناظرة (٢٠) . الشعر (١٣٠) مخطوطة .

ثانيا : مكتبة الشيخ عمي سعيد بفرذاية :

تضم هذه المكتبة (٥٥) مجموعة و (٩١) عنوانا ، يوجد ضمنها
مخطوطات بخط صاحبها ، وغالبها مصاب بالرطوبة والأرضة ، وهي في
موضوعات مختلفة .

ثالثا : مكتبة الشيخ البكري بالعطف :

تضم هذه المكتبة (٢٣٩٥) كتابا مطبوعا ، منها (١٣٥) مخطوطة في
علوم مختلفة ، بعضها نادر كمخطوطة (جامع الأزكوي في فقه الإباضية)
الذي يرقى إلى القرون الأولى للهجرة ، وكتاب (مسائل أبي عبيدة) وغيرهما .
ويتميز بعض مخطوطات هذه المكتبات باحتوائها على الفكر الإباضي ، وقد
نشر منها في الآونة الأخيرة .

وتقوم جمعية التراث في وادي ميزاب بمجهودات للحصول على وسائل
متقدمة تمكن الباحث من الوصول إلى المخطوطات التي يرغب في الاطلاع
عليها ، كتوفير الفهارس ، والتصوير بالميكروفيلم ، والميكروفيش ، وأجهزة
الكمبيوتر ، وبنك المعلومات .

١٢ - مكتبة علي الزغداني :

قاضي الحراكتة في ولاية أم البواقي في شرق الجزائر، ويحتفظ ورثته في المكتبة اليوم بشماني عشرة مخطوطة في علوم مختلفة .

١٣ - مكتبة أحمد بن السايح بسكرة :

صاحب المكتبة واسع الثقافة، ومن محبي التراث والقائمين على جمعه . وفي مكتبته جملة من المخطوطات .

هذه بعض المراكز العلمية التي تحتفظ بالمخطوطات في الجزائر، منها ما وقفت عليه وعانيت مقتنياتها، وبعضها الآخر تناهت إلي أخبارها من خلال الأحاديث الشفوية مع رجالات العلم، وبعض الكتابات الصحفية، والأحاديث الإذاعية والتلفزيونية، والندوات الفكرية والملتقيات الوطنية .

وثمة مراكز أخرى كثيرة مازالت مغمورة لا يعرف الباحثون عنها إلا أسماءها، كما أن للأفراد والأسر مخطوطات لم يتم الكشف عنها بعد، وأذكر فيما يلي أسماء بعض الخزانات والمكتبات المشهورة مما لم يصل إليها الباحثون :

- ١ - خزانة زاوية الهامل في بوسعادة، ولاية الجلفة .

- ٢ - خزانة زاوية سيدي سالم بولاية الوادي .

- ٣ - خزانة زاوية الناظور للشيخ الحملاري، في ولاية قالمة .

- ٤ - خزانة زاوية سيدي خالد في ولاية بسكرة .

- ٥ - خزانة زاوية سيدي أحمد بن موسى بمدينة كرزاز في ولاية بشار .

- ٦ - خزانة الزاوية المختارية في أولاد جلال، ولاية بسكرة .

- ٧ - خزانة الزاوية الزيانية في القنادسة ، ولاية بشار .
- ٨ - خزانة الزاوية الحملاوية في شلفوم العيد ، ولاية ميلة .
- ٩ - خزانة الزاوية التيجانية في تماسين ، ولاية ورقلة .
- ١٠ - خزانة الزاوية الدرقاوية بمدينة سيدي بلعباس .
- ١١ - مكتبة الشيخ عبد المجيد بن حبة بالمغير ، في ولاية وادي سوف .
- ١٢ - مكتبة الشيخ المهاجر بولعران .
- ١٣ - مكتبة الشيخ شعيب بتلمسان .
- ١٤ - مكتبة ابن الفكون في مدينة قسنطينة .
- ١٥ - مكتبة ابن إسماعيل في وهران .

والمخطوطات الجزائرية هُرب الكثير منها في أثناء الاحتلال الفرنسي إلى مكاتب ومتاحف فرنسا واسبانيا وألمانيا وهولنده وإيطاليا وبريطانيا وتركيا وغيرها . أما من حيث العمل على التعريف بالمخطوطات الموجودة في المراكز المذكورة ، على اختلاف أنواعها ، ومحاولة صيانتها وفهرستها وتحقيقها ودراستها ونشرها فإن جهودًا فردية قامت هنا وهناك تكفل بها بعض الغيورين على تراث الأمة باعتباره الواجهة الحضارية للمجتمع ، وتمثل هذه المحاولات في قيام بعض الأساتذة على تحقيق ونشر جملة من كتب التراث ، كما أن الجامعات بدأت تسمح بتسجيل الأطروحات الجامعية في موضوعات تحقيق التراث ودراسته .

أما في مجال التعريف بمراكز المخطوطات والفهرسة والصيانة والترميم فالمحاولات أيضًا قليلة، لأنها فردية. وأعتقد أنه آن الأوان أن يفتح معهد المخطوطات العربية باب العناية والرعاية نحو مخطوطات الجزائر، فتتلقى منه توجيهاً ودعمًا.

المصادر والمراجع

تم الاستعانة في إعداد هذا التقرير بمجموعة من المصادر والمراجع ؛ منها الزيارات الميدانية لبعض المراكز العلمية ، والمقابلات مع بعض الشيوخ ورجال العلم ، وكذا بعض الكتابات التي وردت في الصحف والمجلات ، وما استمعنا إليه في الندوات والملتقيات ، أو الإذاعة والتلفزيون .

ومن أهم المصادر والمراجع المطبوعة والمخطوطة أذكر :

١ - تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري ، د. أبو القاسم سعد الله ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

٢ - تاريخ الخزائن الخاصة في أولف : مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس في التاريخ ، مخطوطة ، إعداد الطالب : الحمدي أحمد ، معهد الحضارة الإسلامية ، وهران ، ١٩٩٤ م .

٣ - دليل مخطوطات وادي ميزاب :

أ - فهرس مخطوطات آل يدّر في ولاية غرداية .

ب - فهرس مخطوطات الشيخ عمي سعيد في ولاية غرداية .

ج - فهرس مخطوطات مكتبة الشيخ البكري في ولاية غرداية .

إعداد جمعية التراث ، القرارة ، ولاية غرداية ، الجزائر ، ١٩٩٣ -

١٩٩٥ م .

- ٤ - زاوية أحمد بن بوزيد، مولي القرقور بسريانة (نشأتها ومخطوطاتها)، ولاية باتنة، د. عبد الكريم عوفي، مخطوطة ١٩٩٦ م.
- ٥ - مراكز المخطوطات في الجزائر - أماكنها ومحتوياتها، د. عبد الكريم عوفي، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ٣٩، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٩٥ م.
- ٦ - فهرس نظارة الشؤون الدينية بباتنة، د. عبد الكريم عوفي، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ٣٩، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٩٦ م.
- ٧ - فهرس مخطوطات الشيخ التهامي صحراوي بباتنة، عبد الكريم عوفي، مجلة المورد، المجلد الخامس، العدد الأول، بغداد، ١٣٨٩ هـ = ١٩٨٩ م.
- ٨ - المخطوطات داخل الخزانات الشعبية خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في (توات وقرارة وتدكلت)، مقدم مبروك، مخطوطة، مركز الأبحاث والدراسات التاريخية، أدرار، ١٩٨٧ م.
- ٩ - الملتقي الولائي الأول حول رجال الفكر والإصلاح في منطقة الأوراس: تنظيم نظارة الشؤون الدينية بباتنة يومي ٢٦، ٧ جولية ١٩٩٦ م، (محاضرة حول زاوية ابن عبد الصمد) لأحد أبناء الزاوية.
- ١٠ - وقفة مع المخطوطات في الجزائر (زاوية الشيخ الحسين بسيدي خليفة) ولاية ميلة نموذجاً: د. عبد الكريم عوفي، مخطوطة، ١٩٩٥ م.

* * *

مركز المخطوطات والتراث والوثائق - الكويت :

جهوده ومخطوطاته

١ . محمد بن إبراهيم الشيباني*

كثير من جمهور الناس من المتعلمين والمثقفين ، والشباب منهم ، يجهلون تمامًا المعنى الأولي للتراث العربي الإسلامي ، وكذلك المخطوطات العربية . وليس لبعض مصطلحات علم المخطوطات صدى ما في نفوسهم ، كمصطلح تحقيق النصوص ، وفهرسة المخطوطات وتصنيفها . بمعنى أنه يوجد انفصال تام بين هؤلاء وبين قرون من نشاط الأجداد العلمي والثقافي . وليس المطلوب هنا دورات تدريبية لتخريج بعضهم كي يحذقوا فن التحقيق أو الفهرسة . وإنما للمطلوب دورات تثقيفية موسّعة ، وتوعية شبابية وعامة ، وبهذا يتصل حاضر هؤلاء بماضيهم ، ويفتح حاضرهم إلى مستقبل مشرق .

ومن مشكلات المخطوطات الحادة قلة المفهرس الكفاء الذي يقوم بإنجاز عمله في إخلاص وانتماء ، ثم طبع هذه الفهارس ووضعها بين يدي العلماء والمتخصصين . وصناعة فهرسة المخطوطات صناعة صعبة تحتاج إلى تدريب شاق ، وثقافة متسعة وخبرة طويلة . وكذلك هناك مكاتب لها فهارس مطبوعة منذ أواخر القرن الماضي ، وقد نفدت ، وأصبحت في ندرة الكبريت الأحمر ،

* رئيس المركز .

وبالتالي ليست متاحة للباحثين ، وإعادة طبعها مفيد وضروري للوصول إلى هذه المخطوطات الموصوفة منها . وفهرسة ما لم يفهرس من مخطوطات تلك المكتبات ، وبردياتها العربية . ومثال ذلك ألمانيا ، وهي دولة كانت اهتمت بتراث العرب كثيراً ، فجمعت من مخطوطاته وبردياته الشيء الكثير ، وفهرست منه الكثير ، وبقي جزء لم يفهرس بعد ، وأقامت المعاهد للدراسات الإسلامية ، خاصة دراسات للقرآن الكريم . وقد استشعر مركزنا هذه الإشكالية ، فبادر إلى الإعانة على فهرسة بعض المكتبات الهامة ، وطبع هذه الفهارس . وفي آخر هذه العجالة ألحقتُ تَبَيُّناً لما أصدر المركز من فهارس ، إسهاماً منه متواضعاً .

وثالث هذه المسائل أن معهد المخطوطات العربية ، وغيره من الجامعات والمراكز والمؤسسات العربية ، رسمية وأهلية ، دون أية تفرقة ، قد صورت آلاف المخطوطات من أماكن متفرقة من العالم ، وصرفت على هذا التصوير جهداً كبيراً ، ومبالغ طائلة . وبعض هذه المخطوطات الأصلية التي صورت قد فقدت ، أو تَلَفَتْ لعوامل بيئية ، وبعضها غير متاح للتصوير في الوقت الحاضر ، بل يعزَّر تصويره تماماً ، كمصوِّرات تركيا والهند ، على سبيل المثال .

لقد أصبحت هذه المصورات ذات قيمة عالية ، كأنها في حكم المخطوطات الأصلية ، ينبغي تجديد تصويرها قبل تعرضها للتلف ، ووضع خطة ونظام ميسَّر يتيح لجميع هذه المراكز - رسمية وأهلية - أن تتعاون على تبادل الفهارس والقوائم ، وتتعاون على تبادل هذه المصورات ، كل حسب حاجته منها ، وبأسلوب تعاوني شريف ، بعيداً عن إخفاء المخطوطات والضمَّن بها ، وأن تكون بأسعار غير مبالغ فيها ، وفي متناول هذه المراكز جميعاً ، فضلاً عن العلماء والباحثين المتخصصين ، دون شبهة ما من الاتِّجار والمنافع المادية .

ورابعها ، اهتمام جميع الدول العربية بوضع قانون خاص لحماية المخطوطات العربية ، تعامل الدولة إياها كثروة قومية ، وتوجه بالاهتمام والرعاية إلى الملكية الخاصة ، فتحفظ لديها سجلات بها ، وترممها وتصونها من الأَرْضة والرطوبة ، وتعنى بتوعية أصحابها للمحافظة عليها . ثم يتم تصويرها لاطلاع العلماء والباحثين عليها تمهيداً للتحقيق والدرس ، وترعى الدولة النادر منها رعاية خاصة ، سواء كانت النادرة والأصالة في مادة المخطوطة ، أو في فنيتها ، يُعرض في مناسبات كتحفة فنية ، وأثر ينبغي الاعتزاز به .

وأختم كلمتي هذه - الصادرة عن هذا المركز الأهلي الغيور ، الذي لا يتوخى الربح - بهذا التّبت الذي يوضّح جهود ما أصدره من فهارس المخطوطات والتراث ، وكان وراء الإعانة على إعداد مادتها وترجمتها وطباعتها ونشرها .

(١) فهرس المخطوطات العربية في الفلك والهيئة والحساب والهندسة في مكتبة جامعة براتسلافا في تشيكوسلوفاكية (سابقاً) ، أعدّه كارل بتراتشك .
(٢) فهرس المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية النمساوية - الرياضيات - أعدّته هيلينه لوبشيتان .

(٣) فهرس المخطوطات العربية في الطب والصيدلة ، المحفوظة في خزانة المكتبة الملكية بمدينة كوبنهاجن ، أعدّه د. عدنان الطعمة .

(٤) فهرس المخطوطات العربية في باكستان : المكتبة العامة ، القسم الأول (مكتبة ديال سنغ الخيرية) أعدّه حافظ ثناء الله الزاهدي .

(٥) فهرس المخطوطات العربية في الجامعة الكاثوليكية في واشنطن ، ترجمه محمد بن إبراهيم الشيباني .

(٦) مجموعة مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، المحفوظة في مركز المخطوطات والتراث والوثائق - القسم الأول - أعدّه محمد بن إبراهيم الشيباني .

(٧) قائمة المخطوطات العربية الجديدة المحفوظة في خزانة المكتبة الملكية بمدينة كوينهاجن، أعدّه د. عدنان الطعمة .

(٨) مجموعة مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية - الأصلية والمطبوعة - المحفوظة في المكتبة السلمانية باستانبول - القسم الأول - ترجمة وإعداد محمد بن إبراهيم الشيباني .

(٩) فهرس المخطوطات المصوّرة في مركز المخطوطات والتراث والوثائق - الجامع - القسم الأول - أعدّه محمد بن إبراهيم الشيباني .

(١٠) فهرس المخطوطات الأصلية في مركز المخطوطات والتراث والوثائق، مشروع عبد الله مبارك الصباح - القسم الأول - وضعه محمد بن إبراهيم الشيباني .

* * *

مركز بحوث ودراسات التراث

في العلوم الطبيعية

د . حامد عبد الرحيم عيد*

يسرني أن أنقل إلى الهيئة الموقرة والحضور جميعاً أنه تم منذ بضعة شهور إنشاء مركز بحوث ودراسات التراث في العلوم الطبيعية التابع لكلية العلوم بجامعة القاهرة. وهي فرصة إيجابية لتقوم جامعتنا العريقة بإحياء التراث العربي.

وأحاول في هذه العجالة أن أوجز أهداف المركز بما يلي:

- ١- تلاحظون من اسم المركز أنه معنى من العلوم عموماً بتاريخ العلوم الطبيعية خاصة.
- ٢- الحصول على فهارس وقوائم المخطوطات العلمية المتوفرة ، وكذلك كل ما نُشر منها.
- ٣- يعاون في تحقيق المخطوطات العلمية ونشرها . ويتعاون مع الجهات العربية والدولية في إحياء التراث العلمي العربي .
- ٤- تنظيم دورات تدريبية متخصصة في مجال المركز .
- ٥- جذب الشباب من خريجي العلوم ، وتهيئة الظروف المناسبة لهم

• مدير المركز .

للتحقيق والبحث والدراسة في التراث العلمي .

٦- نشر الثقافة العلمية في مجال التراث بين جموع الشباب في الجامعة وخارجها .

٧- إصدار نشرات دورية تتابع أحدث ما نشر في مجال تاريخ العلوم .

وفي سبيل تحقيق تلك الأهداف فإن المركز يقوم بما يلي :

- التحضير والتجهيز لعقد مؤتمرات وحلقات بحث وندوات علمية ثقافية

في مجال التراث العلمي .

- إصدار دورية علمية تنشر البحوث في مجال التحقيق .

- السعي للاهتمام بتدريس تاريخ العلوم في الجامعات المصرية ، مع العلم أن

بعض الجامعات العربية تقوم بذلك .

- تكوين مكتبة للمركز متخصصة في التراث العلمي الطبيعي .

- تحفيز أعضاء هيئات التدريس والمختصين لممارسة البحث والمشاركة في

الندوات والجامعات المتعلقة بالتراث العلمي .

- الاهتمام بإرسال بعثات للتخصص في تاريخ العلوم .

إن المركز قام بكتابة خطابات إلى الجهات المتخصصة في الأقطار العربية

بتزويده بالكتب المحققة والدراسات والفهارس والقوائم والنشرات ذات العلاقة .

ولأني بدوري أكرر هذا الرجاء بالتعاون مع هذا المركز حديث النشأة .

والمركز مشغول الآن بالتحضير والتجهيز لعقد ندوة لتعريف بتاريخ العلوم

وبالمركز في شهر فبراير المقبل . وكذلك مشغول بالتجهيز لعقد مؤتمر عربي دولي في بداية عام ١٩٩٨ في موضوع تاريخ العلوم .
وفي الختام أود أن أتقدم بالاقتراحات التالية :

١- العمل على نشر الثقافة التراثية بين جموع الشباب العربي من خلال التعريف بها عن طريق وسائل الإعلام الجماهيرية كالإذاعة والتلفزيون بأسلوب جذاب ومدروس .

٢- وضع خريطة موضوعية زمنية لتحقيق ونشر المخطوطات العلمية ، مأخوذاً في الاعتبار أهميتها وندرتها ، ودرجة شهرتها .

٣- ضرورة التنسيق بين المراكز والمؤسسات المختلفة في حركة النشر ، لتجنب التكرار في الجهد والعمل .

٤- الاهتمام بالتقنية الحديثة لنقل المعلومات والجهود بين المراكز المختلفة مثل ال Home page وغيرها .

٥- تبادل الفهارس والقوائم والنصوص المحققة والدراسات بين المراكز المتخصصة .

٦- الاهتمام الشديد بنشر الثقافة التراثية بين الشباب العرب .

* * *

THE HISTORY OF THE UNITED STATES

CHAPTER I. THE DISCOVERY OF AMERICA

In the year 1492, Christopher Columbus discovered America, and the continent was named after him.

THE DISCOVERY OF AMERICA

Christopher Columbus was an Italian explorer who sailed across the Atlantic Ocean in 1492, discovering the Americas.

His voyage led to the European colonization of the Americas, which began in the late 15th century.

The discovery of America opened up new trade routes and led to the development of the Americas as a major world power.

The discovery of America also led to the development of the Americas as a major world power.

The discovery of America led to the development of the Americas as a major world power.

THE DISCOVERY OF AMERICA

The discovery of America led to the development of the Americas as a major world power.

The discovery of America led to the development of the Americas as a major world power.

The discovery of America led to the development of the Americas as a major world power.

تعقيبات ومناقشات

■ د . عباس صالح طاشكندي :

المخطوطات العربية في المملكة العربية السعودية تتوزع مجموعاتها على ثلاثة أنواع من المكتبات ، تجدون تفصيلاتها العديدة والموضوعية في الورقة المقدمة لهذا الاجتماع .

أما النوع الأول فهو المكتبات التاريخية ، بمكة المكرمة والمدينة المنورة . فمجموعاتها تكونت تاريخيًا في إطار مكتبات الحرمين ، وفي إطار بعض المكتبات الخاصة ، كمكتبة عارف حكمت ، وبعض مجموعات الأوقاف ، وهذه تحتوي على مجموعات أصلية وبعض النوادر من المخطوطات .

النوع الآخر من المكتبات هو مكتبات الجامعات الأكاديمية . فحين بدأت الجامعات في النشوء اهتمت بجمع المخطوطات . ومجموعات هذه المكتبات إما مخطوطات أصلية تكونت بالشراء والإهداء ، أو مخطوطات مصورة تكونت عن طريق البعثات التي اهتمت الجامعات السعودية بإرسالها ، سواء داخل المملكة أو خارجها .

والنوع الثالث من المكتبات هو مكتبات الأفراد ، الذين اهتموا بجمع نوادر الكتب والمخطوطات نتيجة لتقاليد قديمة ، خاصة في المنطقة الغربية في مكة والمدينة ، وأيضًا في المنطقة الوسطى ، والمنطقة الشرقية . ولدى هؤلاء الأفراد مجموعات أصلية ، ومجموعات مصورة . وهناك هيئات أخذت تهتم في السنوات الأخيرة بجمع المخطوطات وأعمال التراث ، منها مؤسسة الملك فيصل الخيرية ، ومؤسسة الفرقان التي يدعمها في الغالب أفراد .

إن المخطوطات تعدّ واحدة من أهم العناصر الخاصة لتحديد الهوية العربية . والمخطوطات التي تتجمع في المغرب أو في السعودية أو في العراق أو في سورية وباقي الدول العربية تعد لنا جميعًا عنصر هوية أساسيًا . ولا نختلف في أهمية العناية بها .

ولكن موضوع المخطوطات قد دخل في السنوات الأخيرة ، في منعطفات كثيرة ، فليست كل المخطوطات مهمة ، ويتوافر عدد كبير منها في الدول العربية ، وتتصارع وتتنافس على تجميعه مصوّرًا بالبعثات المتكررة ، مما أحدث إهدارًا كبيرًا ، وعرض المخطوطات المصوّرة لشيء من التلف ، وتجمع لدى الجامعات مخطوطات مصوّرة متكررة . حدث هذا في الجامعات السعودية عند هيئة تجميع المخطوطات بالشراء ، أو التصوير ، في فترة الثمانينات .

فيما يتعلق بالتوثيق ، فإن الجامعات السعودية تصدر فهارس للمخطوطات الأصلية والمصوّرة . وطبيعي أن تكون النسخ المصوّرة قد وثّقت في فهارس أخرى . فقهرسة المخطوطات مرات عديدة يعدّ شيئًا من الإهدار .

ومن مشكلات المخطوطات عندنا مشكلة المستنسخات التي يجب أن نهتم بها . إنه يتوافر في كثير من المكتبات مستنسخات كثيرة ، خاصة في الأعمال الشائعة كصحيح البخاري والمصاحف القرآنية ، وليس كل مخطوط من هذه الأعمال على تلك الأهمية ، فتكلفة جمعها وحفظها وتوثيقها عالية جدًا .

وفي مجال جهود الهيئة المشتركة ينبغي أن يكون هناك اتفاق على عناصر رئيسية ، منها عملية الترميم التي تستحق أن تُعطى الأولوية فيما يتعلق بالجهود المشتركة ؛ لأن توافر معامل متعددة صغيرة الحجم بإمكانيات ضئيلة ، في أكثر

من جهة فيه شيء من الإهدار . والأجدى معهد للترميم أو مركز للترميم على مستوى الوطن العربي يُؤفّر فيه إمكانيات كل المعامل الصغيرة . إننا نستطيع بجهد مشترك أن نكون معملًا رئيسيًا مركزيًا للترميم تتوافر له من الإمكانيات البشرية والمادية والفنية ما يحقق للمجموع إمكانية جيدة .

العنصر الآخر الذي ينبغي أن نتفق عليه هي عملية المعايير فيما يخص فهرسة المخطوطات ، فعلى كثرة ما نصدر من فهارس ، فإنها لا تخضع لمنهج ، أو طريقة موحّدة . ومن الضروري أن تنتهي الهيئة المشتركة إلى وضع بطاقة نموذجية موحّدة يتبعها الجميع في فهرسته ، الأمر الذي يسهّل علينا وضع الفهرس العربي المتكامل .

وتنقصنا في إطار الجهود المشتركة أدوات موحّدة عند الفهرسة والتوثيق . لدينا مشكلة أسماء المؤلفين والعناوين ، وكثير من الفهارس تختلف في نظامها ، ومن الضروري وضع قوائم استناد لاعتماد الفهارس عليها ، وبهذا نزيل عقبة من عقبات تباين أنماط التوحيد في الفهرسة والتوثيق .

وأعتقد أيضًا أن الجهود المشتركة والهيئة المشتركة يجب أن تهتم بإجراء الدراسات الخاصة بالمصادر . لقد ذكر د . بتانوني هذه المسألة في مجال العلوم . والصحيح أن مجهدًا يجب أن يبذل مشتركًا من خلال هيئة موحدة تركز على موضوع إجراء دراسات المصادر ، بمعنى ما هي المصادر المخطوطة في مجال الجغرافيا ، والعلوم ، والتقنية ، والطب ، وعلوم الحياة ، والفلك والتنجيم ، وغيرها ، كل على حدة . وبهذا نستطيع أن نُقوّم بالضبط الجهد التراثي العربي في مختلف الموضوعات .

ومن خلال الهيئة المشتركة ينبغي أن تُنجز دراسات جادة وحقيقية ومُحدّثة في مجال التقنية، التي قدمت لنا إمكانيات سهلة، توفر كثيرًا من الجهود المكررة التقليدية. لقد بدأنا في جامعة الملك عبد العزيز في جدّة بشكل بسيط. أخذنا نحوّل أجزاء فهارسنا المفصلة العشرة المطبوعة إلى نمط آلي، ونصور مع كل عنصر وصف أو توثيق للمخطوطة المخطوطة نفسها، وندخل ذلك في إطار شبكة محلية للجامعة. ويستطيع الباحث أن يصل إلى النص كاملاً من منزله إذا كان داخل الجامعة. هذه الشبكة ممكن أن تتسع إلى الجامعات الأخرى في السعودية، ويمكن أن تتسع إلى الجامعات العربية. فلو وضعت معايير لهذه التقنية، وتعاوننا في تبادل المعلومات الفنية، وقامت كل جامعة أو جهة وأدخلت ما لديها من مخطوطات بناءً على هذه العناصر، لاستطعنا أن نكون شبكة فيما بيننا، وبهذا يتوقف إرسال بعثات التصوير، لأن مادة المخطوطات ستصبح مشاعة ومتاحة للجميع دون حظر أو قيود.

ومما أرى في جهود الهيئة المشتركة أن تركز على الجانب الفني للمخطوطة. كان التركيز كله في السنوات الماضية على جمع المخطوطات وتصويرها والاهتمام بالتوثيق والجانب الموضوعي منها. أرجو أن نوجه الاهتمام بما قدمته هذه المخطوطات لصناعة الكتاب خلال العصور المختلفة، فيما يتعلق بالورق والخطوط والأحبار واللوحات والتجليد والتزويق والتذهيب، هذا التوجه الذي اهتم به الغرب أكثر من اهتمامنا نحن الشرقيين. أقصد أن نتوجه بالعناية إلى الملامح الفنية المادية في صناعة الكتاب المخطوط. لقد قلنا الناحية الموضوعية تحقيقًا وبحثًا، وتعلقنا بالماضي واهتمنا بتاريخ العلوم لنثبت إسهامات العرب والمسلمين في موكب الحضارة. والآن نستطيع أن نستفيد من النواحي الفنية التي

قدمتها صناعة الكتاب العربي ، وبالتالي يجب أن نترك مساحة لهذا العنصر .
عنصر آخر أراه مهمًا في تطوير الجهود المشتركة ، وهو تداول المعلومات بين
المراكز . نحن لا نعرف بالضبط ماذا تعمل هذه المراكز . نريد أن نتبادل
المعلومات الدقيقة والمفصلة عن كل مركز ، الأمر الذي يعيننا على فرص جيدة
للتعاون فيما بيننا . نعرف أن جهة ما دخلت في تجربة جديدة كالتجربة التي
أقول لكم عن جامعة الملك عبد العزيز ، والتي يمكن أن تستثمرها جهة أخرى
فيحدث شيء من التكامل معها ، كأن تبادر جامعة عربية أخرى لديها مشروع
مماثل فتتفق معها وتدخل معًا في شبكة من جهتين ، تتسع لجهة ثالثة ، وتتوسع
الشبكة فلا نحتاج إلى أن نشترى مخطوطات ، أو نتسابق في بعث البعث
لتصويرها .

وهذا عنصر مهم يتعلق بالجهود المشتركة ، وهو استصدار القوانين الموحدة
لحماية المخطوطات . هناك جهد حصل قبل سنوات طويلة من قبل معهد
المخطوطات العربية ، وهو الذي وضع قانونًا نموذجيًا لحماية المخطوطات . هذا
القانون لم تطبقه إلا جهة واحدة . وفي السعودية معروض الآن على مجلس
الوزراء قانون لحماية المخطوطات . كثير من الدول العربية أدمجته في إطار قوانين
المكتبات الوطنية ، أو قوانين حماية الآثار . في حين ينبغي أن يكون هناك قانون
خاص بالمخطوطات محدث ومتطور ، لأن القانون الذي وضع في السابق يحتاج
إلى تحديث الآن . وهذه الهيئة تستطيع أن تلفت نظر الدول العربية إلى وجوب
تحديث قانون في ضوء المستجدات الحديثة .

إن قيمة المخطوطات الحقيقية هي مصدر معلومات ، ينبغي أن تتاح للجميع .
وليست كل مجموعة مخطوطات موجودة مهمة ، لقد عرفت من خلال إشرافي

على كثير من الرسائل ، وكذلك من تخصصي ، أن كثيرًا من المخطوطات يتوافر في كثير من المكتبات ، معظمها مصوّرات يتفاخر بها ، مع أن المصورات والمستنسخات ليست موضعًا للتفاخر . وإذا رجعنا إلى تاريخنا وجدنا أعمالاً أصلية ومخطوطات أصلية توافرت في الفترة الأولى من القرن الثاني الهجري تقريبًا إلى الخامس . وغالبًا ما تكون في شكل مجموعات نعرف مراكزها كدار الكتب المصرية ، ومكتبة عارف حكمت ، والقرويين بفاس ، والمكتبات الوطنية في بعض الدول العربية .

■ د . د . جمعة شيخة :

مسألة عدد المخطوطات التي سجلت ورصدت في المكتبات ، بلغت في دار الكتب الوطنية بتونس نحو ١٧٠ ألف مخطوط . هذا غير ما في الجزائر والمغرب وفي الدول العربية الأخرى ، وهذا يجعل مسئوليتنا كبيرة في محاولة المحافظة على هذه المخطوطات ، والكشف عما فيها من معارف .

الأمر الثاني الذي استلقت نظري ، ما أثاره د . أحمد فؤاد باشا هو عدم وجود اتصال بين المؤسسات العلمية ، ولا العلماء الأفراد ، فهناك كثير من الأمور التي تمت في قطر من الأقطار لا يعرفها كثير من المهتمين بهذا الموضوع . مثلاً فيما يتعلق بكتاب المناظر لابن هيثم . فقد نشر الجزء الأول منه في الكويت ، بتحقيق د . عبد الحميد صبرة ، والجزء الثاني على وشك الصدور . وهناك أيضًا عدد من الدراسات والنصوص العلمية المحققة التي لها قيمتها كالذي نشره د . محمد سويسسي من تونس ، ود . أحمد سعيدان ، في مجال الرياضيات . ود .

جلال شوقي أستاذ الهندسة في جامعة القاهرة حول المنظومات العقلية عند العرب . وهو كتاب ضخيم استطاع من خلاله أن يرصد كثيرًا من المنظومات التعليمية في مختلف فنون العلوم . وكذلك ما نشر من أعمال متعلقة بعلم البحر عند العرب في مجمع اللغة العربية بدمشق ، أو مركز الوثائق في رأس الخيمة ، حيث نشرت معظم أعمال أحمد بن ماجد ، وسليمان المهري .

هذه الموضوعات كلها مازالت في حاجة إلى تعريف ، كما ينبغي أن تصل إلى مختلف الباحثين في الوطن العربي ليكملوها ويراجعوها ويفيدوا من دراستها . وأشدتُ بكتاب إنباط المياة الخفية للكرجي ، وهو على صغره كتاب جليل في مجال المياه الهام ، وهو يعالج مسألتين : إحداهما لم يعالجها أحد قبله ، وهي قضية التوازن الأرضي ، وهي عبارة عن فكرة وجود توازن دقيق ما بين التضاريس الموجبة كالجبال والهضاب والتلال ، والتضاريس السالبة كالوديان والقيعان والمنخفضات . هذه الفكرة التي قدمها المؤلف في أسطر قليلة لم يشر إليها أحد من اليونان أو العرب قبله . وهي الآن تكاد تكون من النظريات التي لا يُشكَّ في صدقها في مختلف أنحاء العالم ، وتنسب إلى علماء أوروبيين في النصف الثاني من هذا القرن .

مثل هذه المعلومات ينبغي أن يتبادلها العلماء العرب ، وأن تهتم الهيئة بما يمكن أن تسميه الإعلام العلمي ، الأمر الذي يحفز كثيرًا من العلماء لمزيد من البحث ، وينشط المراكز العربية المعنية بالتراث .

■ أ. محمد بن عبد العزيز الدباغ :

يسعدني وأنا في هذا المجلس الكريم أن ألاحظ في الحاضرين روحاً طيبة تتعلق بوجوب الاهتمام بالجانب العلمي في التراث المخطوط . وكنت أظن أن الحديث عنه يأخذ طابع تاريخ العلوم عند العرب ، إلى أن علمت أن المسألة متعلقة باكتشافات عربية مشرفة ، فقد زار مدينة فاس سنة ١٩٨٧ جون فيلبس رئيس المستشفى الأصلي للأمراض النفسية في باريس ، وكان موضوعه يتعلق بشرح نظرية توصل إليها ، ترتبط بعلاقة الربو بالضغط الدموي . إلى أن زار خزانة القرويين وترجم له من أرجوزة ابن طفيل في الطب الجزء المتعلق بالربو ، فسجل بنفسه في دفتر الخزانة أنه يستحي أن ينسب هذا الاكتشاف لنفسه ، وقد ذكره ابن طفيل من قبله بخمسة قرون .

و كنت منذ ذلك التاريخ أقدم لزوار الخزانة هذه الفقرات المتعلقة بالربو . وكان من قبلي محافظ الخزانة محمد عبده الفاسي ، رحمه الله ، يقدم لهم الفقرات المتعلقة بمرض السكر في أرجوزة ابن طفيل ، لأن تشخيصه للمرض هو نفس تشخيص الطب الحديث له .

وهكذا نلاحظ أن ما تحتويه الكتب العلمية - طبياً أو هندسة ، أو غيرها - لا يمكن أن ندخلها في إطار التاريخ فقط ، بل قد يوجد فيها ما يمكنه أن يساعد على تطور العلم الطبي . وقد سمعنا أن موانع الحمل عند ابن الجزار يستعمل الآن نحو ٩٥٪ منها ، وأن الفوائد الطبية لا نجدها في كتب الطب فحسب ، ففي كتاب الكنوز المختومة للحلي ، وهو كتاب ضخم مشهور في التصوف ، حين

تحدث عن أطوار التكوين البشري، وأن الإنسان يكون مضغعة ثم علقة .. إلى آخره من الأطوار، نرى أن حديثه دخل في التشريح الطبي بما يحوي فوائده كثيرة، وأن تحقيق هذه المخطوطات وفهرستها فهرسة جيدة يكشف عمًا فيها من فوائده.

ولا بدّ من أن يكون محقق الكتب العلمية عالمًا في موضوعه، ليبرز الجديد في هذا العلم، ويميز ما هو قيّم في تاريخ الفكر والعلوم، بعيدًا عن الأسلوب الوصفي والخطابي الذي يحيي النفس، ولكنه لا يدوم؛ أما الإطار العلمي فهو الذي يفيدنا في حاضرنا ومستقبلنا.

■ د . جمعة شيخة :

إن الجانب العلمي من مخطوطاتنا يكون ٤٠٪ منها، وهو جانب مهمل عموماً، لأن العمل في التراث متجه في غالبه إلى العلوم الإنسانية. وقد عازمت على أن استمع الشباب التونسي إلى وجهة تحقيق المخطوطات العلمية الغنية بالرغم من العقبة التي تقف في هذا السبيل، ذلك لأننا ندرس العلوم بالفرنسية. وأؤيد زميلي أ. الدباغ على من ذكر من أمثلة مفيدة في كتب الطب. ومنها المعالجة بالموسيقى الذي عُرف عند التونسيين، ولكنه يقال إنه علم جديد يتولاه الأمريكيون ويطورونه إلى درجات أفضل.

وكذلك سبق العلماء الأندلسيون الغرب في وضع المعادلة التي تصنع مادة تحتمل درجة حرارة عالية جدًا لاستخدامها في عودة صواريخ الفضاء إلى الأرض.

■ د . عبد الله يوسف الغنيم :

موضوع المياه الباطنية له علاقة بالتوازن الأرضي ، وتبادل اليابس والماء . وهي فكرة قال بها اليونان من قبل ، ولكن زادها العرب توضيحًا وإضافة . وفكرة أن الأرض في الشمال كانت مغمورة بالماء ، أما الآن فالبهار الجنوبية ، وردت في كتاب الكرجي «إنباط المياه الخفية» ، وهي تعدّ بداية التفكير في نظرية زحزحة القارات ، ونظرية الألواح التكتونية المعروفة في هذا القرن .

■ أ . فيصل عبد السلام الحفيان :

أريد أن أوضح أمرًا . وهو أن كتاب الكرجي «إنباط المياه الخفية» قد حققته وأقامت دراسة قيمة حوله الفلسطينية المهندسة بغداد عبد المنعم ، وهي مقيمة في حلب (سورية) . وقد فازت المهندسة بغداد - بهذا الكتاب - بالجائزة العربية في تحقيق التراث ، والمعهد يعتزم أن يدعوها لإلقاء محاضرة بهذه المناسبة ، وسيوجه المعهد الدعوة للحضور الكرام جميعًا لحضورها .

■ د . كمال البقانوني :

لست مع د . الطناحي في عدم تفاؤله ، فالتقنيات الحديثة وشيوع المكتبات والحاسب الآلي والإنترنت وشبكات المعلومات لا بدّ أن تيسّر الأمر بعض الشيء . أما قضية النشر فهي تعبير عن واقع قد يكون مريئًا ، فجميع قضايا المخطوطات من حصر وحفظ وصيانة وفهرسة وتحقيق كلها روافد تصب في النشر ، فأبي مشكلة من هذه المشاكل لا بدّ أن تنطبع على النشر . بمعنى أن قمة

المشكلات كلها تجتمع عند النشر . وكلنا نعلم أن العلماء يقولون : إما أن تنشر أو تُؤرّى . هذا بالنسبة للأفراد ، وكذلك بالنسبة لثراث الأمة ، فإما أن ننشره ، أو نتؤرّى . فكأن النشر لثراثنا استمرار لجذورنا وحياتنا . وكذلك العلم يموت إذا لم ينشر .

وقضية ثالثة وهي أن العلم يربو بالتداول . فإذا لم تتداول هذه المعارف فيما بيننا يكون علماً منقوصاً ، لا فائدة تجتني منه ، وبهذا يضعف ولا يزيد .

والازدواجية في التحقيق والنشر أمر واقع لا نستطيع أن نتخلص منه تماماً . وإمكاننا بالتواصل عبر الشبكات أن نقلل من هذه الازدواجية والجهد الضائع .

أذكر أننا في أكاديمية البحث العلمي أقررنا نشر كتاب في البيطرة قام أستاذ بتحقيقه ، وأثناء إجراءات النشر ، اتضح أن الكتاب حقق ونشر في حلب . ويُذكر أن معهد الثراث العلمي العربي في حلب بدأ يوزع استبيانات في الوطن العربي ليملاًها المعينون بالثراث العلمي كل في تخصصه ، تمهيداً لطبع دليل يحدث شيئاً من التواصل والتعاون . وأعتقد أن معهد المخطوطات العربية ينبغي أن يتولى مثل هذه الأمور ويصدر أكثر من دليل في التخصصات كافة .

وأعتقد أنه على أقسام المكتبات والوثائق في الجامعات العربية ، وكذلك معهد المخطوطات العربية أن يفرد في دراسته تخصصاً في علم المخطوطات ، ويمنح الناجحين شهادة الدبلوم ، وبهذا تجذب الشباب العربي إلى هذا التخصص في الثراث ، مع الاهتمام - خاصة - بالخط العربي : نشأته وتطوره وأنواعه وفنيته .

أما تصوير الأفلام فهو مسألة مهمة ، ينبغي التوسع فيها ، وتبادلها بين المراكز

والباحثين بصورة لا حدود لها، ليقبل الجميع على التحقيق والدرس، مع التنبه أن مصورات الأفلام لها عمر افتراضي لا بدّ من تجديدها كل حين.

وينبغي على المعهد وعلى المراكز المهتمة بالتراث ألا تعتمد على نفسها في توزيع مطبوعاتها مكتفية بعدد قليل من الإهداءات، بل ينبغي عليها أن تعتمد على ناشر وموزّع جيد لينشر الكتاب في أنحاء الوطن العربي، وجميع الدوائر الأجنبية المهتمة بكتب التراث.

إنّ كثيرًا من الدول والهيئات القومية ليس لها تراث، وتحاول أن تفتش وتخلق لها تاريخًا وتراثًا. ونحن لنا تراث عريق ولكننا مقصرون فيه. وهنا ينبغي على المعهد أن يشارك في الشبكات الدولية (الإنترنت) ويقدم للمشاركين صفحات عن تراثنا في مختلف نواحيه، واتجاهاته، وأفكاره.

وعلى المعهد أيضًا أن ينشئ مشروعًا لوضع قاعدة بيانات موحدة فيما يتعلق بشؤون التراث والمخطوطات، وبهذا يتيسر التواصل والترابط والتعاون فيما بين الجامعات العربية، والمراكز المعنية، والأفراد العلماء.

وقد لاحظتُ شيئًا مؤسفًا لهذا الاجتماع، وهو غياب المرأة عنه. وأعتقد أن الشابة أكثر صبرًا من كثير من شباب هذه الأيام، للقيام بأعمال التراث من فهرسة وتحقيق ودرس.

■ د. محمد الرُبَيْع :

معلومة صغيرة عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. لدينا في الجامعة أكثر من تسعة آلاف مخطوط أصلي. وهناك حوالي اثني عشر ألف

مخطوط مصور. وأصدرت الجامعة عددًا كبيرًا من فهارس المخطوطات، كما أصدرت جزءًا خاصًا بالنوادير.

كثر الحديث في كل الاجتماعات عن التنسيق، ولأننا نعمل في مجال واسع، فجهة واحدة أو جهات لا تستطيع أن تقوم به، ولا بدّ من الاستعانة بالتقنيات الحديثة، وتبادل المعلومات، والتعاون التام، حتى يمكن السيطرة على هدر الجهود الواضح.

فيما يتصل بنشر الكتاب من قِبَل مؤسسة علمية، أو دار نشر تجارية. فلا شك أن المؤسسة العلمية تحرص على العناية بالتحقيق وحسن الطباعة، أمّا الدار التجارية فهي أقوى على توزيع الكتاب وانتشاره. ومن خلال تجربتي في جامعة الإمام فقد وضعنا بعض التصورات لحل هذه الإشكالية، بالنشر المشترك، فالجامعة عليها إعداد الكتاب إعدادًا علميًا جيدًا، أما التوزيع فللدار التجارية، وبهذا نضمن مستوى الكتاب وسعة انتشاره.

فيما يتعلق بدبلوم المخطوطات، فقد أحدثنا شعبة للمخطوطات في قسم المكتبات والمعلومات بالجامعة، وكان الإقبال عليها ضعيفًا، إلى أن توقف تسجيل الطلاب فيها، ولا نستطيع أن نلزم الطلاب بها، فالعمل في التراث هوى وعشق لا إيجابار. وينبغي أن نفتش عن وسيلة لجذب هؤلاء الشباب إليه، لأن أجيال المخطوطات تسير نحو الانقراض.

ومسألة أخيرة تتعلق بتحقيق كتب التراث الضخمة، فالتجربة السابقة إما بطيئة الإنجاز، أو متوقفة عن الاستمرار في النشر، كما حدث هذا في مؤسسات كثيرة منها معهد المخطوطات العربية، ودار الكتب المصرية.

وقد حللنا هذه الإشكالية بتوزيع الكتاب على طلبة الدراسات العليا بإشراف أساتذة متخصصين، وتوخينا توحيد مناهج التحقيق بين هؤلاء الدارسين قدر الإمكان. وحبذا لو انتشرت هذه الطريقة بين الجامعات العربية. ويبقى مسألة الطباعة والنشر وهي مشكلة المشكلات على نحو ما أوضحت قبل قليل.

■ أ. عصام محمد الشنطي:

إن عمل د. فؤاد سزكين في معهده في فرانكفورت بألمانيا يشكر عليه. أعني إصداره المخطوطات مصوّرة ومتاحة للمتخصصين. ولكن هناك بعض الكتب أو الموسوعات ذات الأجزاء المتعددة تخلو من الفهارس. وهذا يقف حائلاً دون الانتفاع من الكتاب. إن تراثنا فيه فوائد كثيرة في تضاعيف الكتاب، لا يكشف عنها إلا الفهارس الفنية المتنوعة. وتعدّ هذه الفهارس جزءاً من التحقيق العلمي الحديث، ومكملاً له، وكاشفاً عن النص والإفادة منه.

وفكرة تصوير المخطوطات التي بخط مؤلفيها فكرة جيدة، وأذكر أنني حين زرت المكتبة السعيدية، وهي مكتبة خاصة في حيدر أباد الدكن بالهند، وجدت فيها نسخة من تاريخ دمشق لابن عساكر، بخط ولده عبد الله، وعليها قراءة على والده وإجازة منه. وأظن أن مثل هذه النسخ ترقى إلى مرتبة ما بعد نسخ المخطوطات بخط مؤلفيها. ولا أظن أن مجمع اللغة العربية في دمشق حين أصدر أجزاء من هذا الكتاب الضخم مصوّراً أو محققاً اطلع على هذه النسخة النفيسة، ذلك لأن المكتبة غير م فهرسة.

والأمر الأخير، إن فكرة تقسيم المخطوطة الضخمة على طلبة الدراسات

العليا فعلتها دمشق في كتاب الأشباه والنظائر (في النحو) لجلال الدين السيوطي، وصدر في أربعة أجزاء عن مجمع اللغة العربية بدمشق. ولكن لا بد أن أتبه على ضرورة توحيد منهج التحقيق في الكتاب الواحد، ولا بد من مراجع واحد لهذا العمل حتى يخرج على نسق موحد، ومنهج قويم.

■ د. نوفان رجا السوارية :

استطاع مركز الوثائق والمخطوطات التابع للجامعة الأردنية بعَمَّان أن يقتني نحو ألف مخطوطة. والحق أنه توجه منذ تأسيسه إلى جمع المخطوطات المصورة على الميكروفيلم، وبيننا وبين بعض المؤسسات تعاون طيب وتبادل نموذجي، أذكر منها مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، ودارة الملك عبد العزيز في الرياض. أما دار الكتب المصرية فلنا معها تجربة غير ناجحة. أقول ذلك تقريراً للتجربة ورجاءً وحثاً على التعاون. وأذكر أن لمعهد المخطوطات العربية دوراً فاعلاً في مساعدة المركز لتكوين محصوله من المصورات.

ويحفظ المركز مصوراته في مكان مناسب حسن التهوية، وفي درجة الحرارة والرطوبة المطلوبة. كما نُظِّمَتْ فهارس لها مقبولة بأرقام من السهل استخراجها. وقد أسهم المركز في نشر بعض المخطوطات، وساعد الباحثين في توفير المخطوطات المصورة من الخارج، وبلغت المخطوطات المنشورة من أثر هذه المساعدة نحو عشرين كتاباً.

من مشكلات المركز، شأن كثير من المراكز، مسألة ترميم المخطوطات،

فليس بالمركز معمل للترميم . كما أن مصوراته الميكروفيلمية تحتاج إلى تجديد ، فالميكروفيلم له عمر افتراضي ، ينبغي أن يُتنبّه له .

وقد حاول المركز إقناع الأسر والأفراد أن يحفظوا مخطوطاتهم فيه ، وقدموا لهم الوسائل الترغيبية كافة ، ولكنهم لم يُقبلوا على هذه الدعوة ، خشية وضع اليد عليها ، أو تصويرها .

وهناك نقص فيما يخص المخطوطات العربية ، وهو عدم وجود فهرس شامل تذكر فيه المخطوطات ومواضعها في مكتبات العالم ، ليفيد الباحثين . وهذا مشروع ضخم ينبغي أن يتولاه معهد المخطوطات العربية ، وحتى يتم ذلك لا بدّ من النشاط لتبادل الفهارس الصادرة عن المراكز والمؤسسات ، تبادلاً واسعاً حتى ينكشف أمرها ويسهل اختيار الباحثين لها .

وألأحظ تهافت المراكز والمؤسسات العربية على تصوير المخطوطات المحفوظة في مكتبات أجنبية أو عربية . فالمرکز مثلاً صور مكتبة تشسترتي في دبلن (إيرلندا) ، والمكتبة الطيبة في بريطانيا وغيرهما ، وقامت جامعات عربية كثيرة وصورت هذه المكتبات نفسها ، فزدحمت المكتبات العربية بمصورات مكررة ، وحدث هدر للمال العربي ، مما يتوجب التنسيق والتعاون حتى نوقف هذا التهافت غير المنظم .

وينبغي أن يستفيد التراث العربي من هذه التقنية الحديثة ، فتبادل الدول العربية المعلومات فيما يخص المخطوطات عبر شبكات دولية . وفي الأردن ابتدأنا بتبادل المعلومات عن الكتب المحفوظة في أربع جامعات أردنية ، وهي الجامعة الأردنية ، واليرموك ، والعلوم والتكنولوجيا ، وآل البيت .

■ د . هادي شريقي :

فيما يخص مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، فقد قامت بمسح شامل للمخطوطات الإسلامية الموجودة في ١٠٦ دولة .. وقد صدر الجزء الأول منه بمعاونة د . عبد الستار الحلوجي . وهو عمل مفيد لأنه يمدنا بمعلومات أساسية عن أماكن المخطوطات ، كان بعضها مجهولاً لنا .

وصحيح ما قيل إن بعض المخطوطات غير مهمة . فحين بدئ عن حصر مخطوطات الصين ، وجد أن كثيراً منها من المقررات وكراسات الطلبة .

وتقوم المؤسسة الآن في حصر مخطوطات مالي وموريتانيا ، ونيجيريا والسنغال وروسيا وألبانيا ورومانيا ، ذلك أن كثيراً من مجموعات المخطوطات الإسلامية ظلت مهملة دون اهتمام وقتاً طويلاً .

وقد بدأت المؤسسة في الاهتمام بصيانة المخطوطات وترميمها ، فعقدت في السنة الماضية اجتماعاً في مقرها ، وتقرر أن تنشأ وحدة تعنى بشؤون الصيانة والترميم . وسنحيط المراكز المعنية علماً بما سيتم ، رغبة في التعاون معها .

تحدثتم عن التعاون والتنسيق ، وحتى يمكن الاستفادة الكاملة من بعضنا بعضاً ، لا بد أن تكون لدينا معلومات واضحة ودقيقة عن كل منا . فمثلاً ليس من المهم أن نعلم أن بعض المراكز ، أو معهد المخطوطات العربية ، به من المخطوطات ما يصل إلى عدة آلاف . ولكن ما هي المعلومات عن هذه المخطوطات ؟

وكذلك إذا وجد ميكروفيلم لعديد من المخطوطات لا بد من معرفة هذا

الميكروفيلم، لأن المؤسسة ترى وضع مشروع للميكروفيلم للعديد من المخطوطات، ولذلك ينبغي أن تعلم ما هي هذه المخطوطات التي صورت على ميكروفيلم.

ولزيادة التعاون فإننا ننشر نشرة دورية كل عام. ونرجو من المعاهد والمراكز المختلفة المهتمة بالأمر أن تمدنا بما تريد نشره من أخبار ومعلومات، وكذلك بأسماء المراكز والهيئات التي ينبغي أن ترسل إليها هذه النشرة، وذلك يزيد من التعاون ومعرفة بعضنا بعضًا.

وفهمت أن هناك اقتراحًا بتوحيد منهاج الفهرسة، وهذا أمر مهم. ونحن نميل في الشرق إلى الفردية، ما يجعل التوحيد في الدولة الواحدة صعبًا. وأقترح أن يجتمع الباحثون والمتخصصون في الدولة الواحدة، لوضع خطة للتمسك بملامح رئيسية لمناهج الفهرسة، وهي خطوة جديرة بالتنفيذ.

وأشير إلى ضرورة وضع التشريعات اللازمة لحماية المخطوطات. وأقول إنه خلال تجوالي نحو خمس عشرة سنة في كثير من الدول، وجدت أن هناك تشريعات قد تعوق الوصول إلى هذه المخطوطات. صحيح أن التشريعات لحماية المخطوطات أمر مهم، ولكن الوصول إليها أمر مهم كذلك. وبما يؤسف له أن الوصول إلى ميكروفيلم في إحدى المكتبات البريطانية قد يكون أيسر مئة مرة من الوصول إلى مخطوط أو ميكروفيلم في مكتبة في دولة إسلامية.

فيما يتعلق بالصفات المظهرية الطبيعية للمخطوطة فإن المؤسسة ستضع كتابًا أو دليلًا في كيفية رصد هذه الصفات العامة للمخطوطات.

وأخيرًا مسألة مخطوطات فلسطين، فالشيخ اليماني، رئيس المؤسسة،

مهتم بمخطوطات فلسطين والمسجد الأقصى والمكتبة الخالدية، ويتمنى أن يتلقى اقتراحًا محددًا مدروسًا بخصوصها، لمدّ يد التعاون لها ومساعدتها.

■ د. عبد الستار الحلوجي (معقّب) :

أثير في الجلسة أن المخطوطات العربية ليست سواء في قيمتها، أو ليست كلها مهمة، وهذه قضية صحيحة أساسية، فكنا نعرف أن الفهرسة وإعادة الفهرسة وتكرار الفهرسة وعمليات الحفظ كلها مكلفة جدًا، ولا بدّ من استبعاد غير المهم منها.

كما أثيرت مسألة استخدام التكنولوجيا الحديثة والأقراص المليزة في تصوير المخطوطات. وأستطيع أن أستخرج منها مستنسخات عدة دون أن تمسّ المخطوطة الأصلية، لهذا سموها بنوك المعلومات، لأنها كالبنوك تضيف إلى الحساب، وتسحب منه، دون أن تمسّ النقود. وهذه طفرة تكنولوجية كبيرة، ولكنها مكلفة جدًا. لهذا لا بدّ من اختيار المخطوطات الهامة، وانتفاء ما يستحقه هذا العناء وهذه التكلفة.

ومما ذكر أيضًا افتقاد المعايير والأدوات في مجال فهرسة المخطوطات، وذكرت قوائم الاستناد وأثيرت قضية الفردية. وأنا أقول: إن مشكلتنا نحن العرب هي التفاضل، وحلّ هذه المشكة هي التكامل. والمطلوب هو التوحيد والتكامل في أدوات الفهرسة. تختلف على مداخل الأعلام المشهورة، نقول في مصر الإمام ابن حنبل، وفي السعودية الإمام أحمد. لا بدّ من صنع لغة مشتركة، وأن نكوّن سيمفونية، بدلًا من هذا العزف المنفرد الجاري في الأقطار العربية.

وذكر أيضًا بعض مهام الهيئة المشتركة منها المعايير والترميم والاهتمام بالجانب المادي للمخطوط، لأن المخطوط حينما يحقق وينشر يصبح النص ملكًا للقارئ إنما تظل النسخة المخطوطة لها قيمة تاريخية، ويظل لكل نسخة ذاتيتها وتفردها، مهما تعددت النسخ، في خطها، في ورقها، في تاريخ نسخها، في أنماط التصسيق التي فيها، في اكتمالها أو نقصها. وكذلك ينبغي - كما ذكر - أن تهتم الهيئة المشتركة بالتشريعات لتداول المخطوطات لا لحمايتها فحسب.

ومما اقترح أيضًا إنشاء مركز معلومات للتراث، وهو اقتراح رائع، ولكن ينبغي أن يسبقه إنشاء قاعدة بيانات للمخطوطات العربية، بعد الاتفاق على الأدوات والمداخل والصيغة الموحدة، وبهذا يسهل اتصال الدولة بأخرى.

وأخيرًا أود أن أذكر بإعجاب ما صنعتة مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي من مسح للمخطوطات، فأصدرت فهرسًا للفهارس في أربعة مجلدات ضخمة باللغة الإنجليزية، ومنتظر أن يصدر في طبعته العربية في خمسة مجلدات، لا يقل الواحد منها عن سبع مئة صفحة. ويكشف هذه الفهرس عن أماكن للمخطوطات جديدة لم نكن نعرف شيئًا، فضلًا عن الأماكن المعروفة لدينا.

■ د. عبد الله يوسف الغنيم:

آلية الفهرسة وآلية التعاون عملية ضرورية للاهتمام بتراثنا العربي. قبل قليل كنت أتحدث مع الدكتور حجازي عن أحد الأشخاص في إحدى المؤسسات القومية للتراث، قضى نحو عشرين سنة في فهرسة جزء في فن من الفنون، وتكلفة هذا الشخص حوالي نصف مليون دولار، دون أن يصل إلى نتيجة

مروضية . فالعملية تحتاج منا إلى كثير من الاهتمام والضبط لمثل هذه الأمور . إن كثيراً من مؤسساتنا تعاني من الموظفين الذين يحاولون أن يتشبثوا بالمكان دون أن ينتجوا ، مع أن العمل كثير ويحتاج إلى جهود وتضحية ، لكننا للأسف الشديد لا نضع هذه الأمور في حساب الاقتصاد ، في حساب الربح والخسارة .

آلية التعاون أيضاً أمر هام جداً ، ولا شك أنه أشير في جلسات سابقة إلى كثير من ضعف التعاون . يمكن أن نجتمع ونرسم ونخرج بتوصيات ، وحين نعود إلى بلادنا ينتهي كل شيء ، ومثل هذا يتكرر كثيراً . لا بد من ضبط آلية التعاون بين الدول المختلفة .

■ د . محمود الطناحي :

أختار نقطة أدير حولها الكلام ، وهي مسألة أن المخطوطات ليست كلها على درجة واحدة ، هذه قضية صحيحة أن المخطوطات ليست كلها على درجة واحدة ، من حيث الاختيار والانتقاء والتصوير . لكن من الذي يحكم هذا الحكم ، من الذي يدخل مكتبة ويقول : هذا المخطوط مهم ، وهذا غير مهم ؟ ما هي معايير اختيار المخطوطة ، هل هو القدم ؟ هذا ليس على إطلاقه ، لأن في دار الكتب المصرية مخطوطة من « تأويل مشكل القرآن » لابن قتيبة ، مكتوبة سنة ٣٠٠هـ ، يعني في القرن الرابع ، وابن قتيبة توفي سنة ٢٧٦هـ ، يعني هي قريبة منه ، ومع هذا فإن هذه المخطوطة الموغلة في القدم هي أضعف النسخ ، لأن ناسخها كان جاهلاً وأسقط فيها أشياء كثيرة .

هل المخطوطة التي بعد الألف نتركها ، هذا غير صحيح لأن كتاب مقاتل الطالبين ، لأبي الفرج الأصبهاني ، لا توجد منه نسخ إلا بعد الألف ، إذن هذه

المسائل تقودنا إلى ثقافة الم فهرس . هذه المسألة ينبغي أن نعى بها عناية كاملة ، وأن تدرّس للمتدرّين على الفهرسة العملية . إن دار الكتب المصرية تعقد بين الحين والآخر دورة عن فهرسة المخطوطات وتلقى محاضرة أو اثنتان . هذا لا يكفي ، لأن المسألة تحتاج إلى معاودة . لا بد من تكوين أجيال من الم فهرسين المثقفين . الم فهرس المثقف هو الذي ينبغي أن يعرف تاريخ الكتاب المطبوع أولاً ، ثم قصة المخطوطات النادرة والنفيسة ، ومعايير الندرة ، والأماكن التي تكثر فيها المخطوطات كالمغرب وتركيا والهند . هذه المسائل لا بد أن نعد لها الم فهرس المثقف . ثقافة الم فهرس مسألة مهمة جدًّا ؛ لأن م فهرس الكتاب المخطوط غير م فهرس الكتاب المطبوع . وأعتقد أن هذه الورقة التي قدمها الأخ عصام الشنطي وتحدّث فيها كثيرًا عن ثقافة الم فهرس كافية ، حتى نحسم قضية المخطوطات ليست كلها على درجة واحدة .

■ د . غسان اللخام :

كنت قد قررت أن أركّز في موضوع الفهرسة لأهميته ، ولكن بحث الأستاذ عصام الشنطي قد قرّ عليّ نصف الحديث . والحق إن موضوع الفهرسة احتل الآن أهمية كبيرة لسببين أساسيين :

الأول وجود مجموعة من المكتبات الحكومية أو المؤسسات الخاصة التي تهتم بجمع التراث وتصرف جهودًا كبيرة بشأنه . والثاني وجود الحاسوب واستثماره في حفظ فهارس المخطوطات والوصول إليها . لدينا الآن في الوطن العربي مجموعة تجارب ناجحة في مجال فهرسة المخطوطات . عدة مكتبات يوجد لديها خطط ناجحة ، لا ينقصها إلا التوحيد . فهناك فروق أو اختلافات

في الوسط البيبليوجرافي للمخطوطات . المهم هو جمع هذه الخطط في خطة واحدة ، ولا يتسنى ذلك إلا بعقد اجتماع يدعو له معهد المخطوطات العربية ، وتحضره المكتبات والمفهرسون والخبراء ليخرجوا بخطة موحدة يتبناها المعهد باعتباره هو الغطاء القومي ، ومن ثمَّ يعتمدها في الوطن العربي .

أما موضوع تمويل المعهد المالي ، فإنني لا أراه مشكلة ، فهناك ، كل سنة ، أو ثلاث سنوات ، اتفاقيات ثقافية توقع بين الدول العربية ، يتم بموجبها تبادل الخبراء ، ويمكن للمعهد أن يطلب من الدول العربية أن يضمنوا برنامج التعاون الثقافي تبادل الخبراء في مجال فهرسة المخطوطات .

وسبيل آخر ، يمكن للمعهد أن يتقاسم نفقات خبير في فهرسة المخطوطات بينه وبين الدولة العربية الأخرى ، يتحمل هو تذكرة سفر الخبير ، والدولة تتحمل نفقات إقامته .

وينبغي أن نبدأ أولاً بالفهرسة الموحدة ، والاتفاق على الحقول في البطاقة ، وعلى سعة هذه الحقول ، ومن ثمَّ يمكن تطبيقها على الحاسوب الذي يمكن افتتاح شاشاته وبرامجه في الدول العربية جمعاء .

ولدي اقتراح ، هو في الحقيقة من خلال حديث الأستاذ عصام الشنطي ، أن يقوم المعهد بإنجاز دليل لمراكز المخطوطات في الوطن العربي ، يوزعه على جميع المعنيين ، يتضمن - غير المعلومات الأساسية عن كل مركز - توصيفاً لمجموعة المخطوطات المقتناة وأوضاعها فيه .

■ د. أيمن فؤاد سيد:

في الحقيقة أنا أتفق على ما جاء في هذا العرض الجيد الذي تفضل به الأستاذ عصام الشنطي، وأضيف إلى ما ذكره ملاحظتين:

الأولى أن الدورات التدريبية التي تعقد للفهرسة تهتم بالجانب النظري، وتهمل الجانب العملي، يُهتم في الدورات بتاريخ العلوم عند العرب، وأنواع الفهارس الموجودة في أوروبا وعندنا وغير ذلك. والصحيح أن يتم التدريب على المخطوطات ذاتها، فيعرف المتدرب - على سبيل المثال - ما هي الكراسة، وما حجمها، والتعقيية، والشَماع، والنسخ القديمة، والنسخ الحديثة، والقراءات، وأنواع المخطوط. كل هذه الأمور ينبغي معرفتها على المخطوطة نفسها. فالفهرس ينبغي أن يكون على قدر كافٍ من الثقافة التراثية، ويُعلَّم كيف يبحث في المخطوطة.

والثانية أن فهرسة المخطوطات تختلف عن فهرسة الميكروفيلم؛ فالذي يفهرس في ميكروفيلم يفتقد معرفة الصفات الخارجية للمخطوطة من طول وعرض وغلاف ونوع الورق. لذلك فإن التدريب ينبغي أن يكون على المخطوطات الأصلية لا المصوّرة.

أما قاعدة البيانات فكنا دعونا لانعقاد ندوة في شهر يوليو ١٩٩٣م، وكان د. جمعة شيخة، ود. غسان اللحام حاضرين، وخرجنا بتوصيات منها ضرورة عقد اجتماع لخبراء مراكز المخطوطات المتخصصة للاتفاق على توحيد للمداخل والبيانات المستخدمة في بناء قاعدة معلومات متكاملة تساعد على تحقيق الخطوات الأساسية نحو الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط. ولم يعقد هذا

الاجتماع ، وها نحن الآن نطالب بالتوصية نفسها ، ونرجو أن تأخذ سبيلها إلى التنفيذ . لا بدّ من عقد هذا الاجتماع لتكامل الأنظمة وتتفق الآراء على وضع خطة واحدة وبطاقة واحدة لتغذية الكمبيوتر بها ، ونصل منها بالفعل إلى الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط .

■ د . عباس طاشكندي :

إن ورقة الأستاذ عصام الشنطي ممتازة . وأود أن أوضح مسألة الفهرسة التحليلية التي نشأت في أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين . وكان الهدف من هذا المنهج في الفهرسة هو اختيار أصح النسخ وأفضلها وأكملها . وهذا النوع من الفهارس صعب جداً ، ولم يمازس عندنا ، بل مدرس في الثقافات الأخرى . وبالمناسبة فإن باورز ومكرو لهما منهج مفصّل في هذا النوع من الفهارس .

على أية حال ، أتفق مع الأستاذ عصام اتفاقاً كاملاً على ضرورة وجود خطة قومية محكمة للفهرسة .

وأتفق معه أيضاً على ما طرحه من بدائل ، فهي عملية وممتازة جداً . أقول ذلك لأننا بخصوص التدريب خضنا تجربة في جامعة الملك عبد العزيز سنة ١٩٧١م ، فقد استدعينا د . صلاح الدين المنجد لدورة صيفية لمدة ثلاثة شهور ، واخترنا من الطلاب المناسبين لهذا العمل ، ومن العاملين في المكتبة ، نحو ١٥ فرداً . ثم كررنا التجربة مرتين ، ثلاثة شهور في كلّ مرة ، كان يدرّب مجموعة من الطلاب والباحثين والموظفين . وهذا الجيل الذين دربهم د . صلاح الدين المنجد هم الذين اشتغلوا في فهرسة المخطوطات في السعودية ، وقد توزعوا

في أكثر من جهة ، وكثير منهم عشق هذا العمل وتفانى فيه ، وأبدعوا في صنع الفهارس لمكتبات كنا لا نعرف عن مجموعاتها شيئاً ، كمكتبة الحرم المكي ، الذي سيصدر فهرسها في ثمانية مجلدات ، فهرسها مع مجموعة من الشباب أحد المتدربين ، وهو محمد عثمان الكنوي الذي أصبح ممارساً لهذه المهنة وناجحاً فيها .

على أن المعهد يجب أن تكون له بدائل أساسية ، لأنه من أهم خصائصه أن يختص بالتدريب والتأهيل ، فلا يهمل هذه الخصيصة ، ويظل ينفذها في حدود إمكانياته ، وحين تتوسع هذه الإمكانيات يتوسع هو في خطته من هذا القبيل . مع وجود بدائل عملية على نحو ما فصلنا من الاقتراح ومن تجربتنا الناجحة تمامًا . على أن يُحسن المعهد اختيار الأساتذة المدربين الذين عندهم القدرة على خلق أجيال مؤمنة بترائها ، فضلاً عن حذقه في مهنته .

وهناك بديل عملي آخر ، ذلك إننا نستطيع أن نضع برنامج تدريب على أسرطة فيديو . بمعنى أنه يمكن برمجة خطوات التدريب بقلب تعليمي . المهم الاستفادة من هذه التقنيات الحديثة في خدمة التراث المخطوط .

أعود مرة أخرى إلى الفهرسة ، ويكفي في هذا السبيل أن أذكر المخطوطة وأوصافها الأساسية ليصل الباحث إلى النسخ التي تفيده . أما فهرسة أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فهي وإن كانت تحليلية مفيدة - إلا أننا لسنا في حاجة إليها ، فضلاً عن أن المفهرس عندنا عملة نادرة ، وأن جيلكم إذا انقرض فلن يعوض ، هذا الجيل المسلح بحصيلة أساسية وجانبية ، وعلى دراية بالعلوم المساعدة ، وكذلك بخبرة واعية .

■ د . هادي شريقي :

من مهام المعهد الأساسية في مجال التنسيق، أن يتبنى فكرة الفهرسة بأسلوب القوائم الحصرية، دون ذكر بيانات تفصيلية، وأن يشجع الجهات المختلفة على إعداد مثل هذا الفهرس .

أقول ذلك بإزاء هذه المخطوطات المتراكمة بالئات والألوف لم يمسهها أحد، فضلاً عن عدم فهرستها . هذا الحال موجود في مجموعات كبيرة في الدول العربية . وإذا تجاوزناها وجدنا ذلك في تركيا والهند وغرب إفريقيا التي تفتقد الفهرس الذي يقوم بهذا العمل . وفي تترستان وروسيا أكثر من خمسة آلاف مخطوطة مجهولة للباحثين . لقد تحققت من هذه الأوضاع أثناء قيامنا بمشروع حصر المخطوطات الإسلامية في العالم . وبلغ من فرط حماسي أنني حاولت أن أقنع مدير المكتبة الوطنية في الجزائر بأن يفهرس مخطوطاتها بأسلوب القوائم البعيد عن التفصيلات .

في ضوء هذه الاعتبارات التي ذكرتُ أطالب هذه الهيئة بالاكْتفاء بأسلوب الفهرسة المختصر، وأن تروِّج لهذا الأسلوب لدى جميع المكتبات العامة والخاصة .

■ د . أحمد فؤاد باشا :

أتصور أن مسئولية هذه الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي، تتوجه إلى وضع استراتيجيات واضحة، دون الدخول في تفصيلات . فإذا اتفقنا على

الخطوط العريضة يصبح بعد ذلك تنفيذ التفاصيل أمراً هيناً .

وإذا كان هناك من توصية محددة يمكن أن أطرحها على هذه الهيئة الموقرة ، فهي الاعتراف منذ البداية بأن إمكانيات معهد المخطوطات العربية متواضعة جداً لا تفي بالطموحات التي ذكرنا معظمها من خلال الورقات التي عرضت ، ويكون الطلب ، هو : كيف ندعم المعهد بحيث يؤدي فعلاً الدور المنوط به ، يعني من يدعم معهد المخطوطات هل هي دول فردى ، كل دولة على حدة ، أم عن طريق جامعة الدول العربية ، لأنه حقيقة بدون الدعم وبدون العمل الجماعي فإن معظم هذه الأحلام لن تتحقق ، وسنجتمع كل عام ونكرر نفس الكلام كما كرّره السابقون . فالتوصية المحددة هي : هل يستطيع المعهد أن يقوم بالمسئوليات الملقاة على عاتقه في إطار التصورات التي طُرحت في هذا الاجتماع ؟

ولكي يتم هذا لا بد من الاتفاق أيضاً على منهجية واضحة المعالم ، والاتفاق على أن التعامل مع التراث والمخطوطات ، يتم على مراحل ، كل مرحلة ضرورية للمرحلة التالية . يعني إذا بدأنا بخطة جمع المخطوطات ثم حفظها وفهرستها وتحقيقها ونشرها ، كل مرحلة من هذه المراحل تحتاج إلى خطة تفصيلية وفريق عمل يراها . ولا بد أن يتم هذا من خلال المعهد ، لأنه الصرح الوحيد الذي يستطيع أن يجمع الخبراء اللازمين لتنفيذ أية مرحلة من هذه المراحل .

لتكن الخطط الطموحة التي نضعها الآن خططاً آجلة . أما من الخطط العاجلة ممكنة التنفيذ ، والتي تناسب صحتنا التراثية في الوقت الحاضر ، أن نهتم بإصدار أمهات كتب التراث في مختلف العلوم ، لانتفاع المؤسسات العلمية

المتخصصة بها، ودراستها دراسة واعية .

أما التوصية الأساسية التي ينبغي أن تطرح في هذا الاجتماع فهي دعم المعهد دعمًا ماديًا ومعنويًا، ليكون مركزًا قوميًا للتدريب والتعاون، ودعمه بالإمكانات البشرية حتى يستطيع أن ينهض بأعمال تراثية ضخمة .

■ د . جمعة شيخة :

واضح أن الدول العربية متفاوتة في ظروف فهرسة مخطوطاتها، ولكننا نتفق على الحد الأدنى لفهرسة المخطوطة وهو أسلوب القوائم شريطة أن يعين الباحث على اختيار النسخ المناسبة .

لكن هذا لا يمنع أن يكون في بعض البلدان تجربة رائدة تعنى ببعض التفاصيل المفيدة . وأرجو أن يركز على المجموع التي يحتوي كل منها على مجموعة من الكتب، فغالبا فهرس في السابق بعنوان أول كتاب منها، وأهمل ذكر الكتب اللاحقة له .

وأوضح أمراً للدكتور عوفي أن مخطوطات وادي ميزاب قد فهرسها تونسي، وهو شيخ من شيوخ الإباضية، كان يقر في القيروان ثم مدينة تونس . وهو عمل شخصي، ولكنه ربطه بالمكتبة الإباضية، وقدمه للذين يحبون أن يتخصصوا في هذا المذهب . أما المكتبة البارونية في جزيرة جربا بالجمهورية التونسية، وهي مكتبة خاصة، فإن فهرسها موجود في دار الكتب الوطنية في تونس . وبالمناسبة فإن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي، قد صور منها .

■ د . أحمد نظيف :

أود أن أؤكد على أن الفهرسة على مستويين، وأنهما مطلوبان . فحال المخطوطات عندنا تقتضي الآن الفهرسة السريعة، لأنها حصرية وأقل زمنًا وجهدًا ومالًا، ولا تحتاج إلا لخبرة بسيطة . ونحن فهرسنا مخطوطات دار الكتب المصرية البالغة نحو خمسين ألف، فهرسة سريعة، في ستة شهور . وقد أدخلنا هذه المعلومات إلى الحاسب، قابلة للإضافة في الفهرسة المفصلة باستمارة تفصيلية، والتي يحتاج إنجازها إلى نحو ثلاث سنوات، يقوم بها مفرسون متخصصون ذوو خبرة . ولا يهّم أن تكون الفهرسة السريعة صحيحة ١٠٠٪، ولا الفهرسة التفصيلية صحيحة ١٠٠٪، والمهم أن نضعها على وسيط قابل للتجديد والتحسين بصورة مستمرة .

وأؤكد لكم أن الحاسب الآلي في الوقت الحاضر يستطيع أن يصدر بعض أنواع الفهارس آليًا، فيشتق بعض المصطلحات، ويرصد بعض العناوين في مقدمات وخاتمات بعض المخطوطات، اعتمادًا على ما يسمى بالذكاء الصناعي، والنظم الخيرة التي تحاكي الخبير . إذن فإن التكنولوجيا حاليًا تسمح لنا بأكثر مما كانت تسمح به من عشر سنين أو عشرين .

■ أ . محمد بن عبد العزيز الدبّاغ :

الملاحظ أن الاختلافات في الآراء ناتجة عن الاختلافات في الممارسة والتجربة . فمثلًا زرت موريتانيا، والمدن التاريخية منها، فمخطوطاتها في حاجة إلى عملية فهرسة أولية بسيطة نظرًا لتلاشي هذه المخطوطات وخطر ضياعها . ولو

أن طاقات الأمة العربية تصب في اتجاه واحد، فالقدرات التونسية مثلاً توظف في خدمة الاحتياجات الموريتانية، وهكذا...

ويمكن للبلدان التي قامت بالفهرسة الأولية، أن تشرع في الفهرسة المطوّلة، وهذا لا يتعارض مع ما ننشده جميعاً من بطاقة موحّدة.

وأود أن أشير إلى باب خطير من المخطوطات، وهو باب الوثائق المتضمنة مادة تراثية هامة، وحضارية، وتحتاج إلى جذاذات مطوّلة، لتكشف عن ملاحظات حضارية هامة، فالوثائق - على وجه الخصوص - لا يفيد فيها الفهرسة الأولية البسيطة.

■ د . عبد الستار الحلوجي :

أختلف مع الأخوة الذين تحدثوا في الفترة الأخيرة في أمور، أولها: أن د . هادي شريقي حين تحدث عن قائمة الحصر، قصد بها حدًا أدنى من البيانات لا ينبغي التنازل عنها، وهي عنوان المخطوطة، واسم المؤلف، وعدد الأجزاء، وعدد الأوراق، وتاريخ النسخ، ورقمه في المكتبة. أقل من هذا لا يعد فهرسًا، ولا يعد قائمة حصر، وإنما هو نوع من العتب في التعامل مع المخطوطات. وأن قائمة لا تحتوي إلا على عنوان المخطوطة، واسم المؤلف، لا يقبلها أحد، وهو جهد ضائع لا محالة.

وثانيها: إنني أخالف القول القائل إنه ليس من الضروري أن أكون مئة في المئة صحيحًا من أول مرة، لأن الوسيط الذي أحملُ عليه البيانات قابل للتجديد أو التحسين. فأنا لست مستعدًا أن أضيع عمري في صنع الفهارس، ويأتي من

بعدي من يفهرس مرة أخرى لكي يصحح الخطأ. المفروض أن أضع بيانات صحيحة مئة في المئة من أول مرة. قد أحذف بعض البيانات لست في حاجة إليها، كذكر التمليكات والسماعات والإجازات، ونوع الخط والزخارف والتجليد، هذه أشياء يمكن أن أؤجلها، إنما المعلومات التي أسجلها ينبغي أن تكون صحيحة مئة في المئة من أول مرة، وما أضيفه فيما بعد يكون صحيحاً أضيف إلى صحيح.

وآخرها إن الحاسب الآلي قادر على فهرسة المخطوطات، هذا غير صحيح بالمرّة، فلا الذكاء الصناعي، ولا النظم الخبيرة تستطيع من العنوان أن تشتق رأس الموضوع. إن الذين تعاملوا مع المخطوطات يدركون أن العناوين أحياناً تكون غير دالة، وبعضها مضلل، وسأذكر مثلين بسيطين، كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» هل هو في فنون الأدب؟ و«صبح الأعشى في صناعة الإنشاء» هل هو في الإنشاء؟ مثالان لكتابين ضخمين مشهورين ومنشورين. إن الذكاء الصناعي والحاسب الآلي لا يستطيع أن يفهرس مطبوعاً، فكيف يفهرس مخطوطاً؟

■ أ. محمد بن إبراهيم الشيباني :

ألاحظ أن الكل يرمي الكرة على معهد المخطوطات العربية، ويريد منه ما لا يستطيع. والحق أن كثيراً من رجال المال العرب لديهم استعداد لتقديم العون إذا ما عُرض عليهم كلفة مشروع كالحاسوب الآلي. والدليل على ذلك أننا عرضنا عام ١٩٨٨ على محسن موضوع إدخال الحاسوب في المكتبة السليمانية في إستانبول (تركيا) بهدف خدمة التراث وفتح مجال التصوير، فوافق وقمنا بشراء الحاسوب IBM. والمكتبة فيها نحو مئة ألف مخطوطة، منها ٦٣ ألف

عربية، والبقية فارسية وتركية، أدخلوا منها حتى الآن قوائم وفهارس أكثر من ثلاثين ألف مخطوطة. واستفدنا من هذا الحاسوب فاستخرجنا مخطوطات ابن تيمية في دقائق، ومخطوطات تاريخ البلدان في دقائق، وكان العدد مذهلاً يدل على فائدة هذا الحاسوب. وهكذا انفتحت المكتبة للتصوير.

لا ينبغي أن نضيع الوقت في ندوات ومناقشات، فالحواسيب موجودة، وأهل الخير موجودون، وليكن في القوائم شيء من التوصيف، المهم أن نبدأ ليستفيد الباحثون من هذا الركام الخبياً.

■ أ. عصام محمد الشنطي :

عوداً إلى منهج الفهرسة، فقد كثر الحديث حوله. ومهما تكلمنا عن المناهج فإنها لا تخرج عن ثلاثة: ما يأخذ شكل القائمة، وما يأخذ الشكل الوصفي، وما يأخذ الشكل التحليلي. التحليلي في رأيي إذا فهمناه جيداً - وهو مبيّن في ورقتي باقتضاب - المقصود منه - على سبيل المثال - ما فعله المستشرق الألماني أولورد في فهارس بعض مخطوطات مكتبة الدولة في ألمانيا. بمعنى أنه كان يأخذ المخطوطة ولا يذكر عنوانها ومؤلفها وما اتفقنا عليه من الحد الأدنى للقوائم فحسب، وإنما يفصل في محتواها ومادتها، في أبوابها وفصولها، ومن ثم يذكر مادة الأبواب، فإن كان كتاباً في الأدوية يذكر البابونج والينسون وفوائدهما، مع ذكر صفحات وجودهما في المخطوطة، وهكذا تأخذ فهرسة المخطوطة منه الصفحات الطوال، والمجموعة القليلة من المخطوطات مجلداً. هذا المنهج في رأيي غير وارد في المخطوطات العربية بإزاء ندرة المفهرس، وإزاء أن ثلثي المخطوطات منها على الأقل لم يمسه مفهرس على الإطلاق كما قال د. شريف.

إذن بقيت فهرسة القوائم والفهرسة الوصفية، الفارق بينهما بسيط ودقيق، وهو إذا أردت فهرسة القوائم وتكتب عنوان المخطوطة واسم المؤلف، مما تجده على الغلاف، فهذا - وإن لم يكف من ناحية - فهو في حاجة إلى تمحيص وتوثيق في عنوان المخطوطة ونسبتها لصاحبها، والأمثلة على الأوهام التي وقعت فيها سجلات مكتبات تركيا كثيرة. ويبقى بعد ذلك بعض الأمور الأخرى التي لا ينبغي التنازل عنها كحد أدنى لأسلوب القوائم. إن توثيق عنوان المخطوطة وصحة نسبتها لمؤلفها أمر مهم لا يستطيعه إلا مفهرس متمرس، ذو ثقافة تراثية عالية.

■ د . عبد الكريم عوني :

أشكر د . جمعة شيخة على المعلومة المتعلقة بفهرس وادي ميزاب عن الإباضية. وأفيد أن المستشرق الألماني جوزيف فون هريس ذكر في دراسته عن بعض المخطوطات الإباضية عام ١٩٧٤ أن للإباضيين مئة مكتبة، منها ٨٧ مكتبة في وادي ميزاب، وخمس في جريا، وسبع في ليبيا. ثم جاء الحاج أيوب والحاج سعيد فذكر في دراسة له أخرى أن في وادي ميزاب ١١٤ مكتبة.

وهناك دراسة أعدها حاليًا حول مخطوطات هذه المنطقة. هذه المكتبات كلها عامرة بالمخطوطات، ولم يكشف عنها حتى الآن، ولعل هذا الذي وضعه الشيخ الإباضي اقتصر على تناول جانب الإباضية، ولم يتناول هذه المكتبات بعامة.

وموضوع المخطوطات في وادي ميزاب تبنته جمعية التراث في بني يزقن،

بعنوان : دليل مخطوطات وادي ميزاب - من الفكرة إلى الإنجاز ، وهناك حوالي خمس عشرة مكتبة ، تمّ في الآونة الأخيرة إعداد البطاقات الفنية بخصوصها ، طبع منها حوالي سبع ، وقفّت منها على ثلاث فقط ، ومشروع الدراسة قائم ، وأرجو أن أوفق في إعداد هذه الدراسة .

وفيما يتعلق بواجبات المعهد ، فلا ينبغي أن نحتمله فوق طاقته ، ولكنه يمكن أن يسهم في الحفاظ على هذا التراث ، وينسق الجهود مع المراكز المعنية ، ويعقد الدورات التدريبية ، ويبعث الخبراء بالتعاون مع المراكز والمكتبات ، وغير ذلك مما يمكن تنفيذه .

■ د . أحمد يوسف أحمد محمد :

ما كنت أنوي الحديث إلا في نهاية هذا الاجتماع ، ولكنكم تحدثتم كثيراً عن دور المعهد وضرورة دعمه ، كما أثير الحديث عن ضعف الإمكانيات ، لذا أود أن أبين ثلاث ملاحظات : الأولى أنه رغم صحة ضعف الإمكانيات ، وسوف أتحدث عن هذا في ختام الندوة ، إنما من العجيب ، وبسبب غياب التنسيق ، كانت بعض إمكانياتنا المتواضعة تُرد إلى الإدارة العامة في تونس دون إنفاق ، وبالتالي فإن التنسيق ، من شأنه أن يوفر الاستثمار الأمثل لهذه الإمكانيات المتواضعة .

والثانية أنه من خلال التنسيق المشترك والتعاون يمكن أن تتعاضد إمكانياتنا جميعاً .

والثالثة أنه من خلال هذا الاجتماع المتميز ، وغيره من الملتقيات الفكرية لا

بد أن تبرز أفكار رائدة غير تقليدية، يمكن أن تحقق طفرات رغم ضعف الإمكانيات. وأرجو أن تتوج جهودنا جميعًا بالنجاح، رغم ضعف إمكانيات بعضنا، وحسن إمكانيات بعضنا الآخر.

■ د . يوسف زيدان :

في التقسيم الفلسفي للأشياء هناك نص، وهناك خطاب. ومنذ إنشاء المعهد وحتى يومنا هذا انشغلنا دائمًا بالنص التراثي، كيف يجمع، وكيف يفهرس، وكيف ينشر، وكيف ننسق من أجل مشكلات النص التراثي؛ أما الخطاب فهو مهمل ومنسي.

سأضرب مثلاً: من عشر سنوات مضت انشغل الواقع الثقافي العربي كله بقضية الحوار بين الشرق والغرب، وكان يدلي بدلوه فيها د. محمد عبد الجبري من المغرب، د. حسن حنفي من مصر، واهتمت المجلات والجرائد الثقافية العربية بها. وتمخض ذلك عن أعمال ضخمة تقع في مجلدات لا تقل بحال عن أعمال المتكلمين الأوائل، ولا تزال تشغل الواقع الثقافي، وبرزت أسماء كثيرة غير ما ذكرنا مثل عبد الله العروي. وإني أتساءل: أين المشتغلون بالتراث؟ وأين المؤسسات من هذا الخطاب التراثي المستنبط من التراث نفسه؟ الأستاذ الدُّبَاغ، البارحة يشير في كلامه إلى أن مخطوطة ابن طفيل أثبتت تقدم الطب العربي في الأندلس والمغرب. لماذا في الأندلس والمغرب؟ لأن هذا خطاب تراثي هيمن على الإخوة المغاربة، بمعنى أن التراث العربي له استقلالية معينة في المغرب تحت تأثير ما أطلقه محمد عبد الجبري من أن العقل المغربي

عقل برهاني ، والعقل المشرقي عقل نوراني إشراقي . وقد سادت هذه الفكرة عندهم ، مع أنها غير صحيحة .

في كلام د . حمد ، البارحة ، أن إسرائيل حريضة على أن تسلب الفلسطينيين تراثهم ، مع أنها سلبت أرضهم ونفوسهم ، لكي يكون لها الخطاب التراثي .

مما يؤسف له حتى هذه الساعة أن الخطاب التراثي أوروبي . هم الذين انتقوا أمهات الأعمال التراثية وقدموها ، وهم الذين أسسوا المناهج ، وهم الذين أعطوا الصورة ، ونحن قد نعارض الصورة أو نوافقها ، ولكننا ، في الحالين ، نحن متابعون للخطاب التراثي الأوروبي . والآن إسرائيل تنشر في الجامعة العبرية بعض كتب التصوف لأبي عبد الرحمن السلمي ، ليس عشقًا للتراث العربي ، ولا حبًا في هذا الفكر ، ولكن لتملك الخطاب التراثي . مثل هذا في السياسة حين دعا راين العالم بعد توقيع الاتفاقية إلى مساعدة الفلسطينيين ، ليمتلك خطابهم ، فيحرمهم منه .

إن الإنترنت يمكن أن تساعدنا على الاهتمام بالخطاب العام . إن الاشتراك السنوي في الإنترنت غير مكلف . ويمكن للمعهد ، أو أي شخص ، أن يقوم بعمل « الهوم بيج » ، ويعطى لشركة خاصة لتنفذه ، وهذا من مهمة التنسيق بين المتعاملين مع التراث . و« الهوم بيج » ممكن تحميل إلى المكتبة الوطنية بتونس وغيرها . لقد صنعنا « هوم بيج » لمكتبة الإسكندرية ، وأشرنا فيها إلى جميع أعمالنا .

لقد بلغ من إهمالنا للخطاب التراثي وتفريطنا فيه ، أن معظم ما يكتب في

الشبكة عن الفكر العربي، والتاريخ العربي، بأقلام غير عرب. لقد تركنا الآخرين يخططون ويقسمون ويعملون لخطابنا التراثي، ويتكلمون عنا ونحن صامتون. نحن مشغولون بالورقة، وهم مشغولون بالفكرة. نحن نخاطب أنفسنا، وهم يخاطبون العالم.

■ د . محمود علي مكي (معقب) :

ورقة د . الطناحي ممتازة ، وأثني على رأيه بضرورة تصوير المخطوطات التي بخطوط مؤلفيها ، لا كشهادة تاريخية على خط المؤلف فحسب ، وإنما لمعرفة تطور تأليف الكتاب عند هذا المؤلف ، ولدنيا على سبيل المثال ، تاريخ ابن خلدون ، فقد غير فيه وعدّل وأضاف إليه ، ولدنيا عدة نسخ بخطه تدل على هذا التغيير والتعديل والإضافة ، ونشر هذه المسودات ، بطريق التصوير يفيد كثيرًا في تبين فكر ابن خلدون . وأشار إلى ما صنعه د . أيمن فؤاد سيد حين نشر « الخطط » للمقرئزي ، بطريق التصوير للمسودات التي كتبها المقرئزي نفسه .

وهناك مسألة أخرى ، تتعلق بنصوص طبعت في أوروبا منذ عصر النهضة ، وأصبحت بمثابة المخطوطات ، وإن طبع منها بعض الطبعات التجارية التي لا قيمة لها . إنه من المفيد أن يصورها المعهد ويحفظها لديه ، وينشرها بمعونة مجامع اللغة العربية ودور النشر الجيدة . أضرب من الأمثلة منها جغرافية الإدريسي التي نشرت في البندقية سنة ١٥٢٤م ، وحي بن يقظان لابن طفيل الذي نشر سنة ١٦٧١م ، وكتب الفلاحة لابن العوام (بنصها العربي) سنة ١٨٠٦م ، وغيرها كثير .

■ د. حامد عبد الرحيم عيد:

شبابنا بعيد الآن عن تراثنا، لذا ينبغي أن نبسط لهم التراث، وأن يقوم بذلك شيوخ التراث المعتمدين، وأن تكون طبقات الشباب بأسعار ميسورة مشجعة، بعيداً عن الأدعياء الداخلين في مجال النشر يبيعونه بأثمان عالية، فلا هو عمل علمي معتمد، ولا هو بأسعار في متناول الشباب وغيرهم.

أما طريقة د. فؤاد سزكين في نشر التراث فهي طريقة ممتازة وناجحة، والمأخذ عليها ارتفاع أسعار منشوراته ارتفاعاً باهظاً، يعجز عنها كثير من المؤسسات، ومركزنا الحديث النشأة يحاول أن يحصل عليها منحة من هيئة التبادل الألمانية.

* * *

التوصيات

انعقد الاجتماع الثاني للهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي، في القاهرة، خلال يومي ١٨، ١٩ ديسمبر (كانون أول) ١٩٩٦، وذلك بحضور أعضاء الهيئة الذين يمثلون الأقطار العربية التالية: الأردن، والإمارات العربية، وتونس، والسعودية، وسورية، وفلسطين، والكويت، ومصر، والمغرب. في حين تغيب الأعضاء الذين يمثلون البحرين والعراق.

كما حضر من الأعضاء المراقبين كل من د. أحمد نظيف نائب رئيس اللجنة الاستشارية لرئاسة مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار برئاسة مجلس الوزراء المصري، ود. حامد عبد الرحيم عيد مدير مركز بحوث ودراسات التراث في العلوم الطبيعية التابع لكلية العلوم بجامعة القاهرة، ود. عبد الكريم عوفي بمعهد اللغة العربية وآدابها بجامعة باتنة - الجزائر، ود. علي عبد المعطي محمد مدير مركز التراث القومي والمخطوطات بجامعة الإسكندرية، وأ. محمد ابن إبراهيم الشيباني رئيس مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت، ود. محمد بن عبد الرحمن الزبيح، وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لشؤون البحث العلمي بالرياض، ود. هادي شريف أمين عام مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن.

وكان قد اعتذر سلفاً عن عدم المشاركة في الاجتماع لارتباطات سابقة كل من المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) كعضو مراقب، ود. أحمد شوقي بنين محافظ الخزانة الحسينية بالرباط - عضو الهيئة، ود. خالد ماغوط، مدير معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب - عضو الهيئة، ود. عبد الرحمن فرفور نائب رئيس مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي كعضو

مراقب، ود. عجلان العجلان عميد شؤون المكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

وقد استهلّت الجلسة الافتتاحية بكلمة قصيرة للدكتور أحمد يوسف أحمد محمد المشرف على معهد المخطوطات العربية. ثم ألقى أ. محمد المليبي المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كلمة أكد فيها الارتباط بين الثقافة والتراث. كما ألقى د. عبد الله يوسف الغنيم معالي وزير التربية، والتعليم العالي الكويتي، كلمة أيضًا بالمناسبة. وعقب ذلك اقترح أ. المليبي اختيار معالي د. الغنيم رئيسًا للدورة الحالية للهيئة، واختيار د. جمعة شيخة مدير دار الكتب الوطنية بتونس، ود. غسان اللحام مدير عام مكتبة الأسد الوطنية في دمشق نائبين للرئيس، و أ. فيصل عبد السلام الحفيان من معهد المخطوطات العربية مقرًا للهيئة.

توزعت مناقشات الهيئة على ثماني جلسات الأولى للافتتاح والأخيرة للختام، في حين خصصت جلستان من جلسات العمل للاستماع لتقارير الأعضاء عن أوضاع المخطوطات في بلادهم. أما الجلسات الأربع الباقية، فقد توزعت على محورين، الأول: قضايا المخطوطات وهمومها؛ والثاني: آفاق التعاون وتنسيق العمل التراثي.

وقد رأس هذه الجلسات جميعًا معالي د. الغنيم. وقد تم خلال جلسات الاستماع تقديم عروض لأوضاع المخطوطات في كل من الإمارات العربية، ودار الكتب الوطنية، ومكتبة القيروان بقرادة بتونس، والمملكة العربية السعودية، ومكتبة الأسد الوطنية بدمشق - سورية. وفلسطين عامة وبيت المقدس خاصة،

و دار الكتب المصرية، ومخطوطات الإسكندرية، وخزانة القرويين بفاس - المغرب. وكذلك استعرضت التقارير مخطوطات الجزائر ومركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت، وجهود مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي في لندن في المشروع الكبير الذي تبناه للفهرسة.

وفي جلسات العمل تم طرح القضايا التالية: إنقاذ المخطوطات - المواقع والمسؤوليات والوسائل، ومسألة الفهرسة - البحث عن حل، إعداد الأجيال - المهمة الصعبة، والنشر - واقعه وأولوياته وتنظيم حركته.

وقد أسفرت المناقشات والمداولات التي تمت خلال جلسات العمل عن مجموعة من التوصيات الهامة يمكن تصنيفها على النحو التالي:

أولاً - الحفاظ على التراث المخطوط:

(أ) رسم خريطة واضحة التضاريس والمعالم لمناطق المخطوطات في العالم، ووضع خطة طوارئ قائمة على وضع أولويات لإنقاذ التراث العربي المخطوط.

(ب) مطالبة الدول العربية بتطبيق القانون الخاص بحماية المخطوطات الذي أعده معهد المخطوطات العربية وسبق إقراره من قبل الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي.

(ج) تنظيم دورات تدريبية على فن ترميم المخطوطات وصيانتها والحفاظ عليها، وتشجيع الأجيال الجديدة على الاتجاه نحو هذه المهنة الصعبة، وتوجيه المعهد للقيام بدور أكبر في التأهيل والتدريب.

(د) الدعوة إلى إنشاء مراكز تدريب إقليمية على ترميم المخطوطات وصيانتها.

- (هـ) المطالبة بالإسراع في استكمال مركز الترميم التابع للهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، ليبدأ بممارسة واجبه سريعًا.
- (و) العناية بالجانب المادي للمخطوطة: ورقه وتذهيبه وخطوطه وملاحه الفنية والمادية، وبيان مدى تأثيره في صناعة الكتاب في العصور المختلفة.
- (ز) ضرورة العناية بمخطوطات فلسطين، وبخاصة مخطوطات المسجد الأقصى والمكتبة الخالدية، وكذلك مخطوطات الجزائر، ذلك أن التراث المخطوط في هذه البلد العربية الأخيرة لا يزال مجهولًا.

ثانيًا - التعريف بالمخطوطات وفهرستها:

- (أ) فهرسة المخطوطات مسألة هامة للغاية، وينبغي أن يراعى في اعتماد أي نوع من أنواع الفهرسة (القوائم، الوصفية، التحليلية) حال البلد الذي تفهرس مخطوطاته، ولا بد من حد أدنى في الفهرسة يتضمن: عنوان المخطوطة، ومؤلفها، وناسخها، وتاريخ نسخها، وعدد أوراقها، والرقم الذي تحفظ به.
- (ب) الإسراع في توحيد المعايير لعملية الفهرسة، واعتماد بطاقتين: إحداهما: موجزة سريعة، والأخرى وصفية، والأخذ بواحدة منهما، مناسبة لحالة البلد ووضعية مخطوطاتها.
- (ج) العمل لإيجاد أدوات موحدة مساعدة لعملية الفهرسة، مثل توحيد مداخل المؤلفين، وذلك حتى تكون هناك لغة مشتركة بين العاملين في الفهرسة.
- (د) إعطاء اهتمام خاص لفهرسة المخطوطات في الجزائر وغيرها من البلدان التي تشكو من قلة فهارسها.

- (هـ) دعوة المعهد لعقد لقاء للمفهرسين في مكاتب المخطوطات العربية، للخروج بخطة موحدة، يتبناها المعهد، ثم يعممها على المكتبات.
- (و) إدخال مسألة المخطوطات ضمن الاتفاقات الثقافية بين الدول، ودعوة المعهد للتقدم باقتراحات في هذا الإطار لتبادل الخبراء في مجال الفهرسة.
- (ز) دعوة المعهد لمطالبة مراكز المخطوطات في الدول العربية بإصدار قوائم وفهارس لمخطوطاتها.

ثالثاً - نشر التراث :

- (أ) الدعوة لإنشاء صندوق لإحياء التراث ونشره تساهم فيه الدول العربية ومراكز التراث الخاصة وغيرها من الهيئات العلمية والثقافية المعنية.
- (ب) الدعوة إلى استحداث درجات علمية مثل «الدبلوم» في مجال التحقيق، وذلك لبناء أجيال قادرة على قراءة النصوص وفهمها ومن ثمّ تحقيقها.
- (ج) إدخال القطاع الخاص شريكاً في نشر التراث الذي تقوم به مراكز التراث ومعهد المخطوطات العربية، وذلك في محاولة للتغلب على مشكلة التمويل، وإيجاد الناشر الذي يُسوّق الكتب بشكل جيد.
- (د) التركيز من قبل معهد المخطوطات العربية ومراكز التراث على الكتب الأمهات والموسوعية والكبيرة التي لا يقبل الناشر الخاص عليها.
- (هـ) استكمال الكتب ذات الأجزاء التي بدأها المعهد ومراكز تراث عربية أخرى، فقد طال انتظار المشتغلين في التراث لهذه الكتب.
- (و) السير في خطط نشر المخطوطات مصورة، وبخاصة تلك المكتوبة بخطوط جيدة مقروءة، أسوة بتجربة معهد تاريخ العلوم العربية في فرانكفورت،

شريطة أن تلحق بها فهارس ثرية تكشف ما تحويه .

رابعًا - التعاون والتنسيق :

(أ) فتح أبواب خزائن المخطوطات في البلاد العربية لمعهد المخطوطات العربية باعتباره المكتبة القومية العربية للمخطوطات .

(ب) فتح قنوات الاتصال بين المراكز وبعضها، وبينها وبين معهد المخطوطات العربية .

(ج) توسيع دائرة التعاون والتنسيق التي يتحرك خلالها المعهد، لتشمل المنظمات المتخصصة، ومؤسسات ومراكز التراث الخاصة القادرة مادياً ومعنوياً .

(د) عقد اتفاقات أو «توأمة» بين المعهد ومراكز مختارة في الوطن العربي ، لخدمة قضايا تراثية معينة .

(هـ) تعزيز دور المعهد في تنسيق الجهود القائمة حول خدمة التراث .

(و) تبادل المصورات والفيهارس، وتوقيع بروتوكول في هذا الصدد .

خامسًا - الإعلام عن التراث :

(أ) العمل بجهود دؤوبة لإفساح مساحة معقولة للتراث المخطوط، والجهود التي تدور في فلكه عبر وسائل الإعلام والاتصال المختلفة .

(ب) العمل لإيجاد شبكة معلوماتية واسعة حول التراث .

سادسًا - مساندة المعهد :

(أ) مساندة المعهد، بكافة طرق المساندة المادية والمعنوية، والتركيز على ضرورة توثيق العلاقات القائمة بينه وبين المراكز العربية.

(ب) دعوة المعهد لتعيين مراسلين له في البلاد العربية، وذلك حتى تكون مطبوعاته وما ينشر فيها صورة حيّة وصادقة وواقية للنشاط التراثي في الوطن العربي كله.

وقد أوصى المشاركون برفع هذه التوصيات إلى الجهات المعنية المسؤولة في الوطن العربي.

* * *

■ د. كمال البتانوني :

ألاحظ في التوصيات بعض التكرار، خاصة فيما يتعلق بتعزيز المعهد ودعمه، فلا ينبغي أن يذكر أمر مرتين؛ أرجو إزالة هذا التكرار.

والملاحظة الثانية أن المعهد قد سها عن ذكر الهيئة الاستشارية في برنامج الاجتماع، وفي الديباجة التي تقدمت التوصيات. ولم يكن بين أيدينا قائمة بالحضور حتى نعرف المتحدثين ونتابعهم. أرجو تدارك ذلك عند تحرير أعمال هذا الاجتماع ونشره.

■ د . عبد الكريم عوفي :

أقترح النظر في إمكانية تعيين مراسلين - أكفاء ومن أهل الاختصاص -
لمعهد المخطوطات العربية في مختلف البلاد العربية والإسلامية وغيرها؛ ليكونوا
عوناً له في تزويده بالمعلومات كافة، وبتسهيل أموره لدى وطن المراسل المقيم
فيه، للوصول إلى تحقيق الأهداف نحو خدمة التراث العربي المخطوط.

* * *

الختام

كلمة الوفود

د . جمعة شيخة

أود بادئ ذي بدء أن أتقدم باسمي ، وباسم كافة زملائي المسؤولين عن مراكز المخطوطات الحكومية المثلة في هذا الاجتماع ، وكذلك رؤساء مراكز المخطوطات الخاصة ، بجزيل الشكر إلى الإخوة المشرفين على معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، على دعوتهم الكريمة إلينا للمشاركة في هذه الندوة العلمية الهامة حول أوضاع التراث العربي المخطوط ، وعلى العلاقات القائمة بين مراكز المخطوطات فيما بينها وبين معهد المخطوطات العربية ، وتحسين هذه العلاقات وإثرائها .

لاشك أن دور المعهد في تنسيق العمل التراثي أساسي ، وأن جهود مراكز المخطوطات الحكومية والخاصة في جمع التراث وحفظه هي جهود تذكر فتشكر . وما زال العمل أمام هذه المراكز كبيرًا وعظيمًا ، خاصة أن موضوع إدخال التكنولوجيا في أعمالنا جمعًا وحفظًا وفهرسة أصبح أمرًا ملغًا وعاجلاً لتواكب العصر ونعيش في هذا العالم القرية الذي أصبح فيه مالك المعلومة هو السيد والمسيطر على من هو في حاجة إلى هذه المعلومة .

إن كل هذه الجهود ستؤتي أكلها لا محالة لصالح الباحثين محققين ودارسين . وبهذا ينفضون عنه غبار النسيان ويستخرجون كنوزه ويخلصونه مما شأب بعضه من سلبيات ، وهذا ينطبق على كافة العلوم الدينية والإنسانية والعلوم الصحيحة ، فيصبح هذا التراث بعد النشر رافدًا من الروافد الحضارية

والثقافية لشخصيتنا العربية والإسلامية ، ويحافظ على هويتنا المتميزة داخل بوتقة الحضارة العالمية والإنسانية .

ولا يسعني في خاتمة هذه الكلمة إلا أن أتوجه أولاً بالشكر الممزوج بالاحترام والتقدير لكافة المعقّبين أثناء استعراض محاور هذه الندوة الناجحة ، ولكافة المناقشين والمعلقين على كلماتهم وملاحظاتهم القيمة .

وثانياً أتوجه بالشكر الممزوج بالمحبة لدار الكتب المصرية والقائمين عليها ، لما بذلونه من جهود كبيرة لخدمة التراث العربي .

وثالثاً أتوجه بالشكر الممزوج بالامتنان لمعالي د . عبد الله يوسف الغنيم على سعة صدره في ترأسه لندوتنا ، وحسن تسييره لأعمالها .

وأرجو من الله أن تجد توصيات هذه الندوة طريقها للتطبيق ، وبالله التوفيق .

* * *

كلمة الختام

د . أحمد يوسف أحمد محمد

المشرف على المعهد

معالي د . عبد الله يوسف الغنيم وزير التربية ، والتعليم العالي بدولة الكويت ، ورئيس الاجتماع ؛

الأساتذة الأجلاء أعضاء الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي ، والأعضاء المراقبين ؛

الأساتذة الأجلاء أعضاء الهيئة الاستشارية لمعهد المخطوطات العربية ؛

أستأذنكم في الحديث عن عمل المعهد ورسالته ، فمنذ أسندت إليّ مسئولية الإشراف عليه في عام ١٩٩٤ كان إحساسي أن ثمة أمرين يعوقان معهد المخطوطات العربية عن الانطلاقة المطلوبة ، بالإضافة إلى قلة الموارد بطبيعة الحال .

الأمر الأول هو ضعف اتصال المعهد بأساتذة التراث الأجلاء في مصر ، وقد عالجتنا هذا مؤخرًا بمبادرة من المعهد واستجابة كريمة من هؤلاء الأساتذة بتكوين الهيئة الاستشارية للمعهد على أساس تطوعي . وقد عقدت أول اجتماعاتها بالفعل منذ حوالي شهرين ، وستكون اجتماعاتها فصلية ، وتكون بمثابة العقل المخطط للمعهد ، كما تساعد في طرح أفكار للتنفيذ .

والثاني هو ضعف اتصال المعهد بالمؤسسات المماثلة في الوطن العربي ، وها

نحن نحاول حل هذه المشكلة بعقد هذا الاجتماع المبارك الذي أكرر شكري لحضراتكم على استجابتكم الكريمة لحضوره، والذي خرجنا منه بهذه الحصيلة الممتازة من الأفكار والمقترحات، والتي نعدكم بأننا سنكون جادين في وضعها موضع التنفيذ.

أهمية هذه الحصيلة تنبع من أهمية تراثنا العربي ذاته، فهذا التراث الرفيع لا يقع في جوهر قضية هويتنا فحسب، وإنما له أيضًا مساهمته في صنع الحاضر والمستقبل كما سمعنا من عديد من المشاركين منهم د. جمعة شيخة، و أ. الدباغ عن الإنجازات العربية في مجال الطب، على سبيل المثال، والتي ما زالت صالحة ومفيدة حتى الآن، وكما سمعنا من د. عبد الله يوسف الغنيم عن الدلالات العلمية الفاتحة لكتاب إنباط المياه الخفية.

الأساتذة الأجلاء،

لا شك أن التوصيات التي خرج بها اجتماعنا هي الصورة المثالية التي نعلم جميعًا أننا سنسعى لتحقيقها، ولا نضمن أن يتحقق ذلك بشكل مكتمل، ولكن أهم شيء في تقديري هو التعارف وإقامة الصلات الأولية المتينة، لأننا لا نستطيع أن نبني في عزلة عن بعضنا بعضًا.

المهم هو ما نستطيع أن نفعله واقعًا. وفي تقديري أننا نستطيع أن نحقق ما طالب به - منذ البداية - د. هادي شريقي وهو أن نعرف بعضنا بعضًا، أين توجد مراكزنا، وما هي إمكاناتنا، وماذا نفعل؟ وفي هذا الصدد فإن المعهد يرحب أن يتبادل معكم الوثائق التعريفية، ويرجو أن تمدونا بأخباركم لنشرته، أو بنشراتكم لنستقي منها أخبار مؤسساتكم. ونحن عازمون على أن نفعل الشيء نفسه.

سنحاول أن نعرض عليكم برامجنا قبل أن نقرأ، وقبل أن تنفذ لكي نتلقى مقترحاتكم. سنحاول أيضا توسيع عضوية هذه الهيئة بحيث تشمل بالقدر المستطاع مسئولين آخرين عن مكاتب مهمة للمخطوطات العربية سواء من داخل الوطن العربي أو من خارجه.

الأساتذة الأجلاء،

أثارت هذه الندوة عددًا من القضايا فائقة الأهمية بالنسبة لموضوعنا عامة، ولمعهد المخطوطات خاصة، مثل اكتشاف المخطوطات، الفهرسة، الإنقاذ، دور التقنية الحديثة في حماية التراث وفهرسته ونشره، إعداد الأجيال القادرة على حماية المخطوطات، ونشرها، التشريعات المطلوبة لذلك، وغيرها من القضايا المهمة.

ومن الواضح لدي أن ثمة تشابها واضحا في المشكلات، مع اختلاف في الدرجة، واكتشاف المخطوطات مازال مهمة أساسية. ويبدو أن قضية المكتبات الخاصة والمخطوطات خارج الوطن العربي مسألة تحتاج منا إلى مبادرات خلّاقة، وجهد كبير، وقد استمعنا إلى بعض هذه المبادرات من د. جمعة شيخة ومن د. غسان اللحام، وأعتقد أنها ستكون ذات فائدة كبيرة للمعهد في هذا المجال.

وفي قضية الفهرسة كان من الواضح أنها قضية القضايا، أثارها أ. عصام الشنطي في ورقته، وألح عليها د. هادي شريقي، وأوضح لنا د. عبد الكريم عوفي مثالا لوضع المخطوطات في قطر عربي شقيق. وأثيرت في هذا الصدد قضيتان مهمتان: المنهج الموحد للفهرسة، ودور التقنية المتقدمة في هذه الفهرسة. وإذا كنت أوافق د. عبد الستار الحلوجي أن الكمبيوتر أو الحاسوب لا

يمكنه أن يفهرس بالمعايير العلمية التي في أذهاننا جميعًا، فإنني أوافق أيضا د . أحمد نظيف ، ود . يوسف زيدان ، وكل من يلحون على قضية استخدام التقنية في الفهرسة ، أن إمكاناتها هائلة ، والمهم أن توظف التوظيف الصحيح وتحت إشراف علمي دقيق ، وأنا على يقين من أن عبور الفجوة ممكن .

والمبادرة المحددة للمعهد في هذا الصدد أننا تقدمنا في خطة مشروعاتنا لستتي ٩٧ ، ٩٨ بمشروع ندوة عن قضايا المخطوطات في الوطن العربي ، وأعتقد - من خلال مداولاتكم - أن هذه الندوة يجب أن تكون عن قضية الفهرسة . وقد أثار د . غسان اللحام أفكارًا محددة في هذا الصدد ، وسوف نعد لهذه الندوة إعدادًا جيدًا ، ونوافيكم بأوراق العمل ، والبطاقة النموذجية المقترحة ، وذلك قبل عقد الندوة بوقت كاف ، لتتلقى ردودكم ، وبهذا نستطيع أن نحقق الهدف من هذه الندوة في الوقت المحدد لها .

بطبيعة الحال فإن إمكاناتنا محدودة ولكننا نعد بمحاولة حشد تمويل إضافي لها ، ونثق أن عددًا منكم على الأقل سوف يشاركنا في هذا بمبادرة منه . وفي كل الأحوال فسنتوَمَّنُ الاتصال والحصول على الآراء مكتوبة بهدف أن نصل إلى ثمرة معقولة ، ولا أقول نهائية ، تكون خطوة لا بأس بها في الاتجاه الصحيح .

قضية الإنقاذ أثّرت أيضا ، ولا أضيف إليها ، ولكنني أنوه إلى النقطة المهمة التي أثارها د . عبد الله يوسف الغنيم ، عندما فرق بين الإنقاذ الجزئي ، والإنقاذ الشامل ، وما نادى به من ضرورة وضع خطة طوارئ لحماية المخطوطات العربية ، وضرورة رسوخ تقاليد حماية المخطوطات فوق الاعتبارات السياسية أو غيرها . أما قضية استخدام التقنية فقد نوقشت في موضوع الفهرسة من قبل ، ولكن

آفاقها الآن أوسع، فكيف نتيح التبادل من خلال الانضمام إلى شبكة عربية موحدة، قد ترتبط بالشبكة العالمية، وما هي التكلفة المادية والاحتياجات من الخبراء، والتقدير الزمني للمدة المطلوبة، الأمر الذي يحتاج إلى ما يشبه دراسات الجدوى. ونعدكم بأن نواصل اهتمامنا بها من خلال مشاريع المعهد ومبادراته، غير أن تنفيذها يحتاج - دون شك - إلى تضافر كل الجهود.

في الدورة المالية ٩٧، ٩٨ يقترح المعهد - لأول مرة - مشروعًا يقوم على إدخال التقنية الحديثة، ومنتظر إقراره، وسوف نرى ماذا نستطيع أن نفعل بإمكاناتنا المتواضعة في ضوء ما يقال لنا كثيرًا من أن التكلفة محدودة للغاية.

وعلى أهمية قضية إعداد الأجيال المحورية، فإنها لم تأخذ حقها الكافي في تقديري من النقاش، ومع ذلك فقد أثرت، وأعتقد أن المعهد سوف يستفيد كثيرًا مما طرح منها، وسيحدث نقلة في الدورات التدريبية التي تتكلف أموالًا تفوق الإمكانيات المتاحة في كثير من الأحيان، إلى فكرة الدورات القطرية بتكلفة أقل بكثير، والتي يمكن أن يُندب لتنفيذها خبير متمرس، وبتكرارها في عدد من الأقطار ذات المكانة المحورية في التراث العربي، يكون المنظور العربي قد تحقق.

وُبُحثت تشريعات حماية المخطوطات، وأهم ما فيها، كيف نوفق بين الحماية والإتاحة؟ وكما يجب أن نضع معايير للحماية، فإنه ينبغي أن نضع ما يضمن الإتاحة للباحثين، فالحماية مهمة، والإتاحة مهمة كذلك. وبعض المؤسسات تهتم بإقامة الأسوار حول مقتنياتها، أكثر من اهتمامها بالاستفادة البحثية منها. ومع ذلك يجب أن نضع قضية التشريعات في إطارها الصحيح،

فالتشريعات قد تُقَرَّر، ولا يلتزم بها . يجب أن نبادر نحن كمؤسسات مسؤولة عن التراث بإعطاء القدوة والمثل في الحماية والتعاون .

لقد حملتم المعهد - مشكورين - عديدًا من المسؤوليات ، ونحن نرحب بهذا ، لأنه أحد أهداف الدعوة إلى هذا الاجتماع .

وقد قلت إنه على الرغم من ضعف الإمكانيات ، فإن بعض الأموال تُرَدُّ دون استخدامه لغياب التنسيق والبيروقراطية . والحل أن يكون التنسيق بيننا مباشرة . ونقطة البدء هي أن نعرف بعضنا بعضًا ، وأن نواصل الاتصال ، وتبادل المعلومات ، ونتعرف على الاحتياجات ، وتكامل الجهود حتى يتسنى استخدام الموارد المحدودة .

وأقر الآن بعد هذا الاجتماع أن المعهد أصبح أكثر غنى بهذه الأفكار الجديدة التي طرحت فيه ، تساعده على تحقيق رسالته . وفكرة الاشتراك في تنفيذ المشروعات يوفر التكاليف ، ويمنع تكرار الجهود ، ويوسع نطاق الفائدة ، على النحو الذي أشار إليه كثيرون ، كقضية النشر بالاشتراك مع دور النشر الجيدة .

إن الأخطر من ضعف إمكانيات المعهد ، أن هناك من الآراء الرسمية الفاعلة ، خارج هذا الجمع الكريم ، من يرى أن رسالة المعهد قد أصبحت بلا أهمية بعد أن تعددت مراكز التراث في الوطن العربي ، ومن ثمَّ يكون المعهد عبئًا على منظومة العمل العربي المشترك .

كما أن هناك أفكارًا خطيرة محددة أثيرت غير مرة بشأن ما يمكن تسميته بخصخصة التراث ، بمعنى ترك المجال للمؤسسات الخاصة حتى نزيح عن كاهلنا

عبء المعهد . وعلى أحسن الفروض يتحول المعهد إلى مؤسسة تسعى إلى تمويل أنشطتها ذاتيًا ، وبهذا تنفض الأمة عن كاهلها هذه المسؤولية الثقيلة .

وبجانب أننا لا ننكر أهمية دور المؤسسات الخاصة ، فنحن نؤمن بأن دور المؤسسة ذات المنظور القومي يجب أن يبقى . لذا فإنني أحذر من هذا الاتجاه ، وأحتمل الأخ د . عبد الله يوسف الغنيم مسئولية خاصة ، لأنه له دوره الفاعل في العمل الثقافي العربي المشترك .

وأشكر حضراتكم كل الشكر على كريم حضوركم ، وعلى مساهمتكم وعطائكم الممتاز في الندوة . وأوجه شكرًا خاصًا للإخوة الأعضاء الذين تجشموا مشقة الحضور من خارج مقر المعهد .

كما أوجه شكرًا خاصًا أيضًا للأستاذ محمد المليبي المدير العام الذي حرص على مشاركتنا في الجلسة الافتتاحية رغم مشاغله في اجتماعات المجلس التنفيذي للمنظمة ، والإعداد لمؤتمرها العام .

وأزعم أنني أمثلكم جميعًا عندما أعبر عن عميق الامتنان والتقدير للأخ الكريم د . عبد الله يوسف الغنيم ، الذي لا أجد وصفًا أجمل من هذا الوصف : مشاركته الفاعلة معنا كعضو في الهيئة الموقرة ؛ ولم نخسره في عضويته التي نعزز بها ، بالرغم من أعباء وزارتين بالكويت يتحمل مسؤوليتهما .

وشكر خاص للأستاذ فيصل عبد السلام الحفيان الذي تحمل مسؤولية الإعداد العلمي لهذا الاجتماع ، وكذلك إجراء الاتصالات اللازمة ، وهي مهمة شاقة . وكذلك الشكر لأسرة المعهد جميعًا على ما بذلوه من جهود إدارية وتنظيمية في سبيل إنجاح الاجتماع .

وفي الختام ، فإننا نعدكم بالمتابعة ، والإمساك بهذا الحيط الذي اتصل بيننا ، بكل ما أوتينا من قوة وجدية . وإنني على ثقة بأن لقاءاتنا سوف تتكرر ، وأن ثمارها سوف تثري قضية حماية التراث العربي ووضعه في مكانه اللائق به ، وبوركت جهودكم المخلصة التي سوف تذكركم لكم الأجيال القادمة من أبناء هذه الأمة .

* * *

اتجاهات الاجتماع

أ. عصام محمد الشنطي*

الفكرة قديمة، وهي نبيلة، هدفها التعاون والتنسيق، وترجمت إلى حيز الوجود بتأليف «هيئة عربية مشتركة لخدمة التراث»، شكّلت من المسؤولين العرب عن مخطوطات بلادهم، جلّهم - إن لم يكن كلهم - أصحاب قرار. واجتمعوا في رحاب معهد المخطوطات العربية، بالكويت، في أوائل عقْد الثمانينات. وكان الموضوع متعلقًا بالجذور، فكان الحديث عالي الطبقة، وأُخذت توصيات من أحلى الكلام، وقضينا أيامًا، وانفضّ السامر. وها هو المعهد في ظلّ بقائه من جديد، وبعد مضي أكثر من عقْد من الزمان، يؤلف هيئة جديدة، يسمّيها «الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي»، وهي تسمية مقصودة تتسع في المستقبل إلى المسؤولين عن المخطوطات العربية في بلاد الإسلام، وبلاد الغربية. ومعنى هذا أن الفكرة تتعاضد، والمسؤولية تتسع، ومجالات التعاون والتنسيق تتمحور حول التراث العربي، والمخطوطات العربية، أينما وُجدت.

تجتمع الهيئة في رحاب المعهد في القاهرة، في الأيام الأخيرة من عام ١٩٩٦. وكان مهرجانًا حقًا، ومستوى الحضور عاليًا، والمشاركة «ساخنة»، والحوار غنيًا، والانتفاء للمخطوطات من القلب والفكر، وأُخذت توصيات

* مدير المعهد الثاني، سابقًا.

عظيمة لخدمة التراث العربي . والكل يعلم في قرارة نفسه أن لا خدمة للتراث إلا بتعاون المؤسسات فيما بينها، وتعاونها جميعًا مع المعهد، تعاونًا خالصًا لوجه هذا التراث، وصادقًا لمصلحة المخطوطات، بنظر بعيد ثاقب، يعود على علماء الأمة وباحثيهم بالربط بالماضي، والإبداع للمستقبل، وعلى الأمة ذاتها بالخير والفلاح .

الأهداف واضحة، والمحاور متقنة . وقُدِّمت البحوث وأوراق العمل، كل بحث في مسألة من المسائل . وأُقيمت التقارير عن أوضاع المخطوطات في أقطار عربية عدّة، ورُصدت الجهود المبذولة لخدمتها . أصبح لنا خبرة في إدارة الاجتماعات والندوات، أتقنًا الصنعة، وتوصلنا إلى توصيات تعالج كل مشكلة من مشكلات التراث، عامتها وخاصّها، وهي كثيرة . التوصيات مُحكّمة، تخدم تراثنا بكل سهولة ويُسر .

قليل من هذه التوصيات يحتاج إلى مال، وكثير منها يحتاج إلى شيء باليد والإمكان، وهو الإيمان بالتراث أولاً، والجهد المضني، والتعاون الوفي . أقلها تبادل المطبوعات والفهارس، وأعظمها تبادل المخطوطات المصوّرة، وبدلها من أجل العلماء والباحثين المتخصصين، كاشفين أمرها لهم، بعيدًا عن الاتجار بها، لينجزوها للنشر محققةً مدروسةً، فنفيذ منها، ونربط جذور الماضي، بسيقان الحاضر، بالفروع المتطلقة إلى المستقبل .

وأول هذه التوجهات نراها تتمسّ الحفاظ على هذا التراث المخطوط . فالمخطوط مادة محسوسة من ورق وأغلفة وجلود وأحبار وخيوط ومواد لاصقة، وكلها تتعرض بفعل الزمن والبيئة والحشرات إلى اليبلى والهلاك، ولا ينبغي أن نقف منه موقف المتفرّج، نراه يتلاشى ويضيع . وأول درجات المحافظة عليه أن

تُصمَّم خريطة واضحة التضاريس والمعالم لمناطق المخطوطات العربية في العالم، هذه الخريطة قابلة للتجديد في كل عامين. وهي بدورها تبيِّن أولويات المناطق التي ينبغي أن يتوجه إليها للإنقاذ والصيانة والترميم والتصوير. ولأسباب طارئة، وبعد مناقشات وحوار أوصت الهيئة خيرًا بمخطوطات فلسطين التي تحتاج إلى عناية خاصة، ومخطوطات الجزائر التي لم يُقدَّم إليها خدمة واضحة.

وينبغي أن يسبق وضع هذه الخريطة صدور قانون حماية المخطوطات في كل قطر عربي. وهو مشروع قانون نموذجي أعان المعهد على وضعه منذ سنوات، وجمَعَ له الخبراء العرب في التراث والقانون، ثم أقرّه الوزراء المسؤولون عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي. ولا مسوِّغ لقطر أن يتقاعس عن إصدار هذا القانون الذي يميّز بحلّ مشكلات كثيرة، منها أنه يحمي المخطوطات من الاتجار بها، ونقل هذه الثروة القومية من بلادها إلى بلاد الغربية، ويفرض القانون على الدولة تسجيل المخطوطات في سجلات خاصة، والعون على خدمتها، سواء كانت الملكية خاصة أو عامة، وصيانتها وترميمها وتصويرها.

ولمّا كانت الصيانة والترميم عملية ممتدة ومستمرة، لأعدادٍ ضخمة من المخطوطات العربية، فإنه ينبغي خلق أجيال من المتدربين تدريجًا كافيًا للقيام بهذه المهنة التقنية المتقدمة، والتشجيع عليها، وعقد الدورات تلو الدورات لهذه الأجيال. ومن حسن الطالع أنّ في عواصم الدول العربية الآن مراكز ترميم جيدة، استفادت مما وصلت إليه الدول الأجنبية من أجهزة حديثة، وتقنية عالية، نذكر منها: الرياض، ودمشق، والقاهرة، وتونس، والقيروان، والرباط، وغيرها.

وثاني هذه التوجهات التعريف بالمخطوطات والكشف عنها بالفهرسة، وطبع هذه الفهارس ونشرها وتبادلها، وهذه مشكلة حادة من مشكلات المخطوطات المزمّنة والعويصة. وتتضح فداحة هذه المشكلة إذا علمنا أن الموصوف من المخطوطات العربية في العالم وصفًا مقبولًا ومطبوغًا في فهارس، لا يتجاوز ثلث عددها على أحسن الفروض، وثلثاه لا يُعرَف عنه شيء. فنحن لا نملك «كادرًا» كافيًا من المفهرسين المؤهلين لهذا التخصص العلمي الصعب، ولا يملك المفهرسون لغة مشتركة، أو أسلوبًا موحدًا للفهرسة، وأن الدورات التدريبية التي يعقدها المعهد، أو المؤسسات، كافية. ولعلّ محاولة الحلّ تكمن - مع استمرار هذه الدورات وتكثيفها - في أن يُتَدَبَّ خبراء في الفهرسة إلى مكتبة، أو مجموعة من المكتبات متقاربة، يدرّب الخبير عددًا من الشباب عُيِّنوا للعمل في الفهرسة، وهو أسلوب أسرع نتائج، وأقل نفقات؛ وأن يُتَّفَقَ على وضع بطاقة وصفية موحدة يضعها خبراء، ويتبناها المعهد، للقيام بفهرسة المخطوطات العربية في خطة محكمة متوسطة المدى. ووضع بطاقة أخرى تحتوي على الحد الأدنى الأساسي من التوصيف، وإنجاز ما يمكن أن نسميه «الفهرس العام»، وطبعه، وهو خطة عاجلة قصيرة المدى، تفيد كثيرًا من المكتبات والمراكز والمؤسسات، وتحلّ مساحة واسعة من هذه الإشكالية.

ولم يفلت من الهيئة أن تدعو إلى استخدام التقدم العلمي والتكنولوجي في حفظ قاعدة بيانات فيما فهرس من المخطوطات العربية، فتقوم المكتبات الكبرى - على الأقل - بإدخال بيانات فهارسها العائمة في جهاز الكمبيوتر، لسهولة الكشف عمّا لديها من مخطوطات عمومًا، أو سرعة الكشف عن مخطوطات في موضوعات معيَّنة، أو لمؤلفين دون غيرهم، أو مخطوطات كتبت

بخطوط متماثلة، أو في قرون محدّدة، أو ذات أشكال فنيّة، ورسوم مزخرفة، وغير ذلك من التعليلات المختلفة القادر عليها هذا الجهاز.

والإشكالية الثالثة أن يتوفر على هذا التراث المخطوط من يفهم النصّ، ويضعه للقارئ كما أراد مؤلّفه، وأن يضيئه بملاحظات تفسّره وتكشف غموضه، ويقدمه مدرّسًا. ذلك لأن هذا الميدان قد دخله أدياء يتاجرون بهذا العمل، يساعدهم على تحقيق أرباح هائلة إقبال الجمهور على شراء كتب التراث. وأتفق على ضرورة أن يتولّى المعهد منهجًا في تحقيق النصوص، وإضاءتها ودرسها، وأن يمتح دبلوماسيًا، بعد هذا التدريب الجادّ، لمن اختيروا بعناية لهذا العمل العلمي، بهدف بناء أجيال قادرة على قراءة النصوص وفهمها، وتقديمها محققة مدرّسة، على أن يُظهر الدارس ما في هذه النصوص من فوائد. وأن يُنشأ صندوق لإحياء التراث ونشره، وإشراك القطاع الخاص في النشر، والاهتمام بنشر المخطوطات ذات الخطوط الجيدة والمقروءة، مصوّرة، على أن يُلحق بها فهرس ثرية تكشف عمّا تحويه.

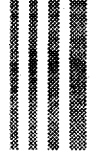
ومن أهداف حلّ هذه الإشكالية أن يُعمّم إيماننا بهذا التراث، وأن يشيع عنه الحديث بوسائل الإعلام المختلفة، وأن تُفسّح مساحة مناسبة للتراث المخطوط، والعمل على إيجاد شبكة معلوماتية واسعة حول التراث. نقول ذلك لأن إعلامنا مازال بعيدًا عن هذا الميدان، ولم يخاطب فيه جمهور المتعلمين. إن الخطاب الإعلامي السائد هو المتعلق بالتسلية وإزجاء الوقت، بينما التراث ميدانه جاد، يشكّل الجزء الرئيسي في ثقافتنا، بدونه تصبح ثقافتنا هشّة، لا ملامح لها، ولا خصوصية، ولو قُبض لهذا التراث من هم واسعوا الاطلاع، ذوو منطق، ممن يحسنون الاختيار منه، ويحسنون عرّضه، ويتوجهون بالاهتمام - في الدرجة

الأولى - إلى الشباب ، لوجدَ الجميعُ أن التراث ممتع ومفيد ومثقف حقًا .
إن إيماننا بتراثنا ، يجعلنا نؤمن بمعهد المخطوطات العربية الذي أنشأه أصحابه
لهذا الغرض ، وإن مساندة هذا المعهد واعتماده - بوصفه منسقًا للعمل التراثي
المشترك - أمر ضروري ، والتعاون معه تعاونًا مفتوحًا على المصراعين واجب ،
وكذلك التعاون بين المراكز أمر حيوي . ولا يخفى أن جميع أشكال التعاون
والتنسيق يصب في قناة واحدة ، هي مصلحة التراث المخطوط .

هذه خلاصة ما توصل إليه أعضاء الهيئة من أجل خدمة التراث ، وهي
تنطوي على حلولٍ ممكنة لمسائل قائمة . المهم فيها المبادرة بالتنفيذ . ولعلَّ
الوصولَ إلى طريقة عملية تؤدي إلى التنفيذ ، أهم من التنفيذ نفسه .

* * *

قواعد النشر



- * تنشر المجلة المواد المتعلقة بالتعريف بالمخطوطات العربية، والنصوص المحققة، والدراسات المباشرة حولها، والمتابعات النقدية الموضوعية لها.
- * ألا تكون المادة منشورة في كتاب أو مجلة، أو غيرهما من صور النشر.
- * أن تكون أصيلة فكرةً وموضوعًا، وتناولًا وعرضًا، تضيف جديدًا إلى مجال المعرفة التي تنتمي إليها.
- * تستهل المادة بمقدمة في سطور تبين قيمتها العلمية وهدفها. وتقسم إلى فقرات، يلتزم فيها بعلامات الترقيم التزامًا دقيقًا، وتضبط الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار والأمثال المأثورة والنصوص المنقولة ضبطًا كاملاً، وكذلك ما يشكل من الكلمات.
- * يلتزم في تحرير الهوامش التركيز الدقيق، حتى لا يكون هناك فضول كلام، وترقم هوامش كل صفحة على حدة، ويراعى توحيد منهج الصياغة.
- * تُدبّل المادة بخاتمة تبين النتائج، وفهارس عند الحاجة.
- * في ثبّت المصادر والمراجع يكتب اسم المصدر أو المرجع أولاً، فاسم المؤلف، يليه اسم المحقق أو المراجع أو المترجم في حال وجوده، ثم اسم البلد التي نشر فيها، فدار النشر، وأخيرًا تاريخ الصدور.
- * ألا تزيد المادة عن ٣٥ صفحة كبيرة (١٠ آلاف كلمة). وتدخل في ذلك الهوامش والملاحق والفهارس والمصادر والمراجع والرسوم والأشكال وصور المخطوطات.

- * أن تكون مكتوبة بخط واضح ، أو مرقونة على الآلة الكاتبة ، على أن تكون الكتابة أو الرقن على وجه واحد من الورقة . وترسل النسخة الأصلية إلى المجلة .
- * يرفق المحقق أو الباحث كتابًا مفاده أن مادته غير منشورة في كتاب أو مجلة أخرى ، وأنه لم يرسلها للنشر في مكان آخر .
- * تراعي المجلة في أولوية النشر عدة اعتبارات ، هي : تاريخ التسلم وصلاحيّة المادة للنشر دون إجراء تعديلات ، وتنوع مادة العدد ، وأسماء الباحثين - ما أمكن .
- * يُبلِّغ أصحاب المواد الواردة خلال شهر من تاريخ تسلمها ، ويفادون بالقرار النهائي بالنشر أو عدمه ، خلال فترة أقصاها ستة أشهر .
- * تعرض المواد على مُحَكِّمٍ أو أكثر على نحو سريّ ، وللمجلة أن تأخذ بالتقرير الوارد إليها ، أو تعرض المادة مرة أخرى على محكم آخر ، أو تتبنى قرارًا بالنشر إذا رأت خلاف ما رآه المحكّم ، وليس عليها أن تبدي أسباب عدم النشر .
- * إذا رأت المجلة أو المُحَكِّمُ إجراء تعديلات أساسية ، أو تحتاج إلى جهد ووقت على المادة ، فإنها تقوم بإرسالها إلى صاحبها ، وتنتظر وصولها ، فإن تأخرت تأجل نشرها .
- * تَمْنَحُ المجلة مكافأة مادية بعد النشر .

